سميح القاسم في ظل الغياب

إعداد

د. يحيى زكريا الأغا

الدوحة ــ قطر

2015

للفنّان عمومًا، والشّاعر خصوصًا، ثلاثة

أصدقاء: الموهبة والثّـقافة والتّجربة. وللفنّان

عمومًا، والشّاعر خصوصًا، ثلاثة أعداء: التّطفّل

والمحدوديّة والتّقليد – سميح القاسم

قال تعالى :

{كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }

سورة آل عمران آية 185

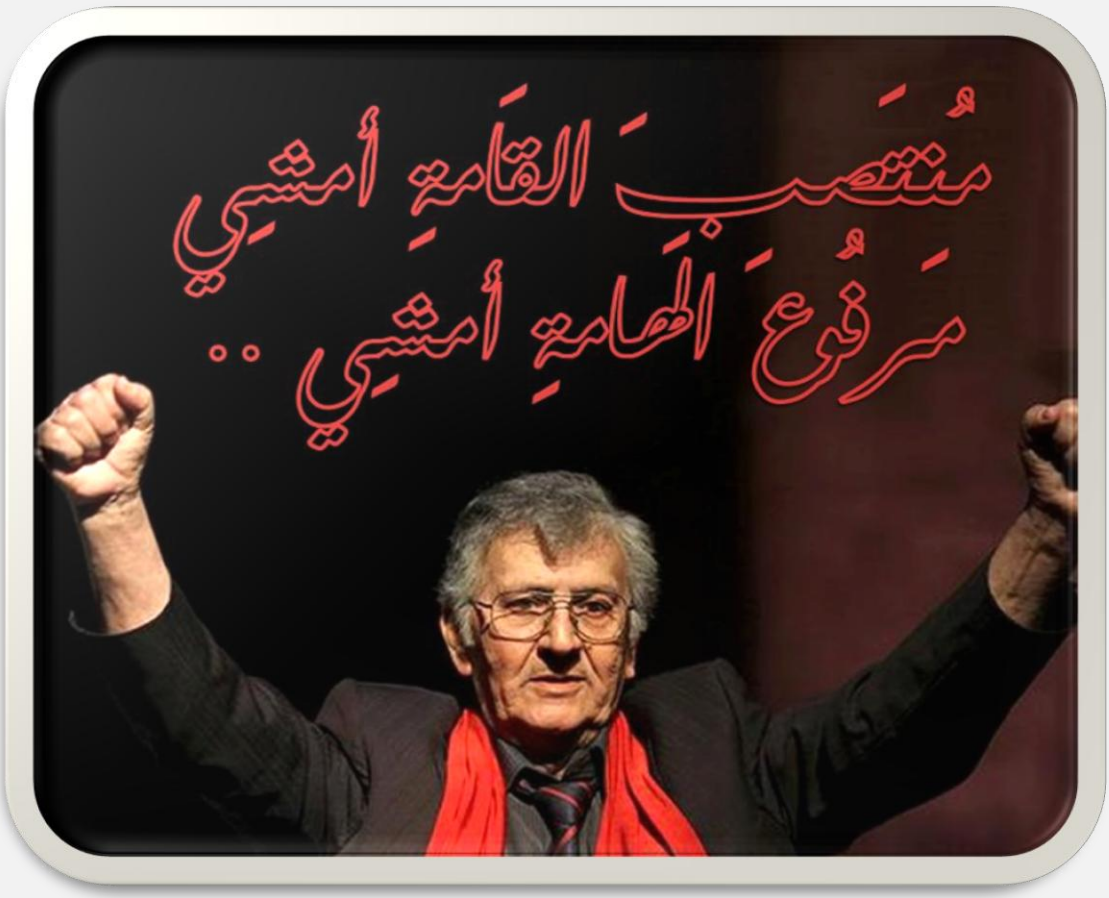

"قطر العروبة التي تبدو كل يوم أقرب إلى نبض فلسطين"

سميح القاسم

نادي الجسرة - قطر

إهداء

لعائلةالشاعر .....سميح القاسم

إلى بلدةالرامة..سميح القاسم

إلى محبي....سميح القاسم

إليهم....من قطر وفاء للقاسم

المقدمة

بقلم الدكتور / حمد بن عبدالعزيز الكواري

وزير الثقافة والفنون والتراث – قطر

تمهيد:

عندما تتفتق الذاكرة للكتابة عن شخصية لها قيمتها في أي مجتمع إنساني، فإن حجم الكتابة يتجاوز الزمان الذي يعيشه، بل ويتعداه إلى أزمنة سابقة، وربما لاحقة، لهذا ترانا اليوم ونحن نكتب عن سميح القاسم، كواحد من الشخصيات الاعتبارية التي أثّرت في الحياة بشكل عام، والحياة الأدبية بشكل خاص، سواء فلسطينياً أو عربياً أو حتى عالمياً ، فإن نهر الكتابة عنه لن يتوقف، ولكنا نختزل الزمان، والكتابة في آن واحد، لنفتح المجال للكتابة عنه، والقيام بدراسات مختلفة ومتنوعة، خاصة وأن موضاعات الكتابة لا تتوقف عند حدود دواوينه الشعرية، بل تتعداه إلى أدبياته المتنوعة، حتى أصبح بإبداعته يمثل حالة متفردة في الكتابة الإدبية الإنسانية على كافة المستويات.

محاولتنا اليوم تقتصر على توثيق جزءٍ مما كُتب عنه بعد وفاة هذا الشاعر الكبير، مبرزين لغة الحب التي يكتنزها محبو سميح، وقارؤوا شعر وأدب سميح، ومتابعوا سميح، من خلال المقالات المتعددة في معظم الدول العربية وغير العربية، إضافة إلى مواقع التواصل الاجتماعي ، والصحف المختلقة، والمحطات الفضائية، والتي جميعها أجمعت على الخسارة الكبيرة بوفاته، ولكنه الموت الذي لن يستثني أحداً.

وعليه سلطنا الضوء في هذا الكتاب على بعض ما كُتب عنه في بعض الصحف والمجلات ومواقع التواصل الاجتماعي، ومن ثم تم تجميعه بشكل لا علاقة له بأفضلية المقال ة، أو أهمية الكاتب طالما أن المرثي شخص واحد، هو سميح القاسم ، معتبراً إعادة نشر المقالة في هذا الكتاب الجامع هو استئذان من الكتاب، ثم أضفت إحدى المقابلات مع المرحوم / سميح للكتاب،لتنوع محطاتها، وشموليتها، وقيمتها الأدبية والفكرية والسياسية.

وعليه كان لزاماً عليّ أن أعرّج على المدن الدرزية في فلسطين والتي ينتمي الشاعر إلى إحداها، في بادرة منّي لإلقاء الضوء على هذه الفئة من المجتمع الفلسطيني ودورها في الحراك الثقافي والوطني في فلسطين.

وفاء لسميح كان هذا الكتاب بتوجيهات من سعادة الدكتور / حمد بن عبد العزيز الكواري، والذي تم بالتعاون معإدارة البحوث والدراسات بالوزارة، وتحديداً مع الدكتور / مرزوق بشير، والدكتور/ باسم الياسري آملين أن نكون قد وفقنا فيما وقفنا عليه.

د. يحيى زكريا الأغا

الشاعر وعائلته

الشاعر وعائلته في مناسبة اجتماعية؛ من اليمين: الأبناء عمر وياسر ووطن وسميح نونال ووضاح

الراما:

مدينة الشاعر / سميح القاسم

تقع بلدة الرامة على سطح جبل حيدر الذي يرتفع فوقها بشكل عامودي تقريباً إلى علو 1047 متر عن سطح البحر . وجبل حيدر يعتبر القسم الشرقي من سلسلة جبال الشاغور وينبسط أمام الرامة السهل المنخفض الممتد من مجد الكروم إلى كفار حنانيا ، ويشكل هذا السهل الحد الفاصل بين الجليلين الأعلى والأسفل ويحاذي القرية شارع عكا صفد وكان في السابق يمر في وسطها هذا الشارع فابعد عنها بعد قيام دولة إسرائيل.

تكثر الكهوف حولها وكانت تستعمل كقبور طبيعية على مر الأزمنة واكتشف فيها حمام روماني عمومي كبير تستخدم فيه المياه الساخنة والباردة وكانت المياه تجلب إلية في أنابيب خزفية من نبع عين الصرار الحالي كذلك اكتشفت فيها كنيسة بيزنطية كبيرة مع أرضية مرصعة بالفسيفساء

تأسس أول مجلس محلي للرامة سنة 1922 أيام الانتداب البريطاني

أما عدد السكان فيبلغ من 6000 – 7000 نسمة من جميع الطوائف . 55 % مسيحيون, 30% دروز و15% مسلمين .

القرى والبلدات الدرزية في فلسطين

يسكن أبناء الطائفة الدرزية في " 18" بلدة وقرية تقع جميعها على رؤوس الجبال في شمال فلسطين التاريخية، وهذه القرى والبلدات هي:

دالية الكرمل:

مشهد عام لمركز دالية الكرمل

تعتبر بلدة دالية الكرمل أكبر البلدات الدرزية في فلسطين. تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة حيفا، وتبعد عنها 31 كم، وترتفع 420 م عن سطح البحر. وكلمة "دالية" تعني شجرة الكرم وجمعها دوالي.

تبلغ مساحة أراضي دالية الكرمل 31730 دونما، ويعود تاريخ تأسيسها إلى 400 سنة خلت، وتحيط بها أرضي قرى عسفيا، عين حوض، إجزم وأم الزينات. قدر عدد سكانها عام 1922 بحوالي 993 نسمة، وفي عام 1945 بحوالي 2060 نسمة. وفي عام 1948 بلغ عدد سكانها 2593 نسمة، وفي عام 2003 حوالي 13500 نسمة. تعود جذور سكانها التاريخية إلى المنطقة الجبلية المجاورة لمدينة حلب السورية، وأكبر عائلة في البلدة هي عائلة حلبي.

تضم دالية الكرمل موقعا أثريا يحتوي على أسس وصهاريج ومدافن وصخور ومعاصر منحوتة في الصخور.

عسفيا:

مشهد من محيط بلدة عسفيا

تقع بلدة عسفيا جنوب شرق مدينة حيفا، وتبعد عنها 14 كم، وترتفع 518 متراً عن سطح البحر.

تم إنشاؤها على أنقاض مستعمرة بيزنطية.

بلغ عدد سكان عسفيا عام 1922م 733 نسمة، وفي عام 1931م وصل إلى 1105 نسمات، وفي عام 1945م ارتفع العدد إلى 1790 نسمة، منهم 1310 من الدروز و 180 من المسلمين و300 من المسيحيين. أما في سنة 1961 فبلغ عدد سكانها 2930 نسمة. أما الآن فيبلغ عدد سكان عسفيا نحو 9000 نسمة 70% منهم من الدروز والباقي من المسلمين والمسيحيين.

تحتوي بلدة عسفيا على عدة مواقع أثرية قديمة، مثل معصرة الزيتون الذي تشتهر البلدة بزراعته، ومدافن منقورة في الصخر، ويوجد بداخل القرية مقام أبو عبدا لله.

شفا عمرو:

أحد أحياء شفا عمرو

تقع مدينة شفا عمرو شمال شرق مدينة حيفا، وعلى بعد 20كم عنها، وترتفع عن سطح البحر 100م. تقوم مدينة شفا عمرو على بقعة أثرية كنعانية.

في عام 1881 بلغ عدد سكان شفا عمرو 2500 نسمة، إلا أن هذا العدد انخفض إلى 2288 نسمة عام 1922م وذلك بسبب تداعيات الحرب العالمية الأولى. في عام 1931 ارتفع عدد سكان المدينة إلى 2824 نسمة، وفي عام 1945 بلغ عدد سكانها 3640 نسمة، ثم انخفض هذا العدد إلى 3412 نسمة عام 1948 بسبب احتلال إسرائيل للمدينة وهجرة عدد من سكانها.

في عام 1973 أصبح عدد سكان شفا عمرو 12500 نسمة، فيما ارتفع العدد إلى 35300 نسمة حسب إحصاء جرى عام 2009م.

تعتبر مدينة شفا عمرو مدينة مختلطة حيث يعيش فيها المسلمون (57.9%) والمسيحيون (27.5%) والدروز (14.6%).

من الآثار القديمة والأماكن المقدسة عند الدروز في شفاعمر القبة والخلوة وقبر الشيخ أبو عربية وقبر الشيخ محمد العنزي.

المغار:

بلدة المغار، منظر عام

تقع بلدة المغار على السفوح الجنوبية لجبل حزور الذي يرتفع بمقدار 584 متراً فوق سطح البحر في منطقة شديدة الانحدار. والمغار بلدة مختلطة يعيش فيها الدروز والمسلمون والمسيحيون.

يقدر عدد سكان المغار بحوالي 19000 نسمة بحسب إحصائيات جرت في شهر كانون الأول عام 2006م نسبة الدروز بينهم 58%.

كسرا:

تقع قرية كسرا على بعد 25 كم عن الحدود اللبنانية، وترتفع 750 متراً عن سطح البحر، وتبعد عن مدينة عكا 30 كم، وهي قرية قديمة عثر فيها على مغارات ومقابر محفورة في الصخر، كذلك وجد فيها العديد من معاصر العنب وأثار قلعة قديمة.

يبلغ عدد سكان قرية كسرا حوالي 3500 نسمة جميعهم من الدروز، وفيها خلوة تحتوي على قبة الست سارة وخروبة مقدسة وقبر الشيخ أبو صالح سلمان.

الرامة:

مشهد عام لقرية الشاعر

أسم الرامة مشتق من كلمة "رام" الكنعانية بمعنى العالي. تقع الرامة على السفوح الجنوبية لجبل حيدر، وإلى الشرق من مدينة عكا، وتبعد عنها 29 كم، وترتفع 600 متر عن سطح البحر. تحيط بالرامة قرى بيت جن وسجور ونحف وسخنين والمغار وكفر عان. قدر عدد سكانها عام 1922م بـ748 نسمة، وفي عام 1945م 1960 نسمة، وفي عام 1948 بلغ عدد سكان الرامة 2307 نسمة، وفي عام 1949م "2329" نسمة، أما عدد سكان البلدة اليوم فيناهز 7000 نسمة من جميع الطوائف؛ 55 % مسيحيون، 30% دروز و15% مسلمون.

تحتوي القرية على بقايا معاصر ومدافن وفخار وأعمدة.

ساجور:

تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة عكا وتبعد عنها 29 كم وترتفع 375 عن سطح البحر، وتقوم في مكان قرية "شزور" في العهد الروماني، تبلغ مساحة أراضيها " 8236" دونماً وتحيط بها قرى البقعية والرامة ونحف، قدر عدد سكانها عام 1922م "196" نسمة، وفي عام 1945م "350" نسمة ، وفي عام 1949م (423) نسمة، وفي عام 1961م (600) نسمة، ويبلغ عدد سكانها اليوم حوالي 9000 نسمة.

تعد القرية من المواقع الأثرية، حيث تحتوي على بقايا حجارة وصهاريج قديمة.

يركا:

مشهد عام لقرية يركا

تقع بلدة يركا شمال شرق مدينة عكا، وترتفع 325 متراً عن سطح البحر، وهي من البلدات القديمة، وقد شهدت ظهور حركة الدعوة الموحدة في القرن الحادي عشر، وكانت مركزاً للدعوة في المنطقة. ولا يزال قبر الشيخ أبي سرايا غنايم، أحد نشيطي الدعوة قائماً فيها حتى اليوم،

وفيها أيضا ضريح يوسف الصديق والخلوة وسط القرية وخلوات الرغب على بعد 2كم منها.
يبلغ عدد سكانها اليوم حوالي15000 نسمة، 98.5% منهم من الدروز.

دير الأسد:

مشهد من دير الأسد

سميت بلدة دير الأسد بهذا الاسم نسبة إلى شيخ دمشقي كان يلقب بالأسد هو " محمد عبد القادر الجيلاني" الذي ارتحل إليها في عهد السلطان سليمان القانوني أواسط القرن السادس عشر الميلادي.

تقع القرية إلى الشمال الشرقي من قرية مجد الكروم في الجليل، وتقوم في المكان الذي كانت تقوم عليه قرية "بيت عناة" الكنعانية. تبلغ مساحة أراضيها " 8373" دونماً، وتحيط بها أراضي قرى البعنة وكسرا ونحف ويركا ومجد الكروم. قدر عدد سكانها عام 1922م بـ749 نسمة، وفي عام 1945م بلغ عدد سكانها1100 نسمة، وفي عام 1948م 1168 نسمة، وفي عام 1949م ارتفع العدد إلى 1255 نسمة، وفي عام 1996م إلى 8000" نسمة، ليصل في عام 2009م إلى حوالي 10000 نسمة.

في القرية مواقع أثرية تحتوي على بقايا جدران ومعصرة وكنيسة وبرجين وحظائر ونواويس وبركة منقورة في الصخر.

عين الأسد:

منظر من قرية دير الأسد

تقع إلى الجنوب الشرقي من بيت جن وإلى الشرق من قرية الرامة، وترتفع 570 مترا عن سطح البحر. قدر عدد سكانها عام 1922م بـ 48 نسمة وفي عام 1948م بـ 129 نسمة. ووصل العدد في عام 1961م إلى 250 نسمة، ليبلغ خلال عام 2010م نحو 700 نسمة جميعهم من أبناء الطائفة الدرزية.

جولس:

تقع قرية جولس على بعد 14كم شرق مدينة عكا، على تلة ترتفع 150 مترا عن سطح البحر، وهي مسقط رأس الشيخ أمين طريف الزعيم الروحي الراحل للطائفة الدرزية.
لقرية جولس أهمية كبيرة بالنسبة للطائفة العربية الدرزية، ففيها تقيم، منذ مئات السنين، القيادة الروحية للطائفة الدرزية في فلسطين، ويعيش فيها اليوم الشيخ أبو حسن موفق طريف، الرئيس الروحي للطائفة الدرزية، كما يوجد في القرية قبر الشيخ علي فارس وضريح للنبي شعيب.
يبلغ عدد سكان جولس اليوم حوالي ستة ألاف نسمة جميعهم من الدروز.

أبو سنان:

جانب من قرية أبو سنان

تقع قرية أبو سنان في الشمال الشرقي من مدينة عكا، ترتفع 75 متراً عن سطح البحر، وتحيط بها قرى عمقا وخربة جدين وكويكات والغابسية والسميرية والمنشية وكفر ياسيف ويركا.
بلغ عدد سكان أبو سنان عام 1922م 618 نسمة، وفي عام 1945م ارتفع العدد إلى 820 نسمة بينهم 30 مسلماً و380 مسيحياً والباقي من الدروز.

وشهد عام 1948م ازدياداً ملحوظا في عدد سكان القرية ليبلغ 1782 نسمة، لينخفض عام 1949 إلى 1448 شخصاً، وذلك بسبب هجرة بعض السكان على اثر نكبة عام 1948.
بلغ عدد سكان أبو سنان نهاية عام 2008م حوالي 11700 نسمة، 35% منهم ينتمون إلى الطائفة الدرزية والباقي من المسيحيين والمسلمين.

يوجد في أبو سنان موقع اثري يحتوي على صهاريج، معاصر، قبور وتجويفات محفورة في الصخر، على حجر طاحونة قدّ من الغرانيت. وفيها مقام النبي زكريا ومقام الشيخ الحنبلي.

البقيعة:

قرية البقيعة، مشهد عام

البقيعة قرية جبلية، تقع شمال شرق مدينة عكا وتبعد عنها نحو 29 كم. ترتفع القرية مقدار 620 متراً عن سطح البحر وتحيط بها أراضي قرى سحماتا وكفر سميع وكسرى وسجور وبيت جن وعين الأسد. سكانها من أبناء الطائفة الدرزية ومسلمون ومسيحيون ويهود.
قدر عدد سكانها عام 1922 بـ652 نسمة ، وفي عام 1945 بـ990 نسمة ، وفي عام 1948 وصل العدد إلى 1119 نسمة، لينخفض عام 1949 إلى 1036 نسمة. فيها خلوتان وحجرة الشيخ صالح أبو الملح.

بيت جن:

قرية بيت جن

تقع قرية بيت جن في الجليل، شمال شرق مدينة عكا التي تبعد عنها 34 كم. أقيمت القرية على أنقاض البلدة والقلعة الكنعانية القديمة "بيت داجون"، إله الغذاء والحبوب عند الكنعانيين. وفي فترة الحروب الصليبية سميت "دير دجن"، وعندما استوطنها الدروز حرف الاسم إلى "بيت جن".

سكنها الدروز والمسيحيون وبلغ عدد سكانها عام 1961م حوالي 2500 نسمة، أما في عام 2009م فقد بلغ عددهم 10500نسمة منهم 99.7% من الدروز. في القرية ثلاث خلوات، ومقام النبي "بهاء الدين"، وهو أحد الأنبياء المقدسين عند الطائفة الدرزية، وفيها أيضا العديد من الخرب.

قرية جت

منظر عام لقرية جت

تقع قرية جت، التي يعني اسمها باللغة الكنعانية المعصرة، في الجليل الأعلى، إلى الشمال الشرقي من مدينة عكا، وترتفع مقدار 350مترا عن سطح البحر. قدر عدد سكانها عام 1922 بـ137 نسمة، وفي عام 1945 بـ200 نسمة، وفي عام 1949 وصل العدد إلى 238 نسمة، واليوم يناهز عدد سكان قرية جت 8000 نسمة.

وفي القرية موقع أثري يحتوي على صهاريج وخزان مبني بالحجارة، ومدافن محفورة في الصخر.

حرفيش:

قرية حرفيش، منظر عام

تقع قرية حرفيش في الجليل الأعلى وتبعد 2كم عن الحدود اللبنانية الجنوبية، وترتفع عن سطح البحر 650 مترا. يشكل الدروز 97% من عدد سكانها البالغ 5000 نسمة حسب المصادر الدرزية عام 2010م . تحيط بالقرية أربعة جبال هي:جبل عدافر، جبل الطويل، جبل الجرمق وجبل النبي سبلان.

كفر سميع:

1.

تقع قرية كفر سميع إلى الشمال الشرقي من مدينة عكا وترتفع 620 مترا عن سطح البحر.

يحيط بها أراضي قرى سحماتا والبقعية وكسرا وترشيحا ويانوح.

قدر عدد سكانها عام 1922 بـ171 نسمة، وفي عام 1945 وصل العدد إلى 300 نسمة.

وفي عام 1948 بلغ عدد سكان كفر سميع 399 نسمة، ليهبط في عام 1949 إلى 388 نسمة.

واليوم يبلغ عدد سكان كفر سميع حوالي 4000 نسمة، وهي قرية مختلطة يعيش فيها الدروز الذين ويمثلون 97% من سكانها إلى جانب إخوانهم المسيحيين والمسلمين.
تعد القرية ذات موقع أثري يحتوي على أساسات وصهاريج ومدافن وقطع أرضية مرصوفة بالفسيفساء.

يانوح:

مشهد من قرية يانوح

تقع قرية يانوح شمال شرق مدينة عكا على بعد 4.5 كم إلى الجنوب الغربي من بلدة ترشيحا. ترتفع يانوح عن سطح البحر 600 مترا وتطل على مناطق عديدة لوقوعها على سلسلة جبال بارزة، وتشرف على منطقة السهل الساحلي بأكمله من رأس الناقورة حتى مدينة حيفا على سفوح جبل الكرمل.

أسسها الكنعانيون وعرفت يانوح منذ ألاف السنين بهذا الاسم الذي يعني باللغات السامية القديمة "يرتاح". يوجد في القرية مقام "سيدنا شمس عليه السلام"، وهو مقام مقدس بالنسبة لأبناء الطائفة الدرزية، يؤمّه رجال الدين وبقية أبناء الطائفة للصلاة وللبركة وإيفاء النذور.
بلغ عدد سكان يانوح في العام 2009 حسب المصادر الدرزية 3000 نسمة جميعهم من أبناء الطائفة الدرزية.

خبر مرض سميح

الشاعر سميح القاسم

يمر الشاعر الفلسطيني سميح قاسم بحالة صحية صعبة في مستشفى صفد شمال فلسطين، وذلك إثر معاناته من سرطان الكبد منذ ثلاث سنوات والذي لم يشف منه حتى الآن.

وكانت قد تدهورت حالة سميح القاسم قبل أسبوعين في مستشفى صفد، وصار في الأيام الأخيرة في شبه غيبوبة، يغفو ويصحو ويحاول الحديث ولكن بصعوبة بالغة.

سميح القاسم هو شاعر فلسطيني كبير ولد في الرملة ودرس في الناصرة، وقد اعتقل عده مرات بسبب مواقفه الوطنية والقومية ومقاومته للتجنيد الذي فرضه الاحتلال الإسرائيلي على الطائفة الدرزية في فلسطين المحتلة.

نعي

زوجة الفقيد وأبناؤه وعموم آل القاسم حسين وأقرباؤهم وأنسباؤهم وأصدقاء الفقيد ورفاقُه ينعونَ ببالغ الحزن والأسى وبقلوب يعتصرها الألم الشاعر العربي الفلسطيني الكبير، والعلَم الوطني والإنسانيّ والمناضل البارز، شاعر المقاومة والعروبة

سميح القاسم

الذي انتقل إلى رحمته تعالى مساء الثلاثاء 19/8/2014. ونعلن لأبناء شعبنا وكل محبّي الفقيد أن مراسم الجنازة ستجرى يوم الخميس 21/8/2014 في بلدة الرامة على النحو التالي:

-وصول الجثمان إلى بيت الشعب الساعة العاشرة صباحاً.

- مسيرة تنطلق من بيت الشعب الساعة الثانية عشرة والنصف إلى الملعب البلدي حيثُ يُسجّى الجثمان.

- إلقاء نظرة الوداع على الفقيد الكبير

- في تمام الساعة الثالثة تبدأ المراسم الرسمية بالصّلاة على روح الفقيد وكلمات تأبينيّة قصيرة.

لا أراكم الله مكروهاً بعزيز

فلسطين ودعت ابنها الشاعر الكبير سميح القاسم

الرامة .

شُيع ظهر أمس الخميس 2014/8/21 جثمان الشاعر الفلسطيني الكبير سميح القاسم في قريته الرامة تلاها مهرجان شعبي كبير في الملعب البلدي. فيما خيم الحزن والأسى على المدن والقرى العربية في الأراضي المحتلة عام 1948، منذ مساء الثلاثاء بعد إعلان وفاة القاسم ابن قرية الرامة، عن عمر يناهز 75 سنة، اثر مرض سرطان الكبد، أصابه قبل 3 أعوام ، وكان يرقد في مستشفى بمدينة صفد في الجليل ، لتلقّي العلاج الكيماوي. ورحل شاعر العربية الكبير القاسم صوت المقاومة الناصع القاسم وصاحب «غزة تبكينا لأنها فينا» أبو وطن رفيق درب محمود درويش، القابض على جمرة الشعر حتى النفس الأخير.

ويعتبر القاسم واحد من أهم وأشهر الشعراء الفلسطينيين في تاريخ فلسطين الحديث، إلى جانب الشعراء والكتاب الراحلين محمود درويش وتوفيق زّياد وإميل حبيبي وغيرهم من الرعيل الأول لشعراء وكتاب الأراضي المحتلة عام 48 بعد النكبة.

يعد الشاعر الراحل واحداً من أبرز شعراء فلسطين، وقد ولد لعائلة درزية فلسطينية في مدينة الزرقاء الأردنية عام 1929 وتعلّم في مدارس الرامة والناصرة. وكان القاسم قد اشتهر في

السبعينات من القرن الماضي، «بكتابات شطري البرتقالة»، بينه وبين محمود درويش حيث وصف صديقه الكاتب الفلسطيني عصام خوري هذه المراسلات بأنها «كانت حالة أدبية نادرة وخاصة بين شاعرين كبيرين قلما نجدها في التاريخ«.

ارتبط اسم القاسم بشعر الثورة والمقاومة من داخل أراضي الـ 48 المحتلة، مؤسس صحيفة «كل العرب« الأسبوعية ورئيس تحريرها الفخري، عضو سابق في الحزب الشيوعي.

اشتهر بكتابته هو وزميله الراحل الشاعر محمود درويش الذي ترك البلاد في السبعينات «كتابات شطري البرتقالة«.

وكان الرئيس الفلسطيني محمود عباس(أبو مازن) قد نعى الشاعر الراحل. وقال : «الشاعر القاسم صاحب الصوت الوطني الشامخ رحل بعد مسيرة حافلة بالعطاء والذي كرس جل حياته مدافعا عن الحق والعدل والأرض«.

وقال نجله الكبير وطن :» تعجز الكلمات في وصف شعور العائلة وشعبنا حيال رحيل سميح القاسم، فموت سميح صدمة. لكنه لم يمت وهو عايش وموجود لمئات السنين، وحتى في الثواني الأخيرة من حياته كانت الابتسامة لا تفارقه، فالموت لم يخفه، وقد كتب سميح عن الموت ولم يخف منه، مع انه لا يحب الموت، وأبي عبارة عن حالة شعرية مميزة، فقد أنتج الكثير، وأحد كتبه ألفه منذ عامين أثناء العلاج وسماه «أنها مجرد منفضة» وهو مذكراته. كما أصدر ديوانا قبل 5 أشهر بعنوان «كولاج» قصائده جميلة ومميزة».

وأضاف :»عندما دخل إلى المستشفى كانت هناك اتصالات كثيرة ومن كل أنحاء العالم للسؤال عنه، وهذا إن دل فيدل على أن سميح يجمع كل العالم ومن كل القوميات وكل الشعوب والطوائف. وذلك بسبب إنسانيته وحبه للناس والحياة. وسميح الأب كان الحنون والمعطاء وصاحب قلب كبير وكان متواضعا وحتى وهو على فراش الموت، كان يسأل عن كل شيء وكان شغله الشاغل الناس وقضايا شعبنا، ونحن نشعر كعائلته أن كل شعبنا معنا في مصابنا كلهم عائلتنا». وختم بالقول إن هناك الكثير الكثير من الشخصيات سوف تشارك في مراسم الجنازة اليوم وتشيعه إلى مثواه الأخير.

عضو الكنيست رئيس حزب الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة محمد بركة نعى على صفحة الـ«فيسبوك« وفاة القاسم قائلا :»الحبيب، حادي فلسطين، سميح القاسم وداعا«. وكتب عضو الكنيست الدكتور احمد الطيبي؛ غاب سميح القاسم.. غاب شاعر الوطن والمقاومة، ستبقى في وجداننا أخاً وشاعراً ومناضلاً وصديقاً«.

فيما نعى المطران عطاالله حنا رئيس أساقفة سبسطية للروم الأرثوذكس الشاعر الكبير سميح القاسم، وقدم التعزية لأرملة المرحوم وأبنائه وأسرته وأبناء بلدة الرامة خاصة والشعب الفلسطيني وامتنا العربية عامة.

الكاتب محمد علي طه قال:» ذهب الذين أحبهم، سميح صديق وفي وأخ، تربطني علاقة به منذ العام 1958، وكنا منذ ذلك الحين نلتقي، وكنا طوال الوقت نلتقي واقمنا اتحاد الكتاب معاً وعملنا في صحيفة «الاتحاد» معاً ومجلتي «الغد» و»الجديد».

أما زميله الكاتب الفلسطيني فتحي فوراني فقال:» تعجز الكلمات في وصف عمق الحزن إزاء رحيل سميح، واعتقد أن سميح خسارة لكل الشعر العالمي المعاصر، وهو باقٍ رغم ذهابه جسداً إلا انه قائم للأبد وارثه الأدبي والشعري سيبقى للأبد.

وأضاف :»علاقتي بسميح قائمة منذ 50 عاماً فقد كنا نلتقي دائما في الناصرة مع الكتاب والشعراء، أمثال الراحلين راشد حسين وسالم جبران وغيرهم من الرعيل الأول الذي شكل الخارطة الأدبية آنذاك في أراضي الـ48 المحتلة.

الشاعر سامي مهنا رئيس الاتحاد العام للكتاب العرب الفلسطينيين 48، قال:» سميح من الرعيل الأوّل من شعراء المقاومة«، جيلٌ ينتسب إلى قوة الخلق وشرف الريادة والشجاعة والرؤية والرّؤيا والتجاوز والاختراق. لم تكن المعادلة واضحةً وجاهزةً أمام هذا الجيل، فالانتماء الفلسطيني كان لا يزال يتفقّد جراحه ليتأكّد أنه لا يزال حيًّا. والعالم العربيّ كان أبعد من مجرّةٍ مفقودة، والشّعر كان يبحث عن صوته بين الاختناقات.

وأضاف :» قام الرعيل الأول ومنهم راشد حسين وسميح القاسم ومحمود درويش وتوفيق زياد وحنا أبو حنا وسالم جبران، من الرماد، كمعجزةٍ أسطوريّةٍ، ووطنٍ يتشكّل من طين الانكسارات،

وشعرٍ يخرج من محاراتٍ منسيّة. يرتجلون الانتماء والتحدّي والاختلاف وابتكار القصيدة بالحدْس والغريزة والعاطفة، تمامًا كالأسماك التي تولد بعيدةً وتعود إلى وطنها دون مرشدٍ أو دليل.

اتحاد الكتاب نعى الراحل سميح القاسم وقال :»ببالغِ الحزنِ والأسى ومرارة الفقدان، ينعى الاتحاد العام للكتّاب والأدباء الفلسطينيين إلى أبناء شعبنا الفلسطيني العظيم، في الوطن والشتات، وإلى أبناء امتنا العربية، وإلى الإنسانية جمعاء، الشاعر العربي الفلسطيني والأممي الكبير سميح القاسم الذي غيّبه الموت مساء الثلاثاء الموافق التاسع عشر من آب /أغسطس 2014.

وإذْ يعرب الاتحاد عن شعوره بفداحة الخسارة للحركة الثقافية في فلسطين، وفي الوطن العربي، والعالم الحرّ، برحيل هذه القامة الثقافية العالية، فإنّه يستذكرُ بمزيد من الفخر الدور الذي لعبه القاسم، إلى جانب الراحلين الكبيرين توفيق زيّاد ومحمود درويش، في التأسيس لمدرسة المقاومة الشعرية، والتي انطلقت شرارتها الأولى من داخل الدائرة الضيّقة التي أغلقها الغاصبون بالنار والحديد على ذلك الجزء العزيز والغالي من وطننا، وليكسر الشعراء الثلاثة، ومن جيلهم من مثقفينا هناك، تلك الدائرة السوداء محلقين في الفضاءات العالية.

كان الراحل واحداً من الجيل المؤسس للكلمة المقاتلة على طريق تشييد مدرسة شعرية ثورية محكمة الأساسات والبنيان، كانت فلسطين، وشعبها، وقضيتها، وأحزانها، وآلامها، وأحلامها، وتطلعاتها بوصلتهم، ورؤاهم، فاستحقوا بجدارة أن يكونوا أساتذة، وأن تتربى في مدرستهم أجيال شعرية، وتتعلم منهم الكثير، والكثير.

برحيل الشاعر الكبير سميح القاسم عن عالمنا وغزّة تغرق بالدم على أيدي الوحش الصهيوني الذي يوغل في دمنا يوما بعد يوم. وفيما القاسم يصارع مرضه اللعين وعيناه تحدّق بما يجري لأبناء شعبنا في تلك البقعة الغالية من وطننا، وكأنّه يريد أن يوصل وصية غير مكتوبة لنا، وهي أن الشعراء، لا يموتون، وأن الكلمة المقاتلة يجب أن تواجه هذا الموت، سواء كان موتا فرديا، أو جماعيا.

على الصعيد نفسه تسابق المئات من محبي القاسم في التعبير عن حبهم لشاعر المقاومة فتناقلوا صوره وإشعاره عبر شبكات التواصل الاجتماعي كما تناقلوا الجمل التعبيرية منها.

وكان الآلاف من أبناء الشعب الفلسطيني عرب 48 في بلدة الرامة بالجليل شيعوا جثمان الراحل الكبير الشاعر سميح القاسم.

وانطلق الموكب الجنائزي من بيت الشعب مرورا بشوارع قرية الرامة في الجليل مسقط رأس الراحل، وصولا إلى الملعب البلدي، حيث ألقت شخصيات عدة كلمات تأبينية قبل مواراة جثمان الراحل الثرى في جبل حيدر الذي أوصى أن يدفن فيه.

وتحدث رئيس ديوان الرئاسة حسين الأعرج في كلمته ممثلا عن الرئيس محمود عباس، مبرزا مناقب الفقيد ودوره الوطني في خدمة القضية الفلسطينية من خلال شعره وأدبه.

وأكد الأعرج أن فلسطين والأمة العربية فقدت شاعر القضية الفلسطينية والانسانية، وقامة شعرية وأدبية وفارسا من فرسانا لوطن الذين ساهموا باستنهاض الأمة، ومناضلا وطنيا وقوميا مخلصا، أثرى ثقافتنا الوطنية بالشعر والأدب والمسرح وترك بصمة في مسيرة الشعر المقاوم .

وقدم الأعرج التعازي باسم الرئيس محمود عباس لأهل الراحل الكبير، كما سلمهم رسالة تعزية من الرئيس محمود عباس ومن أمين عام الرئاسة الطيب عبد الرحيم، وشارك في تشييع الجثمان عدد من أعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، واللجنة المركزية لحركة فتح، وعدد من الشخصيات الرسمية والوطنية، وعدد من الأعضاء العرب في الكنيست.

وأشار الزعيم الروحي للطائفة الدرزية الشيخ موفق طريف، إلى مناقب الراحل الذي وصفه «بعملاق الشعر والادب والعلم الفلسطيني الخفاق، معبراً عن اعتزاز الطائفة الدرزية بإنجاب شاعر كبير مثل سميح القاسم والذي وصلت كلماته الى العالم«.

بدوره، قال المطران عطا الله حنا قال: «جئنا ونحن ننتمي لديانات مختلفة ولكننا نتوحد في وداع شخصية وطنية ونتوحد للدفاع عن قضايا الامة العربية وهي فلسطين«، لافتا إلى أن

الراحل أفنى حياته في الدفاع عن وطنه وعدالة قضيته وشعبه، وستبقى أشعاره وكلماته حاضرة في ثقافتنا.

من جهته، نعى رئيس محكمة الاستئناف الشرعية سابقا داخل أراضي 1948م، أحمد ناطور الراحل الكبير، مضيفا، «أنت يا شاعرنا الكبير وطن في رجل، وستبقى في قلوبنا، ولن ننساك، وستبقىأشعارك محفورة في ذاكرتنا».

الشاعر في سطور

مدينةالزرقاالإردنية بلدةالراماالفلسطينية

ولدلعائلةعربيةدرزيةفلسطينيةفيمدينةالزرقاءالأردنيةفي 11 مايو 1939،وتعلّمفيمدارسالرامةوالناصرة .

وعلّمفيإحدىالمدارس،ثمانصرفبعدهاإلىنشاطهاالسياسيفيالحزبالشيوعيقبلأنيتركالحزبويتفرّغلعملهالأدبي .

كانَوالدُهُضابطاًبرتبةِرئيس(كابتن) فيقوّةحدودشرقالأردنوكانَالضبّاطيقيمونَهناكمععائلاتهم .

حينَكانتالعائلةفيطريقالعودةإلىفلسطينفيالقطار ،فيغمرةالحربالعالميةالثانيةونظامالتعتيم،بكىالطفلسميحف ذُعرَالركَّابوخافوا أنْتهتديإليهمالطائراتالألمانية !

وبلغَبهمالذعردرجةالتهديدبقتلالطفلإلىآناضطرالوالدإلىإشهارسلاحهفيوجوههملردعهم،وحينَرُوِيَتالحكاية لسميحفيمابعدتركَتْأثراًعميقاًفينفسه :

"حسناًلقدحاولواإخراسيمنذالطفولةسأريهمسأتكلّممتىأشاءوفيأيّوقتوبأعلىصَوت،لنْيقوبأحدٌعلىإسكاتي ."

- وروىبعضشيوخالعائلةأنَّجدَّهمالأولخيرمحمدالحسينكانَفارساًمِنأسياد القرامطةقَدِمَمِنشِبهالجزيرةال عربيةلمقاتلةالرومواستقرَّبهالمطافعلىسفحجبلحيدَرفيفلسطينعلىمشارفموقعكانَمستوطنةللروم . ومازالَالموقعالذينزلفيهمعروفاًإلىاليومباسم" خلَّةخير "علىسفحجبلحيدرالجنوبي .

- وآلحسينمعروفونبميلهمالشديدآلىالثقافةوفيمقدّمتهمالمرحومالمحاميعليحسينا لأسعد،رجلالقانونو المربيالذيألّفوترجَموأعدَّالقواميسالمدرسيةوكتَبَالشِّعروتوزَّعَتْجهودُهُبينَفلسطينوسورياولبنانوأَقامَم عهدالشرقلتعليماللغاتا لأجنبيةفيدمشق .

الصحافة

سميحالقاسمعرفبمقاومتهالدائمةللاحتلالالإسرائيلي،وسجنمراتعديدة،وفرضتعليها لإقامةالإجباريةوالاع تقالالمنزليوطردمنعملهعدةمراتبسببنشاطهالشعريوالسياسي .اشتغلمعلماًوعاملاًوصحفياً .

أسهمفيتحريرصحيفةالغدوالاتحادثمرئستحريرمجلةهذاالعالمعام

1966،ثمعادللعملمحرراًأدبياًفيالاتحادوسكرتيراًلتحريرالجديدثمرئيساًللتحرير .

وأسسمنشوراتعربسكفيحيفامعالكاتبعصامخوريعام 1973 ،وفيمابعدأدارالمؤسسةالشعبيةللفنونفيحيفا .

وهورئيسمجلسإدارةتحريركلالعربالصادرةفيالناصرة،ورئيستحريرالفصليةالثقافيةإضاءات .

الأدبوالشعر

صدرلهأكثرمنأربعينكتاباًفيالشعروالقصةوالمسرحوالمقالة .

وصدرتأعمالهفيسبعةمجلداتعنتلاثدورنشرفيالقدسوبيروتوالقاهرة .

ترجمعددكبيرمنقصائدهإلىالانجليزيةوالفرنسيةوالتركيةوالروسيةوالألمانيةواليابانيةوالإسبانيةواليونانيةوا لإيطاليةوالتشيكيةوالفيتناميةوالفارسيةولغاتأخرى .

وفاته

توفيالشاعرالفلسطينيسميحالقاسمبعدصراعمعالمرضتوفيمساءيوم 19أغسطس2014،عنعمرينا هزالـ 75،بمستشفىصفدبإسرائيل .

أعماله

قصائدودواوين

توزّعت أعمال سميح القاسم ما بينَ الشعر والنثر والمسرحية والرواية والبحث والترجمة.

- 1. مواكب الشمس –قصائد– (مطبعة الحكيم، الناصرة، 1958م)
- 2. أغاني الدروب –قصائد– (مطبعة الحكيم، الناصرة، 1964م).
- 3. إرَم –سربية– (نادي النهضة في أم الفحم، مطبعة الاتحاد، حيفا، 1965م).
- 4. دمي على كفِّي –قصائد– (مطبعة الحكيم، الناصرة، 1967م).
- 5. دخان البراكين –قصائد– (شركة المكتبة الشعبية، الناصرة، 1968م).
- 6. سقوط الأقنعة –قصائد– (منشورات دار الآداب، بيروت، 1969م).
- 7. ويكون أن يأتي طائر الرعد –قصائد– (دار الجليل للطباعة والنشر، عكا، 1969م).
- 8. إسكندرون في رحلة الخارج ورحلة الداخل –سربية– (مطبعة الحكيم، الناصرة، 1970م).
- 9. قرقاش –مسرحية– (المكتبة الشعبية في الناصرة، مطبعة الاتحاد، 1970م).
- 10. عن الموقف والفن –نثر– (دار العودة، بيروت، 1970م).
- 11. ديوان سميح القاسم –قصائد– (دار العودة، بيروت، 1970م).
- 12. قرآن الموت والياسمين –قصائد– (مكتبة المحتسب، القدس، 1971م).
- 13. الموت الكبير –قصائد– (دار الآداب، بيروت، 1972م).
- 14. مراثي سميح القاسم –سربية– (دار الأداب، بيروت، 1973م).
- 15. إلهي إلهي لماذا قتلتني؟ –سربية– (مطبعة الاتحاد، حيفا، 1974م).
- 16. من فمك أدينك –نثر– (منشورات عربسك، مطبعة الناصرة، 1974م).
- 17. وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم! –قصائد– (منشورات صلاح الدين، القدس، 1976م).
- 18. ثالث أكسيد الكربون –سربية– (منشورات عربسك، مطبعة عتقي، حيفا، 1976م).

- 19. الكتاب الأسود –يوم الأرض– (توثيق، مع صليبا خميس)، (مطبعة الاتحاد، حيفا، 1976م).
- 20. إلى الجحيم أيها الليلك –حكاية– (منشورات صلاح الدين، القدس، 1977م).
- 21. ديوان الحماسة / ج 1 –قصائد– (منشورات الأسوار، عكا، 1978م).
- 22. ديوان الحماسة / ج 2 –قصائد– (منشورات الأسوار، عكا، 1979م).
- 23. أحبك كما يشتهي الموت –قصائد– (منشورات أبو رحمون، عكا، 1980م).
- 24. الصورة الأخيرة في الألبوم –حكاية– (منشورات دار الكاتب، عكا، 1980م).
- 25. ديوان الحماسة / ج 3 –قصائد– (منشورات الأسوار، عكا، 1981م).
- 26. الجانب المعتم من التفاحة، الجانب المضيء من القلب –قصائد– (دار الفارابي، بيروت، 1981م).
- 27. الكتاب الأسود –المؤتمر المحظور– (توثيق، مع د. إميل توما)، (مطبعة الاتحاد، حيفا، 1981م).
- 28. جهات الروح –قصائد– (منشورات عربسك، حيفا، 1983م).
- 29. قرابين –قصائد– (مركز لندن للطباعة والنشر، لندن، 1983م).
- 30. كولاج –تكوينات– (منشورات عربسك، مطبعة سلامة، حيفا، 1983).
- 31. الصحراء –سربية– (منشورات الأسوار، عكا، 1984م).
- 32. *برسونا نون غراتا: شخص غير مرغوب فيه* –قصائد– (دار العماد، حيفا، 1986م).
- 33. لا أستأذن أحداً –قصائد– (رياض الريس للكتب والنشر، لندن، 1988م).
- 34. سبحة للسجلات –قصائد– (دار الأسوار، عكا، 1989م).
- 35. الرسائل –نثر– (مع محمود درويش)، (منشورات عربسك، حيفا، 1989م).
- 36. مطالع من أنثولوجيا الشعر الفلسطيني في ألف عام –بحث وتوثيق– (منشورات عربسك، حيفا، 1990م).
- 37. رماد الوردة، دخان الأغنية –نثر– (منشورات كل شيء، شفاعمرو، 1990م).

- 38. أُخْذة الأميرة يبوس –قصائد– (دار النورس، القدس، 1990م).
- 39. الأعمال الناجزة (7 مجلّدات) (دار الهدى، القدس، 1991م).
- 40. الراحلون –توثيق– (دار المشرق، شفاعمرو، 1991م).
- 41. الذاكرة الزرقاء (قصائد مترجمة من العبرية– مع نزيه خير)، (منشورات مفراس، 1991م).
- 42. الأعمال الناجزة (7 مجلّدات) (دار الجيل، بيروت، 1992م).
- 43. الأعمال الناجزة (6 مجلّدات) (دار سعاد الصباح، القاهرة، 1993م).
- 44. الكتب السبعة –قصائد– (دار الجديد، بيروت، 1994م).
- 45. أرضٌ مراوغةٌ. حريرٌ كاسدٌ. لا بأس! –قصائد– (منشورات إبداع، الناصرة، 1995م).
- 46. ياسمين (قصائد لروني سوميك– مترجمة عن العبرية، مع نزيه خير)، (مطبعة الكرمة، حيفا، 1995م).
- 47. خذلتني الصحارى –سربية– (منشورات إضاءات، الناصرة، 1998م).
- 48. كلمة الفقيد في مهرجان تأبينه –سربية– (منشورات الأسوار، عكا، 2000م).
- 49. سأخرج من صورتي ذات يوم –قصائد– (مؤسسة الأسوار، عكا، 2000م).
- 50. الممثل وقصائد أُخرى (منشورات الأسوار، عكا، 2000م).
- 51. حسرة الزلزال –نثر– (منشورات الأسوار، عكا، 2000م).
- 52. كتاب الإدراك –نثر– (منشورات الأسوار، عكا، 2000م).
- 53. ملك أتلانتس –سربيات– (دار ثقافات، المنامة–البحرين، 2003م).
- 54. عجائب قانا الجديدة –سربية– (منشورات إضاءات، مطبعة الحكيم، الناصرة، 2006م).
- 55. مقدمة ابن محمد لرؤى نوستراسميحداموس –شعر– (منشورات إضاءات، مطبعة الحكيم، الناصرة، 2006م).

- 56. بغداد وقائد أُخرى –قصائد– (منشورات إضاءات، مطبعة الحكيم، الناصرة، 2008م).
- 57. بلا بنفسج (كلمات في حضرة غياب محمود درويش) – (منشورات الهدى، مطبعة الحكيم، الناصرة، 2008م).
- 58. أنا مُتأسّف –سربية–(منشورات إضاءات، مطبعة الحكيم، الناصرة، 2009م).
- 59. مكالمة شخصية جداً (مع محمود درويش)–شعر ونثر– (منشورات إضاءات، مطبعة الحكيم، الناصرة، 2009م).
- 60. كولاج 2 –شعر– (منشورات إضاءات، مطبعة الحكيم، الناصرة، 2009م).
- 61. لا توقظوا الفتنة! –نثر– (منشورات إضاءات، مطبعة الحكيم، 2009م).
- 62. كتاب القدس –شعر– (إصدار بيت الشعر، رام الله، 2009م).
- 63. حزام الورد الناسف –شعر– (منشورات إضاءات، مطبعة الحكيم، الناصرة، 2009م).
- 64. الجدران (أوبريت) –شعر– (منشورات إضاءات، مطبعة الحكيم، الناصرة، 2010م).
- 65. أولاد في حملة خلاص –حكاية شعرية لبيرتولد بريشت (مترجمة عن العبرية)– (منشورات إضاءات، مطبعة الحكيم، الناصرة، 2010م).
- 66. ملعقة سُمّ صغيرة، ثلاث مرّات يومياً –حكاية أوتوبيوغرافية– (منشورات إضاءات، مطبعة الحكيم، الناصرة، 2011م).
- 67. إنها مجرّد منفضة –سيرة (الجزء قبل الأخير)– (دار راية للنشر، حيفا، 2011م).
- 68. منتصب القامة أمشي –مختارات شعرية– (منشورات الأسوار، عكا، 2012م).
- 69. هواجس لطقوس الأحفاد –سربية– (منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت) ومنشورات كل شيء (حيفا)، 2012م).
- 70. كولاج 3 –شعر– (منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت) ومنشورات كل شيء (حيفا)، 2012م).

جوائزوتكريمات

حصلعلىالكثيرمنالجوائزعنشعرهمنها« غارالشعر »منأسبانيا،وجائزةالبابطينللإبداعالشعري .
وجائزةتجيبمحفوظللادبالعربي .

الدكتور / حمد بن عبد العزيز الكواري
وزير الثقافة والفنون والتراث

سميح القاسم في ظلال الدوحة

منذ عدّة أيام افتقدنا واحداً من أبرز المقاومين شعراً وصموداً، الشاعر الفلسطيني سميح القاسم.

ولسميح القاسم مع الدوحة قصة، لم يفتأ يذكرها ويشيد بها حتى في غيبة الموت. فالدوحة أول مدينة عربية يطأ ثراها بعد فلسطين في التسعينيات.

كان سفير فلسطين أنذاك أحد أبنائها البررة " يس الشريف" الذي جمع حب قطر وفلسطين، وظل يعمل في قطر حتى وري الثرى، كانت تربطني به علاقة ودّ وتقدير، وقد اقترح دعوة الشاعر سميح القاسم لزيارة قطر، ولم يكن معروفاً كثيراً أنذاك، وكان يقيم في فلسطين 48، ولم يكن الأمر سهلاً، ولكن تجرّأنا ودعوناه ليكون الجسرة أنذاك من أنشط النوادي الثقافية.

التقيت بسميح القاسم بحضور يس الشريف، وقدّم لي مرافعة بالظلم الواقع على عرب الأرض المحتلة، وأنهميرغبون في التواصل مع أشقائهم العرب، بإقامة أيام ثقافية.

وبعد أخذ وردّ بما هو سائد من مفاهيم أنذاك، اقتنعت، واستشرت رئاستي فوافقت، ولم يكن القرار سهلاً أنذاك.

وبعد عدّة أشهر أقمنا أياماً ثقافية لعرب فلسطين، وكان في مقدمتهم الشاعر سميح القاسم، وأتذكر السعادة والامتنان على وجوههم وهو يرون لأول مرّة أرضاً عربية تستقبلهم، وشعباً

أصيلاً يحتضنهم، وقدّموا لوحات راقصة تعبر عن تمسكهم برتراثهم، ولوحات فنية تعبر عن مقاومتهم، وندوة شعرية لشاعرهم الكبير سميح القاسم.

بقي سميح شاكراً لقطر قيادة وشعباً حتى توفاه الله.

سميح

القاسم في الدوحة

يحيى يخلف

وزير الثقافة الفلسطيني الأسبق

رحل سميح القاسم بعد حياة حافلة بالشعر والكفاح وحب الوطن وحب الحياة، وعلى خطى نبضات ودقات قلب الأرض مشى في دروب الحرية، ونثر على الطريق صرخته وناره ورسائل عشقه وصدى غضبه واشتباكه مع المحتل مقرنا الكلمة بالممارسة، رابطا القول بالعمل، والإبداع بالفعل، محملا الكلمة أكثر مما تحتمل الحروف، وكعبد الرحيم محمود وإبراهيم طوقان وعبد الكريم الكرمي وغسان كنفاني ومحمود درويش ومعين بسيسو وعشرات غيرهم ضبط خطواته على خطى الفدائيين والمقاومين ولهب الكفاح المسلح والشعبي، فكان الشعر الفلسطيني جزءا من أدبيات الثورات الفلسطينية المتعاقبة، من ثورة 1936 حتى المقاومة الباسلة في غزة، وخلق مع رفاقه المبدعين في مطلع الستينيات من القرن الماضي ظاهرة فريدة في الأدب العربي هي ظاهرة أدب المقاومة، ظاهرة لم تكن موجودة بشكلها ومضمونها اللذين وصلا إلينا، فمثّل ذلك إضافة نوعية أغنت المحتوى الكفاحي والتحرري في الفكر والثقافة العربيين. تحلى سميح بسلوك اتسم بالبساطة، والخلق الكريم عبر فيه عن ثراء ثقافته، وعمق انتمائه، وصدق مشاعره، وحميمية آسرة حببت إليه قراءه وأبناء شعبه الفلسطيني والعربي، وأكد بسلوكه كمثقف أن السلوك في ذروة تجلياته هو التعريف الحقيقي للمثقف، كان سميح هو النموذج والأمثولة، توفرت في شعره كل العناصر الفنية التي حولت معظم قصائده إلى أغاني وأناشيد، وأيقونات، وصارت مسيرته الشعرية على مدى أكثر من خمسة عقود سجلا لمسيرة كفاح شعبه، ووثيقة سياسية واجتماعية ونضالية لكل المحطات التاريخية التي مر بها الشعب الفلسطيني. من الصعب الإحاطة بسيرة ومسيرة سميح في هذه العجالة، فإبداع سميح الشعري يحتاج إلى دراسات وكتب وليس مقالة مقتضبة، ولعلي اختم كلامي بما هو شخصي، فقد رافقت فترة مرضه التي امتدت ثلاث سنوات ونصف، وكنت شاهدا على صراعه الشجاع مع المرض، وقدرته على الصمود، وقوة الحياة في روحه، فقد ظل يتحلى بمعنويات عالية، وكان لديه تصميم على الانتصار في هذا الصراع، فمنذ أن اخبرنا البروفسور

جمال زيدان الذي اشرف على علاجه قبل ما يزيد على ثلاث سنوات أن حالته خطيرة، وان أمامه ثلاثة شهور فقط قبل أن يودع الحياة، حاولت أيامها مع عدد من الأصدقاء إقناعه بسرعة إقامة حفل زفاف ابنه عمر التي تم تأخيرها بسبب مرضه، إلا انه رفض وأصر على أن يكون الحفل في نهاية الصيف القادم، أي بعد تسعة شهور، كنا نود إدخال الفرح إلى قلبه، لكنه أراد أن يوحي لنا انه سيعيش وينتصر على المرض، وبالفعل جاء الصيف، وأقيم حفل الزفاف، وتزوج ابنه عمر، وأنجب له بعد عام حفيدا وهو ينحاز إلى الحياة في مواجهة الموت، وخلال تدهور حالته في الآونة الأخيرة كنت أزوره، وكانت آخر زيارة في مستشفى صفد قبل ثلاثة أيام، وكان يومها في وضع مقبول، وعندما دخلت المستشفى وضعت على أنفي الكمامة التي يتعين وضعها لدى زيارة مريض يفتقر إلى المناعة، دخلت عليه وانحنيت لكي اقبل جبينه، فمد يده وانزل الكمامة عن وجهي، وأصر على أن يقبلني. كنت اشعر في داخلي بأن هذا اللقاء ربما يكون الأخير، وان حلاوة روحه هذه ناجمة عن مقاومته للموت، وفي جو مفعم بالحميمية سألني عن عائلتي وعن روايتي الجديدة التي سبق أن أخبرته إنها قيد الإعداد، وعن العدوان في غزة، وتحدثنا عن أولادنا وأحفادنا، وفوجئت به يطلب من ابنه وطن الذي كان موجودا، فوجئت بأنه يطلب من وطن أن يريني على هاتفه الذكي مقطع فيديو يظهر فيه وهو يداعب حفيده. (سميح الصغير) ابن ولده عمر، في مشهد رائع يعيد سميح الجد إلى فرح طفولي ما مر بذاكرة شاعر. رحل سميح ولكنه ظل (باق في الرامة) كما ظل أميل حبيبي، الذي أوصى أن يكتب على شاهد قبره (باق في حيفا)، الرامة التي عاش بها مع عائلته، كما عاش بها آباؤه وأجداده، سميح اختار منذ أكثر من عشرة أعوام مكان دفنه وضريحه. اختار أرضا على تلة قريبة من بيته، وأعدها لتكون قبره وحديقته، يطل منها على سهول وتلال فلسطين وطبيعتها الساحرة التي خلقها الله منذ الأزل، سميح يذهب هناك ليموت كما تموت الغزلان، لينام هناك مثل حبة قمح تغفو في باطن الأرض الطيبة والحنونة المجبولة بمسك الشهداء.

محمود عباس

الرئيس الفلسطيني

ينعى شاعر المقاومة سميح القاسم

رحل بعد أن أهدى شعره للمغلوبين في العالم متحديا الظلم بتفاؤل طائر الرعد

نعى رئيس دولة فلسطين محمود عباس شاعر المقاومة الفلسطينية الكبير سميح القاسم، الذي غيبه الموت مساء أمس الثلاثاء، بعد صراع مع المرض.

وقال الرئيس في كلمة النعي: "إن الشاعر القاسم صاحب الصوت الوطني الشامخ، رحل بعد مسيرة حافلة بالعطاء مكرسا جل حياته مدافعا عن الحق والعدل والأرض ".

وكان الرئيس محمود عباس قلد الشاعر الكبير سميح القاسم، وسام نجمة القدس في الثامن عشر من شهر كانون الأول عام 2011، تقديرا لأعماله الشعرية التي أبرزت عمق وحيوية الهوية الفلسطينية، ونقلت كفاح ونضال شعبنا إلى أرجاء المعمورة. وأشاد سيادته بمسيرة الشاعر القاسم، التي جعلته رمزا وطنيا ملتزما بقضيته ووحدة شعبه وكفاحه العادل، وأوصلت عدالة القضية الفلسطينية إلى عمق الضمير الإنساني.

وفي وقت لاحق اتصل الرئيس الفلسطيني هاتفياً من الدوحة بأرملة الشاعر، وقدّم لها التعازي في وفاة أحد رموز فلسطين، والمجاهرين بالمقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي بالكلمة منذ نعومة أظافره، وحتى وفاته.وكذلك قدّم التعازي إلى نجله " وطن" وإلى العائلة بأسرها، مثمناً دوره في الحياة الفكرية داخل فلسطين وخارجها، ومعرباً عن حزنه الشديد بوفاته.

أحمد الطيبي :

في تأبين الشاعر سميح القاسم:

أقيم في قرية الرامة الجليلية حفل تأبين لشاعر العروبة والمقاومة سميح القاسم وذلك بمشاركة قيادات وطنية واجتماعية وتمثيل رسمي عن رئيس دولة فلسطين محمود عباس، وعائلة الفقيد وأصدقائه ورفاق دربه.

وألقى الدكتور أحمد الطيبي ، رئيس الحركة العربية للتغيير، كلمة مميزة في تأبين الشاعر سميح القاسم قال فيها :

سميح القاسم .. صوتُ قَلبِ البلادْ

السلامُ عليكَ الآنْ .. وَأَنتَ الفارسُ الذيْ تَرَجَّلَ مُعافَىْ فِي الُّلجَّةِ البيضاءْ .. حاملاً نَكباتِ شَعبِكَ لِلقيامةْ .. أَيُّها السَّميحُ عَقلُكَ القاسِمُ عَلىْ ذَاتِكَ/الوطنْ .. الذيْ صِرْتَهُ فَصارَ اسمُكَ مَقروناً بِهِ كَظِلِّهْ.

رَحَلْتَ لأَنَّ قَلبَكَ حَملَ مَا لا طَاقَةَ لَهُ بِهْ .. حَمَلْتَ بِهِ البلادَ طِوالَ عُمرِكْ .. فَهَا هِيَ البلادُ تَحْمِلُكَ البَقِيَّةْ .. وَهِيَ بَاقِيَةٌ عَلىْ الكلِمةِ الحُرَّةِ التيْ سَطَّرْتَهَا مَعَ العُظماءْ .. تَوفيقْ زَيَّادْ وَمحمودْ دَرويشْ .. مِن قَلبِ البِلادِ عَلىْ شاطِئِ المُتَوسِطْ .. فَخَلَّدْتُمْ بِهَا شَعبَكُمْ .. إِسماً وَفِعلاً فِي الثَّقافَةِ الكَونِيَّةْ.

قالَ الشاعرُ الرَّاحِلُ قَبلَكَ عَبد اللطيفْ عَقلْ:

"هُوَ الشِّعرُ .. لَمَّا يُناضِلُ يَزْهُوْ .. وَلَمَّا يُداهِنُ يِكْبُوْ .. وَلَمَّا يُنافِقُ أَقسىْ مِنَ الطَّعنِ فِي الخَاصِرَةْ" .. أَقُولُهَا الآنَ فِي حَضرَتِكَ وَأَنتَ الحَاضِرُ فِي الغِيابْ .. أَنتَ صَاحِبُ شِعرٍ نَاضَلَ فَزَهَىْ وَعَاشْ .. وَسَتَبقَىْ فِينَا قَصيدَتُكَ التيْ لا تَموتْ .. أَيُّهَا العَارِفُ البَنَّاءْ .. الذيْ شَيَّدَ مَعرِفَتَهُ ينَ سُؤالَينْ: سُؤَالُ الوَطَنِ وَسُؤالُ الهُوُيَّةْ .. وَبَنَىْ بَينَهُمَا مَا يَكفِيْ لِيُمِيطَ اللِّثامَ عَنْ مَسأَلَةِ الهُوُيَّةِ فِي الوَطَنِ المُشْتَهَىْ .. مُتَجاوِزاً فِعْلَ الطَّمسِ وَالمَحْوِ وَالإلغاءْ .. وَمُبْطِلاً فَاعِلِيَّتَهْ.

شاعر ناضل ولم يلن، لم يخضع لسلطان أو حاكم في زمن الهبوط الرديء الذي باع فيه المثقف نفسه بأبخس الأثمان هنا وهناك.

نعم ، هناك من يدفع ثمن مواقفه وهناك من يقبض ثمن مواقفه.

قَالَ شَاعِرُنا الكَوْنِيُّ مَحمودْ دَرويشْ:

هَلْ نَحْنُ جِلْدُ الأَرْضْ؟ .. عَمَّنْ تَبحَثِ الكَلِماتُ فِينَا .. وَهِيَ التيْ عَقَدَتْ لَنَا فِي العالَمِ السُّفْلَيِّ مَحكَمَةَ البَصيرَةْ .. كُنَّا إِذْ نَعُضُّ الصَّخْرَ نَفتَحُ حَيِّزاً لِلْفُلِّ .. لَكِنَّنَا لَمْ نُعْلِ تِينَتَنَا لِيَشْنُقَنَا عَليها القَادمُونَ مِنَ الجَنَوبْ.

الآنَ فِي الصَّخْرِ تَحتَكَ تَفْتَحُ حَيِّزاً لِلْفُلِّ يَا سَميحْ .. فَيَفوحُ عِطْرُكَ مِنهُ وَأَنتَ تَعُضُّ الصَّخْرَ تَحتَكْ .. وَتزرَعَ زيتونَةَ الحَياةْ .. فَنَنْسِجُ مِمَّا تَرَكْتَهُ مِنْ أَثَرِكَ فِي الكِتابَةْ .. مَقُولَةً لَمْ تَكُنْ قُلْتَهَا مِن قَبْلْ .. نَنْثُرُهَا عَلىْ ضَرِيحِكَ لِتَعْلَمَ أَنَّنَا عَلىْ الدَّربِ وَالعَهْدِ وَالوَعْدْ:

وَيَكونُ أَنْ تَأتِيْ يَا طَائِرَ الرَّعْدِ لا أَنْ تَروحْ .. نَعَمْ تَأَتِيْ فِي "مَواكِبِ الشَّمسْ" .. وَفِي "أَغانِي الدُّروبْ" .. وَتَقولَ عِندَ "سُقوطِ الأَقنِعَةْ": "دَمِيْ عَلىْ كَفِّيْ" .. وَتَخْرُجَ مِن "دُخانِ البَراكينْ" .. تَستَنْشِقَ "ثَالِثَ أُكسيدِ الكَربونْ" .. وَتَقرأَ لَنَا مِنْ "المَوتِ الكَبيرْ" .. "قُرآنَ المَوتِ واليَاسَمِينْ" ..

فَتُصْبِحَ "الصُّورَةَ الأَخيرةَ فِي الأُلبومْ" .. وَنَرىْ "الجَانبَ المُعتِمَ مِنَ التُّفَّاحَةْ، الجَانِبَ المُضيءْ مِنَ القَلبْ" ..

وَأَنتَ تُنهِيْ "مُكالَمَةَ شَخصيَّةً جِدَّاً مَعَ مَحمودْ دَرويشْ" .. وَتَمْشِيْ مُنتَصِبَ القَامَةِ عَلىْ عَادَتِكْ .. وَتُنْشِدَ بِنَا تَقَدَّمُوا تَقَدَّمُوا.

شَاعِرِيَّتُكَ التيْ قَدَّمَتْهَا إِنْسَانِيَّتُكْ .. كَانَتْ مَحطَةً مُهِمَّةً فِي تَارِيخِنَا .. بَنَتْ عَلَىْ مَا قَبْلَهَا .. وَعَبَّدَتِ الطَّرِيْقَ لِمَا بَعْدَهَا .. لَيْسَ فِي الشِّعرِ فَحَسبْ .. بَلْ فِي الحَياةِ بِكُلِّ صُنُوفِهَا .. فَنَمْ قَريرَ العَينِ يَا رَعدَ القَصيدَةْ.

عَليكَ السَّلامُ حَتَّى تَرضَىْ .. وَقبلَ أَنْ تَرضَىْ .. وَبَعْدَهَا

سَلامٌ عَلىْ رُوحِكَ .. سَلامٌ عَليكْ

سميح يا حبيب الشمس, يا موال فلسطين

وداعا !

أحمد حازم

وداعاً يا شاعر العرب

"منتصب القامة أمشي.. مرفوع الهامة أمشي" نعم هكذا كنت أيها الراحل، شامخا w في حياتك بوطنك، شامخا w في شعرك القوي والمقاوم بحروفه، هذا الشعر الذي دفع بدول عربية وأجنبية عديدة لمنحك جوائز تقدير على أعمالك.

رحل عنا الشاعر، رحل عنا الأديب، رحل عنا الروائي، رحل عنا الإعلامي، رحل عنا المسرحي، رحل عنا الكبير، رحل عنا شاعر العرب، رحل عنا سميح القاسم ليلقى رفيق دربه في الحياة الراحل محمود درويش، فكما عاشا مع بعض سنوات طويلة في الحياة العادية والسياسية، يلتقيان مجددا في الآخرة.

صحيح أن الموت الذي لم يخافه الراحل قد خطفه من محبيه الملايين في الوطن العربي، ومن محبيه الأجانب الذين عشقوا شعره المترجم إلى لغاتهم، لكن هذا الموت نقله إلى جوار صديقه الراحل محمود درويش، لتتعانق روحيهما في الآخرة، كما التصق أحدهما بالآخر سياسيا في الدنيا.

رحل عنا أبو محمد جسدياً، لكنه سيظل معنا ومع الأجيال الفلسطينية والعربية القادمة على مدى العمر، لأن أعماله ستبقى خالدة، ستبقى مرجعا أدبيا ووطنيا لهم، فا لإنسان الكبير تخلده أعماله، والإنسان الكبير تخلده مواقفه، لأن الرجال العظماء يظهرون من خلال أعمالهم ومواقفهم، وأنت أيها الراحل كنت الكبير في شعرك، وكنت الكبير في مواقفك، وكنت الكبير في علاقاتك الإنسانية، لكنك كنت أكبر وأكبر لفلسطين ودافعت عنها ضد الاحتلال حتى اللحظات الأخيرة من حياتك.

عرفتك شاعراً معطاءً، عرفتك شهماً جريئاً، عرفتك مواجهاً عنيداً لمن يمس بفلسطين وصورتها، عرفتك شاعراً مميزاً يختلف عن بقية الشعراء الكبار في العالم العربي، لأن فلسطين فيك، ولأنك

كبرت مع فلسطين، فكان شعرك عنوان الفلسطيني، وكان شعرك عنوانا لكل عربي يبحث عن فلسطين.

رحل عنا سميح القاسم، فأصبح الفلسطينيون بغيابه يتامى لأنهم فقدوا الشاعر الأب، والعرب من المحيط إلى الخليج فقدوا الشاعر العربيالمميز، الذين رأوا فلسطين في شعره، ورأوا مقاومة المحتل الاسرائيلي في نثره وشعره وأدبه بشكل عام، فأي فاجعة هذه للفلسطينيين، وأي فاجعة هذه للعرب.

سجنك المحتل الإسرائيلي مرات عديدة، فزادك السجن قوة وعنادا لمقاومته، وضعك المحتل رهن الإقامة الجبرية والاعتقال المنزلي، فزادك الاعتقال تمسكاً بمواقفك، هددوك بالقتل داخل وخارج الوطن فلم تأبه لهم وبتهديدهم، طردوك من عملك مرَّات عدّة بسبب شعرك ومواقفك السياسية فبقيت صامداً، وعشت صامداً مواجهاً معلماً.

رحل عنا سميح القاسم، وعزاؤنا الوحيد هو روائعه الخالدة، وتراثه الذي يتجسد في الكتب الثمانين التي أصدرها، ومعظمها دواوين شعر ونثر وأعمال مسرحية شهيرة، هي اعتزاز وفخر لكل عربي بشكل عام وللفلسطيني بشكل خاص.،فكل قصيدة له تنطق اسمه، وكل مسرحية له تتجلى صورته فيها، وكل أعماله تعكس صورته الرائعة وطنيا واجتماعيا.

"منتصب القامة أمشي.. مرفوع الهامة أمشي" نعم هكذا كنت أيها الراحل، شامخا في حياتك بوطنك، شامخا في شعرك القوي والمقاوم بحروفه، هذا الشعر الذي دفع بدول عربية وأجنبية عديدة لمنحك جوائز تقدير على أعمالك.

أيها الراحل، لن ينساك الفلسطيني في أي مكان يتواجد فيه، ولن ينساك العربي في كل بقعة يعيش فيها من المحيط إلى الخليج، والشي الأهم لن ينساك أبطال المقاومة ضد الاحتلال، لأنهم سيظلوا يرددون رائعتك مخاطبين المحتل:" "تقدموا.. تقدموا براجمات حقدكم وناقلات

جندكم، فكل سماء فوقكم جهنم.. وكل أرض تحتكم جهنم". رحمك الله أيها الشاعر الكبير .

محمد سلماوى

الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب ينعى الشاعر الفلسطينى سميح القاسم

نعى الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب برئاسة الكاتب الكبير محمد سلماوى، فى بيان له الشاعر العربى الكبير سميح القاسم، الذى رحل عن عالمنا منذ ساعات قليلة.

وجاء فى نص البيان "فقدت الأمة العربية شاعرًا من أهم شعرائها المعاصرين، هو الشاعر العربى الفلسطينى الكبير سميح القاسم، الذى جعل صوته الشعرى صوتًا لقضيته الوطنية، فكانت قصائده ودواوينه رسائل حق لكل الشرفاء فى العالم، تعرفهم بالقضية الفلسطينية، وتضع أيديهم على جراح شعب عظيم، احتلت العصابات الصهيونية أرضه منذ مائة عام، تحت نظر القوى الكبرى، وبمباركتها.

وأشار البيان أن سميح القاسم واحد من نسل الشعراء العرب والفلسطينيين الكبار، وأيقونة من أيقونات الشعر العربى على مدار تاريخه، سوف تحفظه ذاكرة الشعر العربى دائمًا وأبدًا، لأنه مع رفاقه من شعراء فلسطين، وحد بين القصيدة والقضية، فجسدها وارتفع بها وأعطاها صوتها، وصدر للعالم إبداعها النقى الملهم الذى لا يموت، والذى هو الدليل على وجود ورفعة الشعب العربى الفلسطينى الحر، وأحقيته فى أرضه وتاريخه ومقدساته وأمجاده.

وأكد البيان أن كل الكلام يعجز عن رثاء سميح القاسم الذى أخضع الكلام وأدخله طائعًا فى قصائده، هذا الشاعر الذى لم يصنع تاريخًا لذاته فقط، بل صنع تاريخًا للشعر، ولأرضه القديمة العريقة، ولشعبه الصامد المقاوم البطل.

واختتم البيان "رحم الله سميح القاسم، وعوضنا عنه شعراء ومقاومين تنجبهم أرضنا العربية التى لا تكف عن إنجاب الموهوبين

أنور حامد

أنت تركت الحصان وحيدا":سميح القاسم التحق برفيقه الأزلي

ولد سميح القاسم عام 1939 وخطا أولى خطواته في قرية الرامة في فلسطين، وفي مدارسها بدأ يخط الكلمات الأولى، ثم تابع دراسته في الناصرة.

بعد سنوات تسع حصل الزلزال، وقلب حياة الفتى، كما غيره، رأسا على عقب، وربما خط طريقه اللاحق، في الشعر والسياسة، الذين امتزجا منذ البداية، فكان هناك فيض من القصائد التي أطلق عليها النقاد العرب خارج السياج "شعر المقاومة"، وضموا إلى هذه الفئة أشعار سميح القاسم ومحمود درويش وتوفيق زياد وغيرهم.

صدر له أكثر من 60 كتاباً في الشعر والقصة والمسرح والمقالة والترجمة.

شاعر المقاومة كان سميح في رأي البعض، ولم يكن يتقبل الوصف بغير تحفظ، فحسه الشعري والنقدي يقول إن ذلك ربما تضمن اتهاما لقصائده بالمباشرة.

هو لم يكن حريصا على نفي هذه "التهمة" بحدة وجمود، وأصدق ما يعبر عن مفهومه للمباشرة (الخلاقة) مقولة كتبها في مقدمة أحد دواوينه (اختار له عنوان "ديوان الحماسة"). كتب في مقدمة الديوان يقول "هناك سوناتا سيئة ومارش جيد".

استعار في المقولة السابقة لغة الموسيقى ليعبر عن مفهومه للمباشرة التي لا تعني بالضرورة السقوط في "العادية"، هو يتحدث عن "المباشرة السهلة الممتنعة" ويستشهد في إحدى مقابلاته بشعراء عالميين كبار ، كـ لوي أراغون وناظم حكمت، الذين يرى أنهما اعتمدا المباشرة في أشعارهما، دون أن تفقد تلك الأشعار "الدهشة الشعرية".

تعددت صفات الشعر الذي كتبه سميح القاسم بتعدد الرؤى النقدية، فما بين صفة "الشعر المقاوم" التي اعتمدها الكثيرون و "ما بعد الحداثة" التي ذهبت إليها الشاعرة والباحثة سلمى الخضراء الجيوسي لتعتبره "الشاعر العربي الوحيد الذي تظهر في أشعاره ملامح ما بعد الحداثة"، اتسع ما كتب في شعره لأكثر من صفة.

وكما رفض لبس ثوب الشاعر المقاوم دون أن يسمه بسماته الخاصة، كان له رأي في موضوع الحداثة وما بعد الحداثة.

قال في مقابلة أجراها معه عثمان حسن ونشرت في جريدة الدستور "هناك فرق بين استهلاك الحداثة وبين الاستحداث، والحداثة تنبع من الداخل وهي ابنة العصر. في هذا الصدد انا ازعم ان الاغلبية الساحقة من افراد امتي ما زالت تراوح في حدود القرن الرابع عشر ووعي القرن الرابع عشر واخلاقيات القرن الرابع عشر وأيضا هواجس القرن الرابع عشر".

يشير سميح القاسم هنا إلى مأزق ثقافي عربي بامتياز، نجده حاضرا في التجارب الشعرية والمسرحية والروائية: كيف تكون "كاتبا ما بعد حداثي" في مجتمع يراوح في ثقافة الإقطاع" ؟

فكما عانت تجارب المسرح العربي و "تجريبيته" انفصاما عن الثقافة السائدة، كذلك لا بد للشاعر الذي ينهل من الثقافة العالمية ويتأثر بها بينما هو أسير ثقافة مجتمعه أن يقع في الاغتراب الإبداعي.

ويعتقد سميح في نفس المقابلة السابقة أن بالإمكان تجنب هذا المأزق بأن يستقي الشاعر حداثته من التراث ولا يسقطها على شعره إسقاطا.

رفيق الدرب

كان والشاعر محمود درويش رفيقين في الحزب الشيوعي وفي الصحافة (أسهَمَ في تحرير "الغد" و"الاتحاد")، وفي "الشعر المقاوم".

فبين "يا عدو الشمس إني لن أساوم ولآخر نبض في عروقي سأقاوم" لسميح و "سجل أنا عربي" لمحمود هناك أكثر من سمة مشتركة: الغنائية والمباشرة والتحدي، وكلها صفات وليدة لوضع عاشه الشاعران معا: مقاومة طمس الهوية القومية، القمع، تقييد الحريات التي كان الفلسطينيون يعانون منها في السنوات الأولى بعد تأسيس دولة إسرائيل.

بقي الشاعران يمارسان نشاطهما في صفوف الحزب الشيوعي، ثم قرر محمود درويش الانسلاخ عن الفضاء المشترك، حيث قرر في إحدى رحلاته إلى موسكو التوجه إلى القاهرة عوضا عن العودة إلى حيفا.

كانت هذه هي النقطة التي بدأ عندها مسارا الرفيقين في الابتعاد عن بعضهما، في الشعر والسياسة والعلاقة الشخصية.

منذ رحلته الأحادية تلك بدأ محمود درويش بالابتعاد تدريجيا عن أسلوب بداياته الشعرية، متجها نحو الفلسفة والوجدانية والإبحار في جماليات اللغة، بينما بقي شعر سميح القاسم يتطور في نفس الاتجاه.

ولعل انعتاق محمود درويش من القيود الأيديولوجية ساهم في تحرير شعره بينما بقيت تلك القيود جاثمة على شعر سميح الذي بقي ملتزما بالحزب الشيوعي فترة أطول، وربما كان هذا هو السبب الذي جعل شعره يتطور في نفس الاتجاه تقريبا.

وإذا تأملنا في الألقاب التي أسبغها عليه نقاد عرب مختلفون لرأينا أنه"شاعر المقاومة الفلسطينية" وهو "شاعر القومية العربية" وكذلك "شاعر الغضب الثوري" على حد تعبير الناقد المصري رجاء النقاش، وهو "شاعر الملاحم"، و"شاعر المواقف الدرامية"

بقلم/ تحسين يقين

سميح القاسم: جبينه المنارة والوطن

تاريخنا الأدبي المعاصر، وتاريخ شخصي لنا لقرائه من فلسطين والعالم، على مدار زمننا كان زمننا، ولم يزل جزءاً من تكويننا الأدبي والوطني والإنساني، فكيف نكون وحدنا بدونه؟ كيف نكون؟ صار منا كما كنا كشعب وقضية وطنية وإنسانية نبيلة منه، وهو الذي كمان يفكر ويشعر بهذا الهمّ: فلسطين.

فلسطين ظلت على مدار حياته همه الشخصي والعام، لم يتصور نفسه أو شعره بدونها، فقط كان يدخل مرحلة ويخرج، يدخل أسلوبا شعريا ويفارق، يدخل التجارب السياسية والإعلامية ويخرج، لكن في كل ذلك لم تخرج منه فلسطين.

لنا سميح القاسم، وإذا تحدثنا عنه فإننا نتحدث عن أنفسنا كفلسطينيين، عاشوا شعره، جزءاً من شعره حسب العمر، ولآخرين كثر في العالم من تعرفوا على شعره أن يعيشوا إنسانية شعره، التي استحق بها الخلود.

ولنا حياته، وابتسامته وصوته، الذي سمعناه فكان للشعر مذاق آخر، وهو الذي أعلاه في كل العواصم ليعلي فلسطين.

كم أحبَّ سميح القاسم بلاده العربية، أول مرة زار فيها القاهر، أخذته اللغة العربية في الشوارع والمحلات والناس، بعد طول سجن في فلسطين المحتلة، فلم يكن يستطيع زيارة الدول العربية، مثله كمثل شعب فلسطين داخل الوطن السليب، فهل كان السبب هو الوثائق؟ وهل هكذا هو جزاء من بقي في فلسطين بعد عام 1948؟

كلنا أطفال وفتيان فلسطين قرأنا سميح القاسم، لم نقرأه في كتب المدرسة، بل خارجها، كنا نرى أنفسنا فيه، وبالنسبة لنا، لم نكن نرى فلسطين لا الوطن ولا حياتنا العادية في كتب التعليم، لكننا حين قرأنا شعره قلنا هذا الشاعر يتحدث عنا، نحن هنا، وهو لا يحبنا فقط بل يحترمنا، نحن لسنا ناسا بل شعب مهم، وبهذا فقد شجعنا كيف نكون فلسطينيين ومقاومين ومثقفين.

لقد امتلك القاسم موهبة شعرية فائقة، لكنه لم يعتمد عليها فقط، بل ارتقى إبداعياً لها، لعله أراد الارتقاء لفلسطين القضية والإنسان، فالمتابع لشعره يجد بناء شعريا إبداعيا، كنصوص ودواوين بل داخل القصيدة نفسها، ولم يكرر نفسه، فكان سميح القاسم أسلوبا قائما بذاته ضمن التجربة الشعرية المعاصرة في فلسطين المحتلة عام 1948، وفي فلسطين التاريخية والشتات. فكيف كان ينظم شعره؟

كان يبدأ القصيد ويسير به على مهل، يسافر مع القارئ وربما مع نفسه، ليقول كلمته: الرسالة بما فيها من شعور إنساني، وطني وذاتي، فلم يكن بوسعه أن يضع حدا بين الخدّ وبين التفاح، وبين البحر والتراب:

كنت دوما معجبا بقصيدته: أصـوات مـن مـدن بعيـدة، التي فيها يؤكد على البعد القومي وحفظ الوطن والبقاء والمقاومة والثورة والعتاب لمن ترك شعبا وحيدا أمام الريح!

لعل القصيدة كما تحدثت عن ماض قريب أو بعيد قليلا، ما زالت تتحدث عن حاضر أليم نعيشه في فلسطين، كل فلسطين:

"يا رائحين إلى حلب

معكم حبيبي راح

ليعيد خاتمة الغضب

في جثة السفاح.."

يبدأ الشاعر بهم بالعرب والعروبة، في وعي ظل يلازمه حول الدور القومي، ربما كان يقوى بالعرب عن بعد، على طريقة الفتى الذي قال لمطارديه لي أخوة شداد، فخافوا..ولربما كانت حلب وعدن وأسوان:

"يا رائحين إلى عدن

معكم حبيبي راح

ليعيد لي وجه الوطن

ونهاية الأشباح ..

يا رائحين، وخلفكم

عينًا فتيً سهران

ما زال يرصد طيفكم

قمراً على أسوان ..

قلبي تفتت , والتقى

في روضكم ..ورده

عودوا بها ..والملتقى

في ساحة العوده !"

ظل أمله قائما في هذه القصيدة وغيرها، لعلنا ننهل من هذا الوحي، ليكون وعيا قوميا دائما.

بهذا الوعي على عروبته، نراه كشاعر وكفلسطيني يمتلك القوة والإرادة، لل ثير العزيمة في شعبه:

"يجيئون ليلا , يجيئون

فاستيقظوا استيقظوا

واحرسوا القرية الخائفه.."

ثم ليؤكد على أهم سلاح للمقاومة لمن بقي في وطنه بعد نكبته؛

"جعلتني ابنها من قرون

أرضعتني البقاء

دفّقت في عروقي الدماء

وهي شاءت فكنتُ كما آمنتْ أن أكون

وهي شاءت ..فكان الكتاب

نعمة في يديّ

وهي شاءت ..فكان الشتاء السخيّ

وانتهى العدْو خلف السراب !"

ارضعه وطنه البقاء في زمن الاستلاب، فكانت اللغة والكلمة والكتاب وديوان الشعر حضورا للإنسان، تأكيدا على للقوة والضعف جوانب أخرى، وأن قوة الإنسان هي الأهم وجودا وخلودا..وبهذا الشعور يثور:

"قومي اشهديني ..صاعداً كالريح، من كهْفي الذليلِ

قومي اشهدي عينيّ، مصباحين في الليل الطويل

آتٍ لأحصد حنطتي، وأعيد ترتيب الفصول.."

ونحن نقرأ نلك الأبيات نتذكر أنه على عدة دورات لمؤتمر هرتسليا الإسرائيلي، كان فلسطينيو عام 1948 هم القضية الأكثر حضورا استراتيجيا في إسرائيل، ولأجل ذلك رأى الغزاة فيهم خطرا، لدرجة إبداء الندم على عدم طردهم وتهجيرهم، وما تصريحات ليبرمان إلا تجليا لهذا الشعور الصهيوني.

فنراه هنا في ظل وعيه على مأساته، مدركا للضوء في مأساة فلسطين الطويلة:

"مقطوعةَ الضفائر

في الوحل، يا حبيبتي

في الشوك، في الحفائر

مقطوعةَ الوريد ياحبيبتي

مقلوعة الأظافر !

ولم يزل جبينك المناره

في عتمة الضمائر

ولم يزل صوتك يا حبيبتي

فضيحة القاتل ..بعد ليلة الخناجر

ولم أزل أنتظر الإشارة"

لأشعل المجامر

لأنني مازلت يا حبيبتي

أومن في فجيعتي

بالضوء ..بالإنسان ..بالحضاره !"

هي نظره الإنسان كما نرى والحضارة، فم يبقى ولا يستسلم هو المؤمن بالإنسانية والحضارة، لذلك فإن يبقى ويقوم الغزاة.

وكما بدأ بالعروبة، فإنه هنا يختتم بها ولكن جعل فضاءه الإنسانية كلها، كإيحاء المفجوع عن مسؤولية الآخرين تجاه المأساة الفلسطينية الحاضرة:

"مَرُّوا على بابي مع الليل

مروا وما دقوا

ويلي إذا لم يرجعوا، ويلي

سيميتني الشوق !

مروا، وكنت وراء نافذتي

جرحاً على خشبه

لم يسألوا أغراب ناحيتي :

يا ناس ! من صلبه ؟"

لقد اهتم الشاعر كثيرا بالبعد القومي والإنساني دائما، كشاعر قومي وأممي، لم تصرفه الأممية عن القومية أبدا، فليس هناك تناقض أصلا بينهما. هكذا هو وعي الشاعر وشعوره.

لعلنا نحمل هذا الوعي والشعور ونحن نواصل بقاءنا في فلسطين، في الجبال والهضاب والسهول، في الغور، في الصحراء، وعلى شاطئ البحر..

لقد ظل الشاعر ينادي، وهذا قبس من أصــواته مـن المـدن البعيــدة والقريبة. كان وفياً ولم يزل، وبهذا استحق سميح القاسم الخلود إنسانياً ووطنياً وعالمياً وإبداعياً.

حنا أبو حنا

أخي سميح !

ما كنت أحسب أني سأرثيك وأقول مع أحمد شوقي في رثاء الشاعر حافظ إبراهيم :

" قد كنت أوثر أن تقول رثائي يا منصف الموتى من الأحياء".

يا من شمختُ سنديانة رائعة وملأت الفضاء أنغامًا تحتضن الحبّ والإباء والتحدي!

أخي !

هل تسمح – وأنت السميح – أن أعود بالذاكرة إلى شيء من الماضي إلى الحديقة

التي نُبُتُت دوحتك فيها.

أخي ! أنت تعلم أن لنكبة شعبنا أبعادًا شتّى فقد شُرِّد الأدباء والشعراء في العاصفة،

ثم انقطعت الصلة مع العالم العربي وبقينا أيتامًا . ولم يبق هنا سوى عدد من الأدباء

والشعراء لا يتجاوز عدد أصابع اليدين وهم في مطالع العشرينيات .

وكان الحاكم العسكري الذي يكمم الأفواه ويخنق المعلمين والتعليم ويشنّ هجمة "ثقافية " عشواء عبر دور النشر والصّحف والمجلات وصحف الأطفال!

بل إن بن غوريون ناقش مع طاقم خاصّ أمر إلغاء تعليم العربية والتعامل معها في المدارس العربية!

لم يكن بدّ من التحدّي والتصدّي دفاعًا عن ثقافتنا بل السعي لازدهارها...

كان أحد الشعارات في الإجتماع الذي عقد في حيفا سنة 1951 لإصدار مجلة "الجديد" " أن نرعى أجيالا جديدة من الأدباء والشعراء تتصدّى للحملة...

وترعى أنفاس الكرامة والإباء والنحدّي.

كان احتضان المواهب الواعدة أمرًا رعته المهرجانات الشعرية والندوات الأدبية، وتشجيع النشر وغَيرة عدد من المعلمين المخلصين.

كان توفيق زيّاد ومحمود درويش وسميح القاسم وراشد حسين وشفيق حبيب وعيسى لوبانيوآخرون. وأنت تعرف هذا الإحتضان .

وقد امتاز هؤلاء الشعراء بالروح النضالية والصمود والريادة في مجالي الشعر، وخلّفوا تراثًا رائعًا لحدائق الشعر العالمي .

وكم يحزنني اليوم أن أراجع أسماء من فارقونا بعد أن حلّقوا فيسماء الإبداع وغرسوا في هذه الأرض رياض الكرامة والتحدي.

مرّة أخرى – عليك السلام يا طيف سميح الذي لحق بحبيبه محمود

وبالإخوة الأباة الخالدين .

بقلم/ د.حنا عيسى

في رثاء الشاعر الكبير "سميح القاسم"

(حينما يرثى شاعراً لا نفقد شاعراً فقط .. بل نفقد حرفا أبجديا وكل الكلمات تلبس ثوب الحزن والخواطر ترثيه .. تختنق الأحرف بدموعها وتغرق القافيات في بحر الآهات)

نعم ..مساء يوم الثلاثاء الموافق 2014/8/19 رحل الشاعر الفلسطيني الكبير سميح القاسم في مسقط رأسه البلد الأم فلسطين التاريخ والجغرافيا .. رحل الشاعر والحرارة مرتفعة تعبيراً عن حرارة الروح الوفية الصادقة التي سادت حياة الشاعر الكبير سميح القاسم في الذود عن فلسطين وقضيتها العادلة.. رحل الشاعر ومازالت الأمانة في أعناقنا تنتظر الحرية وحق تقرير المصير ..رحل أبا وطن قائلا نعم لن نموت..نعم سوف نحيا .. هذه الثنائية الموت والحياة ,بل أحادية الحياة والانعتاق والتحرر بكل مضامينها الوطنية هي اختيار شهيدنا البطل أبا وطن وهذا الاختيار ممتد ومتواصل كما ترجمه استشهاد شاعرنا الكبير عبد الرحيم محمود في الأربعينيات من القرن المنصرم :

سأحمل روحي على راحتي وألقي بها في مهاوي الردى

فإما حياة تسر الصديق وإما ممات يغيظ العدا

عشرات السنين وأبا وطن في لهيب المعركة وهو مع الأمل ...مع النهار ومع قطرات المطر وجذور الصخر و الحجر ..مع الحياة .. مضى وكل الأشياء في دمه وبين كفيه حتى آخر لحظة احتفظ بندى الفجر الأتي المشع بشراسة الموقف المنحاز إلى الوطن والمنساب بين ذرات رمل الوطن.. نعم ,رحلت يا أخينا ويا حبيبنا ونحن بأمس الحاجة إلى شعرك و أدبك وحكمتك وخبرتك ..رحلت وأنت تبتسم للحياة ..تبتسم لأصدقائك ومحبيك ..رحلت وأنت تقول : أنا لا أحبك يا موت – لكني لا أخافك ..أبا وطن ..رحمك الله.. قلنا لك في حياتك ونقول لك في مماتك :

في القلب أنت كخفق القلب نحمله يسامر القلب يمحو الحزن بالمرح

بوركت وبورك من أعطاك منزلة تبقى كتاج على الأمجاد و المنح

الرامة تتيه بفخر حينا نذكرها كالورد فاض على الأغصان بالملح

نعم رحلت أيها الشاعر ..رحلت وتركت من ورا ئك زوجتك وأبنائك وأصدقائك ومحبيك ..وتركت فينا الحنان و الفرح و المرح ..تركت فينا الأمل والتفاؤل والحياة ..تركت فينا الحب و الاحترام ..تركت فينا لغة الاستمرار و البقاء ..تركت فينا اليقظة و النهوض إلى الأمام ..تركت فينا أن نبقى على العهد من اجل وطننا فلسطين.

نعم ,سوف نبكيك ..لأنك تستحق البكاء الذي يذرف من أعيننا حزنا على رحيلك أيها الشاعر الكبير ..كبير في حياتك وكبير في مماتك.

أعلم أيها الشاعر الكبير بأنك كنت ولا زلت وستبقى في أعلى المراتب من قلوبنا.

خذني معك" قصيدة سميح القاسم في رثاء محمود درويش"

تَخلَّيتَ عن وِزرِ حُزني
ووزرِ حياتي
وحَمَّلتَني وزرَ مَوتِكَ،
أنتَ تركْتَ الحصانَ وَحيداً.. لماذا؟
وآثَرْتَ صَهوةَ مَوتِكَ أُفقاً،
وآثَرتَ حُزني مَلاذا
أجبني. أجبني.. لماذا؟.
• • • • •
عَصَافيرُنا يا صَديقي تطيرُ بِلا أَجنحهْ
وأَحلامُنا يا رَفيقي تَطيرُ بِلا مِرْوَحَهْ
تَطيرُ على شَرَكِ الماءِ والنَّار. والنَّارِ والماءِ.
مَا مِن مكانٍ تحطُّ عليهِ.. سوى المذبَحَهْ
وتَنسى مناقيرَها في تُرابِ القُبورِ الجماعيَّةِ.. الحَبُّ والحُبُّ
أَرضٌ مُحَرَّمَةٌ يا صَديقي
وتَتفَرِطُ المسْبَحَهْ
هو الخوفُ والموتُ في الخوفِ. والأمنُ في الموتِ
لا أَمْنَ في مجلِسِ الأَمنِ يا صاحبي. مجلسُ الأمنِ
أرضٌ مُحايدَةٌ يا رفيقي
ونحنُ عذابُ الدروبِ
وسخطُ الجِهاتِ

ونحنُ غُبارُ الشُّعوبِ

وعَجْزُ اللُّغاتِ
وبَعضُ الصَّلاةِ
على مَا يُتاحُ مِنَ الأَضرِحَهْ
وفي الموتِ تكبُرُ أرتالُ إخوتنا الطارئينْ
وأعدائِنا الطارئينْ
ويزدَحمُ الطقسُ بالمترَفين الذينْ
يُحبّونَنا مَيِّتينْ
ولكنْ يُحبُّونَنَا يا صديقي
بِكُلِّ الشُّكُوكِ وكُلِّ اليَقينْ
وهاجَرْتَ حُزناً. إلى باطلِ الحقِّ هاجَرْتَ
مِن باطلِ الباطِلِ
ومِن بابل بابلٍ
إلى بابلٍ بابلِ
ومِن تافِهٍ قاتلٍ
إلى تافِهٍ جاهِلِ
ومِن مُجرمٍ غاصِبٍ
إلى مُتخَمٍ قاتلِ
ومِن مفترٍ سافلٍ
إلى مُدَّعٍ فاشِلِ
ومِن زائِلٍ زائِلٍ
إلى زائِلٍ زائِلِ
وماذا وَجَدْتَ هُناكْ

سِوى مَا سِوايَ
وماذا وَجّدْتَ
سِوى مَا سِواكْ؟

تعتبر العلاقة بين الشاعرين " سميح القاسم ومحمود درويش" علاقة ترتكز في جزء منها على محبة بعضهما لبعض ليس بحكم الشاعرية التي يلتقيان فيها، ولكن بحكم المعاناة التي يعانيها كلاهما من الاحتلال الإسرائيلي.

وقد كانت وفاة محمود درويش صدمة لأخيه سميح، بكاه دمعاً، ورثاه شعراً، فكانت هذه القصيدة التي أحببت أن أضيفها للكتاب.

ديالا الرفاعي

سميح القاسم..ما عاد الحصان وحيداً

غيّب الموت مساء الأمس شاعر المقاومة والأديب الفلسطيني الكبير سميح القاسم، عن عمر ناهز 75 عاماً، جرّاء إصابته بسرطان الكبد منذ ثلاث سنوات.

نُقل سميح القاسم الأسبوع الماضي إلى مستشفى صفد شمال الأراضي المحتلة لتلقي العلاج، بعد تدهور حالته الصحية نهاية الشهر الماضي، وتزايدت حالته الصحيّة سوءاً نهاية الاسبوع الماضي حيث عانى من وضع صحي حرج كما قال وطن أكبر أبناء القاسم.

جمع آب بين سميح القاسم ومحمود درويش توأم المقاومة وصاحبيّ المراسلات الوطنية والشعرية، وصديقيّ النضال والأدب الموت. فها هو سميح القاسم يرحل في آب كما رحل محمود درويش في الشهر ذاته من عام 2008، وترجلان مخلفيين وراءهما إرثاً من أدب المقاومة تتغنى به الشعوب والأجيال.

وتناقلت منذ مساء الأمس العديد المواقع الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي آخر ما كتبه سميح القاسم نهاية الأسبوع الماضي عن الموت:

أنا لا أحبّك يا موت.. لكنني لا أخافك

وأدرك أن سريرك جسمي..وروحي لحافك

وأدرك انّي تضيق عليّ ضفافك

أنا لا احبّك يا موت.

لكنني لا أخافك!

يعد سميح القاسم واحداً من أبرز شعراء فلسطين، ولد لعائلة درزية فلسطينية في مدينة الزرقاء الأردنية عام 1929، وتعلّم في مدارس الرامة والناصرة. وعلّم في إحدى المدارس، ثم انصرف بعدها إلى نشاطه السياسي في الحزب الشيوعي قبل أن يترك الحزب ويتفرّغ لعمله الأدبي. تنوعت أعماله بين الشعر والنثر والمسرحيات المراسلات ووصلت لما يقارب سبعين عملاً. وصدرت أعماله في سبعة مجلدات عن دور نشر في القاهرة وبيروت والقدس. ومن أعماله: شخص غير مرغوب فيه ، سقوط الأقنعة، ديوان سميح القاسم ، الموت الكبير ، أحبك كما يشتهي الموت، لا أستأذن أحداً،سأخرج من صورتي ذات يوم، مكالمة شخصية جداً وغيرها الكثير.

وترجمت العديد من قصائده إلى الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والإيطالية واليونانية واليابانية والفارسية والعبرية. وحصل القاسم على العديد من الجوائز والدروع وشهادات التقدير وعضوية الشرف في عدّة مؤسسات فنال جائزة "غار الشعر" من إسبانيا، وعلى جائزتين من فرنسا عن مختاراته التي ترجمها إلى الفرنسية الشاعر والكاتب المغربي عبد اللطيف اللعبي، وحصل على جائزة البابطين. كما حصل مرّتين على "وسام القدس للثقافة" من الرئيس ياسر عرفات، وحصل على جائزة نجيب محفوظ من مصر وجائزة "السلام" من واحة السلام، وجائزة "الشعر "الفلسطينية.

سُجن سميح القاسم أكثر من مرة كما وُضِع رهن الإقامة الجبرية بسبب مواقفه السياسية وأعماله الشعرية، وأشهرها: تقدموا التي تحولت إلى ما يشبه البيان الشعري السياسي،وأُعتبرت تحريضاً ضد السلطات الإسرائيلية. ومن القصائد التي نالت شهرة واسعة وكبيرة في العالم العربي قصيدة " منتصب القامة أمشي" التي غناها الفنان اللبناني مارسيل خليفة، والتي أصبحت من أشهر الأغاني الثورية.

ترجّل سميح القاسم عن صهوة أدب المقاومة بعد محمود درويش واعتلى صهوة الموت وما عاد وحيداً –حسب ما وصف نفسه بمرثيته لدرويش–، بل رحل مؤكداً أن في غيابه حضوراً شعرياً وأدبياً يجسد الثورة والمقاومة.

حسين الديك

نعى الرئيس الشاب حسين الديك شاعر الغضب الفلسطيني الراحل سميح القاسم الذي غيبه الموت مساء الثلاثاء، بعد صراع طويل مع المرض، وقال الرئيس الشاب في في بيان أصدره صباح اليوم تلقينا ببالغ الحزن والأسى وعميق التأثر نبأ وفاة أحد أبرز رموز الثقافة الإنسانية المعاصرة، الشاعر الكبير سميح القاسم، شاعر الوطن والثورة، عاشق فلسطين، وأحد أهم رواد المشروع الثقافي الفلسطيني الحديث، والذي قضى حياته ثائرا بكلماته وبشعره مناضلا ومدافعا عن حقوق شعبنا الفلسطيني ، وأصبح مدرسة وأكاديمة و مناراً خالداً يتعلم منه الشباب الفلسطيني أسمى معاني الرجولة وآيات الوفاء للوطن.

وأكد الرئيس الشاب أن شاعر الغضب الفلسطيني سميح القاسم عاش مدافعاً عن الثقافة الوطنية الفلسطينية في مواجهة محاولات التبديد والطمس حيث حملت أشعاره ومؤلفاته في طياتها قضية ومعاناة وطموحات شعبه وبلاده، إلى كل أرباع الكون، وكل اللغات، لترسم صورة الإنسان الفلسطيني، الحالم بالحرية والصابر على الألم، ألم الاحتلال والتعذيب والحرمان والأسر والظلم وخاصة من من ذوي القربى ، و أضاف الرئيس الشاب أن رحيل القاسم سيترك فراغاً كبيراً في حياتنا الثقافية والسياسية والوطنية لن يملأه سوى أولئك المبدعين، الذين تتلمذوا في مدرسته، وتمثلوا أشعاره وكتاباته وأفكاره، وسيواصلون حمل رسالته الإبداعية لهذا الجيل وللأجيال القادمة.

ودعا الرئيس الشاب الشباب الفلسطيني للمشاركة بكثافة في مراسم تشييع الشاعر الراحل ، وأكد أن الوفاء لشاعر الغضب الفلسطيني سميح القاسم يكون من خلال الاستمرار على نهجه ومسيرته الوطنية الحافلة بالصمود والعظمة والكبرياء والانتصار للوطن وللقضية وبالتفاف جماهير شعبنا الفلسطيني حول المبادىء التي ناضل من أجلها شاعرنا الراحل ومات هو يخط كلماته وأشعاره ليتعمد هذا الشعب في نهاية الدرب بثوب الحرية التي لطالما انتظرناها طويلا.

وصرح الرئيس الشاب أن شاعر الغضب الفلسطيني باق فينا إلى الأبد، باق فينا بشعره وبأدبه وبقصائده وبرسالته الخالده لأن العظماء لا يموتون ، قد يرحل الجسد ولكن الروح تبقى ترفرف فوق ربوع الوطن ، تبقى على سفوح الجليل والكرمل تبعث الأمل لكل الحالمين بفجر جديد بفجر الحرية والاستقلال ، تبقى خالدة في فجاج النقب تبقى صوره ترسم لعاصافير فلسطين وزيتونها وبرتقالها ، تبقى كلماته خالدة فينا إلى الأبد.

سامح سامى

سميـــح القاســـــم .. روح المقاومة حين تزأر شعرًا

سميح القاسم

سيد الأبجدية.. الشاعر القديس.. مغنى الربابة.. شاعر الشمس.. قيثارة فلسطين

ألقاب كثيرة نالها الشاعر الفلسطينى الكبير سميح القاسم (1939-2014): سيد الأبجدية، شاعر المقاومة العربية، «قيثارة فلسطين» و«متنبى فلسطين»، «شاعر العرب الأكبر»، «شاعر العروبة بلا منازع وبلا نقاش وبلا جدل»، «الشاعر القديس»، «الشاعر المبدع، المتجدد دائما والمتطور أبدا»، و«مغنى الربابة وشاعر الشمس».

ولد القاسم لعائلة درزية فى مدينة الزرقاء بالأردن 11 مايو 1939، وتعلم فى مدارس الرامة والناصرة. وتعلم فى إحدى المدارس، ثم انصرف بعدها إلى نشاطه السياسى فى الحزب الشيوعى قبل أن يترك الحزب ليتفرغ لعمله الأدبى الذى بلغ أكثر من 70 عملا فى الشعر والنثر والمسرح، بدأها بقصائد «مواكب الشمس» 1958، ثم « أغانى الدروب» 1964، و«دمى على كفى» 1967. أسس صحيفة «كل العرب»، ورئيس تحريرها

الفخرى. وله مع الشاعر الكبير الفلسطينى محمود درويش مراسلات، عرفت بـ«كتابات شطرى البرتقالة»، من أعذب الرسائل الأدبية، نشرت فى منتصف الثمانينيات من القرن الماضى، فى جريدة الاتحاد تحت العنوان نفسه.

حصل القاسم على عدة جوائز، منها جائزة «غار الشعر» من إسبانيا، وعلى جائزتين من فرنسا عن مختاراته التى ترجمها إلى الفرنسية الشاعر والكاتب المغربى عبداللطيف اللعبى، وحصل على جائزة البابطين، وحصل مرتين على «وسام القدس للثقافة» من الرئيس ياسر عرفات، وحصل على جائزة نجيب محفوظ من مصر، وجائزة «السلام»، وجائزة الشعر الفلسطينية.

وفى السطور الآتية نعرض آراء شعراء ونقاد عن الشاعر سميح القاسم الذى رحل عن الدنيا الثلاثاء الماضى، وذلك عقب تدهور خطير فى حالته الصحية قبل أسبوعين، حيث كان يعالج فى مستشفى صفد فى منطقة الجليل بالأراضى المحتلة، من مرض سرطان الكبد.

سجا العبدلي

1. سميح القاسم « سرّحُضورِكَ مِلءَ غِيابِكْ»

العالم العربي يودع شاعر المقاومة –

عزيزي سميح ،،،

حسناً، ها أنت تعود. سأعترفُ لكَ الآن بأنني كنتُ في حاجة مُلحّة إلى هذه العودة من قبل... في الصيف المُرّ الذي لم يُنقذني فيه سوى الليلك من وحشة جديدة في الغربة القديمة. كانت في صمتي شهيّة كلام عن حيرة، وعن اختفاء في قلب لا يُفصح عمّا فيه خارج تقاليده. وأنا أيضاً أضعتُ كتابي الجديد الذي لم أكتبْ منه غير العنوان. وأضعتُ أغاني نشيج كان انبثاقها الحُرّ في حاجة إلى الاعتراف بيأس الشوكة من الوردة... محمود درويش

عاد سميح القاسم.. عاد ليلتقي رفيقه درويش، ومجدداً خسر العالم العربي قامة من القامات الشعرية الهامة في الوطن العربي، فبعد رحيل محمود درويش ها هو شاعر المقاومة سميح القاسم يغادرنا على عجل، فلم يمهله اشتياقه لرفيق دربه ومشواره في النضال كثيراً. أدار ظهره للعالم وقال أنا راحل « لا استأذن أحداً».

ولربما لم يكن رحيل القاسم (1939–2014) مفاجئاً خصوصا بعد الأنباء التي تحدثت عن تدهور حالته الصحية في الآونة الأخيرة وذلك بسبب استفحال مرض السرطان في جسده لكنه بالطبع جاء قاسياً جارحاً فنحن دائما حين يأتي الموت نرفض تصديقه. فكان وقع نبأ وفاته اليماً وصادماً للجميع.

لكن شاعر المقاومة سميح القاسم لم يكن ينظر إلى الموت بهذه الطريقة فلطالما كان الخطاب ما بينه وبين الموت متسماً بالتحدي..فيقول إن «رفض الاحتلال والإيمان لا يقبلان المساومة..أنا مؤمن ولست خائفاً من الموت لكني لا أحب الموت « جاء هذا القول حين خاطب جمهوره في واحدة من أمسياته الشعرية التي ألقاها بعد خضوعه لجلسة علاج كيماوي

وافتتح أمسيته هذه بمخاطبة الجمهور بالعامية بالقول « هذا اللقاء العائلي الأخوي أفضل عندي من العلاج الكيماوي تبع الطب». وبهذا التحدي خاطب الموت قائلاً:

أنا لا أُحبُّكَ يا موتُ.. لكنّني لا أخافُكْ

وأعلمُ أنَّ سريرَكَ جسمي.. وروحي لحافُكْ

وأعلمُ أنّي تضيقُ عليَّ ضفافُكْ

أنا.. لا أُحبُّكَ يا موتُ..

لكنني لا أخافُكْ!

لم يتوانَ القاسم عن تسخير طاقته الشعرية في مقاومة المرض فهو شاعر المقاومة بامتياز فتوالت قصائده التي تتحدث عن الموت..وفي قصيدة «المستشفى» كتب:

حياتي قضاء وما من حدود وروحي يمامة

وعمري جناحان لا يذكران الرحيل

ولا ينسيان الإقامة

ويوم تغادر روحي فضائي لشيء يسمونه الموت

أمل أن لا تفارق وجهي ابتسامة

وبنفس اللامبالاة والاستهزاء خاطب المرض الذي أودى بحياته وكأنه يحول كل ما يصادفه من متاعب في الحياة الى نص شعري نابض فها هو يخاطب مرضه ويقول:

اشرب فنجان القهوة يا مرض السرطان..

اشرب كي أقرأ بختك في الفنجان..

اشرب..

صفحات التواصل الاجتماعي امتلأت ايضاً بكلمات الرثاء والحزن على رحيل الشاعر الحر وها هم شعراء وأدباء ومثقفي الوطن العربي ينعونه كل على طريقته منهم من استذكر اشعاره ومنهم من خط رثاءه بنفسه.

الشاعرة الجزائرية ربيعة جلطي رثته بالقول:

وداعا سميح القاسم.. لم يعد للشعر منصة يا أخي..

إنه زمن الرصاص..وصمم الحواس.. وصرر الحقد في الصدور..وصرير أبواب السجون

المفتوحة على السجون..

لم يعد هناك من ينصت لجمال شعر المقاومة ولا من يصفق للجيل الوسيم من الشعراء المقاومين الذي يكاد ينقرض.

نعم.. موجوعة لرحيلك الوجيع وسأتفهم حداد وشاحك الأحمر اليتيم من كتفيك. عليك الرحمة. وداعا!

جمال جبران

انتصر السرطان أخيراً على جسد شاعر فلسطين الكبير..وداعاً سميح القاسمالشاعر الفلسطيني هشام عودة استذكر لقاءه بالقاسم وقال: « كان اسمه كبيرا وكنت في بداية شبابي وفي أولى مراحل علاقتي بالحرف أتنفس، مثل أبناء جيلي، هواء قصائده، كان سميح القاسم أباً لجيل شعري فلسطيني كامل، أتذكر المرة الأولى التي رأيت فيها الشاعر سميح القاسم وجها لوجه، كان ذلك عام 1974 في جامعة بيت لحم التي استضافته في أصبوحة شعرية، يومها قطعت المسافة الطويلة من قريتي الى بيت لحم لأرى سميحا وأسمعه، كنت في الثانوية العامة، وشجعني على ذلك وجود قريب لي يدرس في تلك الجامعة، أتذكر يدي الصغيرة وهي تمتد لمصافحته، يومها قال سميح شعراً كثيراً، وقال كلاماً كثيراً لطلبة الجامعة الذين احتفوا به بما يليق، بعد ذلك التقيته عدة مرات في عمان، رحمك الله يا أبا وطن»

محمد غبريس

«وداعاً شاعر الغضب الثوري، سميح القاسم"

رحلت في أجيج الأحداث العربية والمعاناة الفلسطينية والتوحش الإسرائيلي والإرهاب المدمر، تاركاً لنا قصائد تنبض بالمقاومة والكفاح والانتصار، ومواقف وطنية وقومية وإنسانية، دفعت نتيجتها أثمانا باهظة بين الاعتقال والملاحقة والقلق والمرض، رحلت مع «مواكب الشمس» منشداً «أغاني الدروب»، رافعاً الصوت عالياً وقد أسقطت الأقنعة، إنك الياسمين والذاكرة والصورة الأولى والأخيرة والطائرالحر، لم تغادر فلسطين يوماً بقيت في الرامة، في الجليل، في بقعة من أجمل بقاع الأرض، فالوطن لديك ليس جغرافيا فقط، وليس تاريخاً فقط. الوطن إحساس بالكرامة الشخصية الإنسانية».

وفي رحيله يبقى السؤال: هل أصبحت القضية الفلسطينية يتيمة من شعرائها الكبار ومن سيسير على درب القاسم ودرويش ومن سيحمل راية النضال بالكلمات من بعدهما؟!

م / سمير الحباشنه

في وداع سميح القاسم...

وهاهو سميح القاسم الذي حثّنا " أن تقدّموا ..." في زمن مراراتِ التراجع، يُسارع الخطى ليلتحق

رفاقه ،أحبائه، بأرواحٍ رحلت ... لكنّها لا تموت ...

- محمود درويش، عاشق فلسطين المهيّم بها ، حيثُ عاش ومات من أجلها...
- توفيق زياد صاحب " أشدّ على أياديكم .." يوم ارتخت مقابضنا، وارتجفت قلوبنا واصبحت فلسطين ... ليست في البال..
- أميل حبيبي، حيث الشاهد على قبره " باقٍ في حيفا .. "

وقوفنا اليوم، السيدات والسادة، لتكريم سميح القاسم لا لرثائه، لأنّ الموت يغيّب الاجساد لكنه يعجز عن تغييب صدق الكلمة وأثرها حين يحفر في النفوس...تعرفونه جميعا ... ولا أضيف إن قلت، إنّ سميح القاسم، بحد ذاته مشهد ثلاثي الأبعاد، بمضمون وأثر وشاعر..

- فمضمونه كله لم يحوي إلا ثورة ومقاومة، جوهر وهوية عروبية تماهت بالوطنية الفلسطينية، حتى إندمجتا عند سميح ع ضروليً، فكان تميّزاً إبداعياً للجزء الوطني الفلسطيني في إطار الكل العروبي الموحّد ... وما أحوجنا اليوم أن نتمثّل ذاك التماهي...عند سميح القاسم-

وأثره الذي صاغه سميح وروّاد الثقافة العربية الفلسطينية في الداخل المحتل ... فكان نتاجه أن بقي الشعب العربي الفلسطيني هناك، عروبيا بفطرته وتوجهاته وانتمائه، عصيًا على التهويد، مصرًا على أن تبقى الارض " بتتكلم عربي" كما حفرها فؤاد حداد و أنشدها سيد مكاوي. وإنها لمفارقة عجيبه، فقد غادرنا فلسطينيو " 48" حين اختُطِفت فلسطين.. وكنا عربًا... وبعد هذه العقود بقوا هم على حالهم، امّا نحن فقد شطّرنا الهوية، لهويات وهويات، جغرافية ، ودينية، ومذهبية، وطائفية ... الخ، حتى اصبح العروبي ليس أكثر من حالم، أو حتى رجعي، بمفاهيم العولمة والاغتراب السائدة !!!

- أما الشاعر ورفاقه، حاملو مشعل الثقافة العربية في فلسطين المحتله، فهوياتهم الفرعية تحمل معاني خاصة، يجسّدها تنوعهم، لكنه التنوع في اطار الهوية الواحدة التي لم نعرف نحن اليوم في أغلب أقطارنا كيف نحافظ عليها، فنحن اليوم منقسمون على اسس دينية ومذهبية وطائفية حتى طغت تلك الهويات الفرعية على الهوية الأم الجامعة ... سلسلة لا متناهية من القسمة والتشرذم!

ولم نكتفي بقسمة مع وقف التنفيذ، فقد اقتتلنا بموجبها، وأضعنا بوصلتنا حتى أصبح الشيعي"مثلا" العدو رقم واحد للسني، ونسينا او تناسينا أنّ أبي فراس الحمداني، بدر شاكر السيّاب، والمتنبي ، والجواهري هم شيعه!

فقدنا الذاكرة و إذ بالثائر سلطان الأطرش و بالبطل جول جمال وبالوطني فارس الخوري وبالشهيد على ثرى فلسطين نورس اليعقوب العزيزات وغيرهم من رجالات المشروع العربي، وكأنهم لم يكونو من طلائعنا في ميادين السياسة والحرب سواء بسواء!!

أي حالة، الأخوة والأخوات ، تلك التي وصلنا اليها ؟! الا تحتاج ان نردد ونترجم صرخة سميح القاسم ... " أن تقدّموا !؟" ..

فنعيد للعقل مكانته، وأن نصحو من غيبوبة قد تؤدي بنا الى الفناء والضياع.

الحل .. بعروبتنا، هوية فوق كل الهوياتالحل... ان نعيد للتنوع مكانته كبديل للاختلاف الوهمي الدموي المصطنع

وداعا سميح القاسم فانت خسارة للفكر والثقافة العربية ولفلسطين ولبني معروف الشهامة وليرحم الله الصديق الكبير سميح القاسم

سمير دياب

مات شاعر فلسطين سميح القاسم ..رحل صاحب القلم الثائر للقضية، والنابض حتى العرق الأخير مقاومة.

ترجل فارس الهجوم وتقدم في قصيدة " تقدموا .. تقدموا بناقلات جندكم وراجمات حقدكم، وهددوا، وشردوا، ويتموا، وهدموا.. لن تكسروا أعماقنا، لن تهزموا أشواقنا.. نحن القضاء المبرم.. تقدموا".

منتصب القامة عاش المناضل الفلسطيني حاملاً قضية فلسطين في أرض فلسطين، بترابها وزيتونها وبرتقالها.عاشقاً لرائحة الرامة والناصرة.. وأماكن الإقامة الجبرية، وزنازين الاعتقال، حالماً بكل تفاصيل خارطة فلسطين. رافعاً راية النضال والكفاح بسلاح الكلمة المقاومة والقصيدة الثائرة على صهاينة الحقد، شامخاً في صموده إلى جانب أهله وشعبه، ومرفوع الهامة يمشي في كفه قلم الثورة، وفي عيونه بريق الحياة، وعلى كتفه نعشه.

عاش المناضل الشاعر النكبة والثورة. كسر النكبة، وكان عصف الثورة، وأحد أعلام أدب مقاومتها، في مسيرة كفاح عابقة بالنضال والإبداع والحياة. كتب في الشعر والنثر والمسرحيات والسياسة، تاركاً خلفه مكتبة ثقافية وأدبية كاملةً ،على مدى خمسة وسبعين عاماً.

هي رحلة لا تختصرها مرحلة اعتقال، أو ديوان، أو مقالة،أو قصيدة مغناة.. كان "القاسم" الطائر المغني الحالم، الرافض، المتقدم، الهادر، المباشر، الذي لم يتعب ولم يتراجع عن مبادئه الفكرية، ليعش لحظاته الأخيرة بين دمعتين، دمعة حزينة على غزة، وأخرى فرحة لمقاومة هي بمثابة القضاء المبرم على عدو محتل غاصب.

هو صوت فلسطين، شكل إلى جانب رفاقه: محمود درويش وتوفيق زياد،غسان كنفاني، معين بسيسو.. وغيرهم ، صورة فلسطين الجميلة العاشقة للحرية والتحرير.

لقد قدر لسميح القاسم أن يودع "نصف برتقالته" أمام قامة رفيقه الشاعر الكبير محمود درويش قائلا:

"عصافيرنا يا صديقي تطير بلا أجنحة

واحلامنا يا رفيقي تطير بلا مروحةتطير على شرك الماء والنار، والنار والماء

ما من مكان تحط عليه.. سوى المذبحة "

هذا الصوت الباذخ، ارتقى إلى حالة الصفاء حين قال : لا أخافك أيها الموت..

سميح القاسم، رحل، وهو مرتاح إلى وصيته التي عهد بها إلى أطفال وأمهات وأسرى وشهداء فلسطين.. وإلى كل الأكف والسواعد والأعشاب والشجر والحجر التي تتقدم مقاومة..

ويقول لها: تقدموا .. تقدموا، كقضاء مبرم لتحرير فلسطين.

سميح القاسم وداعاً.. لقد هزمت عدوك، ولم تخف من موتك.. كي تربي الأمل.

وردة حمراءعلى قامتك.. وتحية الى قامة مقاومة فلسطين.

****

سيف السحباني -جدة-

عاش ورحل «منتصب القامة»

الموت يغيب قيثارة المقاومة الفلسطينية

عقب حياة حافلة بالنضال والمقاومة بالكلمة والقصيدة الثورية توفي البارحة الشاعر الفلسطيني الكبير سميح القاسم بعد أن أدخل إلى قسم العناية المركزة بمستشفى صفد منذ عدة أيام جراء تدهور حالته الصحية متأثرا بمرض السرطان الذي لازمه منذ عدة سنوات.

والفارس الذي ترجل يعد أحد أهم الشعراء الفلسطينيين والعرب المعاصرين قاوم بشعره الاحتلال الصهيوني من داخل فلسطين وتحديداًمن داخل الأراضي العربية المحتلة عام 1948م.

وسميح القاسم، هو أحد أهم وأشهر الشعراء العرب والفلسطينيين المعاصرين الذين ارتبط اسمهم بشعر الثورة والمقاومة من داخل أراضي عام الـ 48 . سجن القاسم أكثر من مرة كما وضع رهن الإقامة الجبرية والاعتقال المنزلي وطرد من عمله مرات عدة بسبب نشاطه الشعري والسياسي وواجه أكثر من تهديد بالقتل، في الوطن وخارجه. وقد قاوم التجنيد الذي فرضته إسرائيل على الطائفة الدرزية التي ينتمي اليها. اشتغل معلما وعاملا في خليج حيفا وصحفيا.

والقاسم شاعر مكثر يتناول في شعره الكفاح والمعاناة الفلسطينية، وما أن بلغ الثلاثين حتى كان قد نشر ست مجموعات شعرية حازت على شهرة واسعة في العالم العربي. كتب القاسم أيضا عددا من الروايات، ومن بين اهتماماته إنشاء مسرح فلسطيني يحمل رسالة فنية وثقافية عالية، كما يحمل في الوقت نفسه رسالة سياسية قادرة على التأثير في الرأي العام العالمي فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية.

شعبان يوسف:

خمسون عاما من الحضور المقاوم

عندما تعرفنا على شعراء المقاومة فى نهاية عقد الستينيات وأوائل السبعينيات، كنا كأننا اكتشفنا حلولا سحرية لمعضلات فنية ونضالية وسياسية، وكان فى ذلك الوقت الشعراء الثلاثة محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد ـ هكذا كانت تتردد أسماؤهم بهذا الترتيب الصارم ـ يتناوبون الشهرة بأشكال كثيرة، وكأنهم انبثقوا فجأة من ظلمة الأسوار التى كانت تفرضها إسرائيل على أصواتهم، ولكنهم بمعاونة جهود مثقفين ومقاتلين وكتاب مثل غسان كنفانى، تسربت قصائدهم من الأرض المحتلة، وبعد ذلك صارت أسماؤهم معروفة بشكل شبه أسطورى، وكان النقاد والصحفيون يسعون لالتقاط أى خبر، وكان كل شاعر من هؤلاء له تميزه الخاص، وكان لسميح القاسم أسطورته الخاصة كذلك، وكان قريبا من قلوب المصريين، حيث قصيدته التى اشتهرت بيننا عن السد العالى كانت تفيض بمشاعر دافقة نحو عمال السد، ومشروع السد، كذلك رسالته إلى نجيب محفوظ، ولم تكن قصائده رغم قوة صوتها، قصائد تقريرية، بل كانت تعمل على التجريب والتجديد والتطوير، وهذه كانت معركة سميح ورفاقه، تخليص فكرة الناس عنهم باعتبارهم يتبعون السياسة، أو أنهم ملحق فنى للقضية الفلسطينية، لذلك كانت قصائد سميح تنهل من التاريخ والجغرافيا، وكانت تتجاوز فكرة الأرض المحلية ليدافع عن الانسان المقهور فى العالم كله، فغنى لمصر وأفريقيا وثوار فيتنام، وظلت أشعاره تتطور بشكل مضطرد عبر جدارية شعرية طويلة، امتدت منذ أواخر الخمسينيات فى العقد الماضى حتى رحيله، واستطاع رغم مطاردة العدو الصهيونى له، أن يجود فى أشكال القصيدة، فكانت مقاومة الأوضاع السياسية والاجتماعية تقف جنبا إلى جنب مع مقاومة الكتابة الرديئة، والشعر الذى يتسول القضية حتى ينتشر، وكانت اسرائيل تعمل على ترويج وتسويق شعراء آخرين، ولكن سميح عبر مجلته «الجديد»، التى كان ينشر أشعاره فيها، استطاع أن يتجاوز أسوار الوطن حتى يعرفه العالم أجمع، وظل مثالا نموذجيا للشاعر المقاتل والمجدد فى آن.

شوقي بزيع

سميح القاسم يعود إلى منبع قصيدته

لم يكن سميح القاسم تفصيلا عابراً في ذاكرة فلسطين والعرب لكي نلقي على طيفه العابر نظرة عجلى ونعود إلى حياتنا اليومية وكأن شاعراً لم يكن . فنحن منذ نصف قرن نردد اسمه وأشعاره كلما أشرقت شمس على فلسطين، وكلما سقط قمر عن صهوة حصان، وكلما مالت سعفة نخيل على جسد طفل ذبح للتو. ليس سميح القاسم مجرد شاعر ومناضل فحسب، بل هو لشدة شجاعته وصلابة موقفه من الاحتلال يبدو شبيها بأولئك الأبطال القادمين من الأساطير الذين يواجهون فوق أرض مثلومة بالفواجع شياطين الظلام السوداء ويسقطون قبل خط النهاية بخطوة واحدة. وهو ظل يقاتل التنين الصهيوني الدموي على امتداد عمر بأكمله وببسالة قل نظيرها، مع علمه بأن رمح الشعر الواهن لا يكفي وحده لإيصال النزال إلى نهاياته السعيدة. منذ نعومة أظفاره لم يذكر اسم سميح القاسم إلا مقرونا بمحمود درويش. وكما سائر الثنائيات التي لمع نجمها في سماء الإبداع العربي مثل عاصي ومنصور الرحباني أو محمد الماغوط ودريد لحام، آتت هذه الثنائية الخلاقية أكثر الثمار فـزادة وتميزاً من جهة ، فيما كانت العلاقة بين طرفيها تتفاوت من جهة ثانية بين الحب الغامر والمنافسة الحادة على الأولية. كلاهما كان عاشقاً لفلسطين وكلاهما كان راهبا في محراب القصيدة. ولم يحل خروج محمود إلى العالم الواسع وملازمة سميح لأرض قصيدته دون تلازم الإسمين في الضمير العربي، حتى لو ذهب الأول بعيدا في مغامرة التجريب الحداثي وظل الثاني أكثر وفاء لشعرية البساطة والإنشاد الغنائي. ورغم ما تبادله الشاعران من نقد جارح واتهامات حادة في بعض لحظات «التخلي» فإن حب أحدهما للآخر ظهر جليا في كتاب «الرسائل»، حيث قدما نصوصا في الصداقة والحياة والفن بالغة العمق والصدق والثراء المعرفي. وحيث كانت نجومية محمود العربية وانتشاره العالمي يضعان سميح في موقع متأخر قليلا عن صديقه يكتب صاحب « الجدارية» في تقديمه لإحدى مجموعات القاسم « ليس سميح القاسم بسيطا كما قد يزعم دفاعه

الدائم عن البساطة، إذ فيه من التركيب والتجريب ما جعله قادرا على استيعاب تجربة الشعر العربي كلها». لم يكن قول درويش في صديقه مجرد مجاملة نقدية عابرة تهدف إلى غسل قلبي الصديقين مما لحق بهما من أسباب المنافسة أو الجفاء . فالذين سيهرعون الآن إلى قراءة أعمال الشاعر كما يحصل إثر كل رحيل مماثل، سيكتشفون أن القاسم لم يكن فقط شاعر الأهازيج الإنشادية التحريضية مثل «تقدمو» و «منتصب القامة أمشي» وغيرهما، بل هو شاعر المغامرة التجريبية بامتياز، حيث تتجاور في تجربته اللمعة الإيحائية المكثفة والغنائية الموارة بالأجراس والقصائد الشبيهة بالملاحم. ربما لم يكترث القاسم بتنقية قصيدته وتشذيبها المفرط من الشوائب، كما توأمه الشخصي والشعري، ولكنه لم يترك بابا من أبواب الوصول إلى الشعر إلا وطرقه بنبض قلبه قبل قبضة يده، ولم يتردد في الجمع بين أوزان الخليل والشعر التفعيلي وقصيدة النثر، وفي استثمار الأمثال والحكم والأساطير ورموز التاريخ ونصوص الشعر الشعبي والفولكلور لصياغة تلك السبيكة المتنوعة والمدهشة في جرأته، رغم تفاوت مستوياتها وجودة عناصرها. قبل سنوات ست رثى سميح القاسم صديقه محمود درويش بما يكفي لرثاء شخصين معا . كأنه كان يعلم بحدسه وعقله الباطني أن جزءا منه قد مات بموت صديقه، وأن الجزء الآخر لن يستطيع الصمود طويلا في وجه إعصار الموت .لكن سميح، ربما بسبب التكوين الشخصي أو المعتقد الديني، بدا أكثر شجاعة من صديقه في وجه الموت. فحيث كتب صاحب «ورد أقل» مطولات عدة في رثاء نفسه وتأبينها ظل سميح يعض على جراحه بكبرياء نادر هاتفا بالزائر الثقيل « أنا لا أحبك يا موت الكنني لا أخافك \ وأدرك أن سريرك جسمي \ وروحي لحافك .

شيخ عقل" الدروز بلبنان

)

- سميح القاسم يرحل "منتصب القامة" بعد معركة انتصر فيها السرطان

ذكرت الوكالة أن نعيم حسن **شيخ عقل" الدروز بلبنان** ، بعث برقية إلى رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية محمود عباس، وعائلة الشاعر الفلسطيني سميح القاسم معزيا بوفاة الشاعر العربي سميح القاسم، وجاء في البرقية "تبلغنا بوافر الأسى نبأ رحيل الشاعر المعروفي والمناضل الفلسطيني الكبير سميح القاسم، الذي قاوم على طريقته الاحتلال الإسرائيلي وصلفه وظلمه وقهره للشعب الفلسطيني، وعبر بصدق ووجع عن معاناة الفلسطينيين ومآسي الشعوب العربية، ورفع الصوت عاليا نصرة للحق وللقضايا الانسانية، وكان خير من يمثل التزام أبناء طائفة الموحدين الدروز بانتمائهم العربي الأصيل وبتجذرهم في الأرض . إن سميح القاسم يبقى لنا ولأمته رمزا للنضال، عاش فوق التراب الفلسطيني وتوفي فوق أرض فلسطين ."

شيماء فؤاد

بالصور.. مثقفو مصر فى تأبين سميح القاسم: «الشعراء لا يموتون»

اجتمع كبار النقاد و الشعراء لوداع صاحب " منتصب القامة أمشى " الراحل الشاعر الفلسطينى سميح القاسم ، أحد رموز المقاومة الكبار فى فلسطين و الوطن العربى ، وبدأ الشاعر محمد إبراهيم أبوسنة، احتفالية التأبين بالوقوف دقيقة حدادا على روح الراحل ، فيما أكد المثقفون أن سميح القاسم لم يرحل و سيظل فى وجداننا مخلداً بشعره فهو كما " الشعراء لا يموتون "و قال الشاعر الكبير **محمد إبراهيم أبو سنة**، إن الشاعر الفلسطيني الراحل سميح القاسم جاء إلى مصر فى الثمانينات ،و كان يحمل حبا خاصا للمصريين ، مشيرا أن مصر لم تحتضن القضية الفلسطينية فقط بل احتضنت أيضا كتابها ومثقفيها ، أما عن لقائه به ، فقال : كان أخا عزيزا ترتسم على وجه البشاشة، وكان مناضلًا حقيقيًا، استطاع أن يوحد بين ميدان القتال وميدان الكتابة".

و فى كلمته قال الشاعر الفلسطينى زياد عبد الفتاح، : إن سميح قاسم ومحمود درويش شكلا ثنائيا قويا ضد الاستعمار الصهيونى من خلال أشعارهم التي أثارت لهيب المقاومة، مشيرًا إلى أن القاسم كان لدية الجنسية الإسرائيلية، ورفض التجنيد في الجيش الصهيونى، بل قاومه من خلال كلماته.

فيما تحدثت د. هويدا صالح قائلة : فقدنا سميح القاسم و لكننا لم نفقد رمز المقاومة الذى جسده بشعره و كتاباته ، و تحدثت عن معاناته و تهميشه مرة كدورزى و مرة كعربى فلسطينى ، رفض أن يقتل أخوه الفلسطينى الآخر ، و عرضت لروايته " إلى الجحيم أيها الليلك " ، و أشارت الكاتبة أنه برغم اشتهار القاسم بشعره و لكنه كاتب متنوع بكتاباته الروائية و المسرحية و الصحفية .

و قرأت الكاتبة و الصحفية فاطمة الناعوت قصيدة " الطريق إلى الرامة " والتى ترجمتها عن الشاعر الأمريكى "سام هاميل " الذى كتبها إهداءا لسميح القاسم بسويسرا ، و كاد يبكى القاسم عند سماعه لها ، و الرامة هى المدينة التى ولد بها شاعرنا الراحل .

" الطريق الى الرامة"

كيف الطريقُ الى الرامةِ

إلى أي مدىً بوسعي المضيُّ وحيداً؟

هنا الطريقُ إلى الرامة يا صاحبي

ها هنا،

حيث غبارُ عظامِنا.

وهنا بيتُ عربيٍّ

بحديقته الصيفية الغافية،بزيتونته،

بظلالها.

وسعك أن تحصي ثقوب الرصاصة، يا صاحبي

بوسعك أن تملأ حُفرَها الخاوية،

لكنك

لن تستطيع أن تحدد رقماً للميت.

وهنا بيتُ يهوديٍّ

العجيبُأنه تماماً يشبهه:

الحديقة ذاتها،

الزيتونة ذاتها

الحُفر ذاتها في الحديقة،

بقعُ الدم ذاتها في الرمال.

هنا في الطريق الى الرامة

آمل أن أجد شقيقي

سميح القاسم،
الشاعر،
قبل أن يفوت الوقت،
ذاك انني أوغلتُ عميقاً في الصحراء
ظمئاً الى كلماته.
هل استمعتم الى شقيقي، الشاعر؟
سوف يحطّم قلوبكم
ثم يداويها
بالشجن الطافر من أغانيه.
هل رأيتم شقيقي الشاعر؟
فأنا منهكٌ من الدخان والغبار
والطريق طويلة
وأنا رحت أطعن في العمر.
سوف أموت في الطريق الى الرامة
لكن قلبي
سينام وادعاً
بين ذراعيه.

و ختمت الناعوت بقولها : "الشعراء لا يموتون لكنهم يطيرون إلى حيث تطير العصافير "

من جانبه قال الباحث أحمد بهاء الدين أن محمود درويش و سالم جبران و سميح القاسم و غيرهم علامات فى الوعى القومى و النضالى ، و أن القضية الفلسطينية كانت دوما محرك للحركة الطلابية ، و خسارة القاسم ليست فقط خسارة لفلسطين و لكن للعالم أجمع .

و قرأ بهاء الدين قصيدة " تقدموا " لسميح القاسم ، و التى تعبر عن مدى تاثير القصيدة الفلسطينية فى الحركة النضالية المصرية .

"تقدموا .. تقدموا

كل سماءٍ فوقكم جهنم
وكل أرضٍ تحتكم جهنم
تقدموا
يموت منا الطفل والشيخ
ولا يستسلم
وتسقط الأم على أبنائها القتلى
ولا تستسلم
تقدموا .. تقدموا"

و فى كلمته تحدث الناقد د. أحمد الصغير عن " شعرية الرمز و تحولات القصيدة لدى سميح القاسم "، و ديوانه الأول "مواكب الشمس " ، قائلا :القاسم استطاع أن يبدع كافة أنواع الشعر ، فكان من الشعراء المتمردين على واقعهم يتميز بتحويل حتى الحجارة إلى رمز ، و لم يكن يستهدف بشعره فئة معينة بل كان للعالم أجمع ،و كثيرا ما ظلم بسبب سيطرة محمود درويش على الساحة الشعرية لفترة طويلة ، و لكنه سيظل من علامات المقاومة الفلسطينية و يكفى انه عاش و مات على أرض فلسطين .

فيما قال الناقد الدكتور صلاح السروى ان " الشعراء لا يموتون " فقبل رحيلهم حفروا بوجدانهم مكانتهم فى قلوبنا ، و موت الشعراء هو إعادة اكتشاف لهم ، ليمثل الموت الحياة الحقيقية للشعراء .

و أكد السروى رفض القاسم أن يمسك بالبندقية الصهيونية ، مارا بمرارة السجن و الاحتلال ،ليمتطى فارسنا الشعر و يقاتل الرصاص بالكلمات .. قرر سميح القاسم المغادرة و لكن إلى أعماق الوطن إلى جنان فلسطين السفلية ، بعد أن أصبح الموت عادة كما قال القاسم .

أما عن كتاباته المسرحية فحدثتنا عنها الكاتبة سامية أبو زيد ، و التى عرضت لمسرحيته " المطعم " ، قائلة أن الشاعر كتب المسرحية كنوع من التنفيس عن العنصرية التى واجهها لكونه درزى ، فقد منع فى احد المرات من دخول أحد المطاعم ، و لكنه أصر على الدخول ليضرب الطائفية فى مقتل ،و تكون المقاومة فقط هى العنوان .

ومع الشعر و الغناء ألقى الشاعر السماح عبد الله قصيدة " الذئاب الحمر " وقصيدة "طائر الرعد". ، و قرأ طلعت نصر الدين قصيدة " رثاء"، و غنى الفنان أحمد إسماعيل قصائد " محمود درويش " ،" أحن إلى خبز أمى " ، و ختم بـ " أجمل الأمهات " إهداءا للمرأة الفلسطينية .

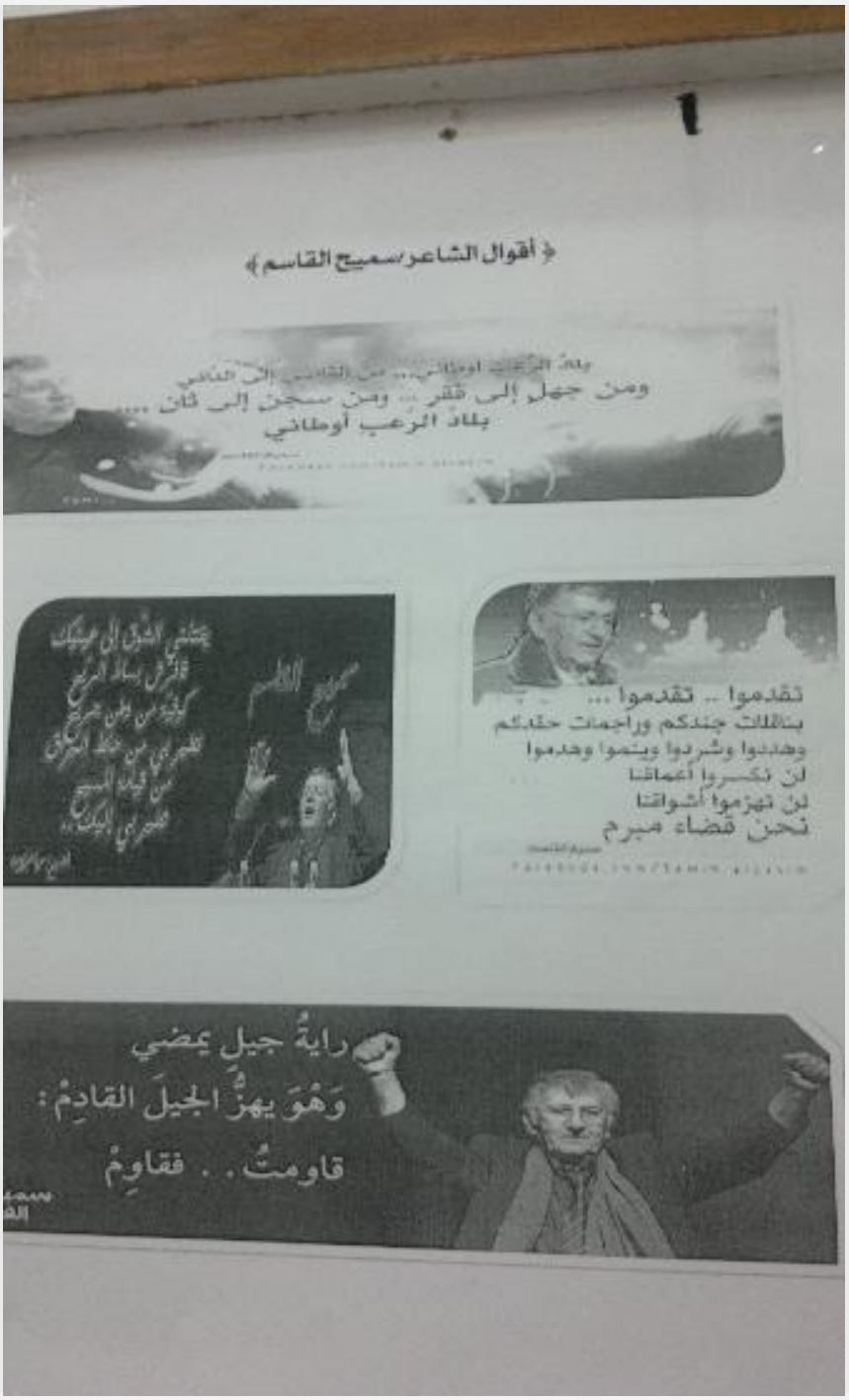

《 أقوال الشاعر سميح القاسم 》
ومن جهلٍ إلى فقرٍ .. ومن سجنٍ إلى ثانٍ ....
بلادُ الرُعبِ أوطاني
تقدموا .. تقدموا ...
بناقلات جندكم وراجمات حقدكم
وهددوا وشردوا ويتموا وهدموا
لن تكسروا أعماقنا
لن تهزموا أشواقنا
نحن قضاء مبرم
رايةُ جيلٍ يمضي
وَهُوَ يهزُّ الجيلَ القادِمْ :
قاومتُ . . فقاوِمْ

صلاح أحمد فاخوري

سميح القاسم: قلوبنا معك

1.

يعاني الشاعر الفلسطيني الكبير سميح القاسم في هذه الأيام ضروباً من الألم والشجاعة معاً، فقد غزا السرطان كبده، ويكاد يسقط القلم من بين أصابع هذا الشاعر العربي الذي طالما كان مهتماً في بإعلاء صوت العروبة في شعره أكثر من اهتمامه بقوام القصيدة ولغتها. فالعروبة لديه كانت هويته في مواجهة المحو والتغييب والسحق.

كانت قصيدته هي جواز سفره، وكان موقفه السياسي بطاقة إقامته. ومن منزله في أعلى جبل حيدر في قرية الرامة الجليلية، ما برح سميح القاسم ينثر أزاهيره الفلسطينية في بلاده، ويقاوم طاردي شعبه بالإصرار على البقاء في الأرض التي أينعت شعراء كبارا أمثال صديقه ورفيقه محمود درويش، وعلى الوقوف بقوة خلف أبنائه الذين رفضوا الامتثال لقوانين التجنيد الإلزامي واختاروا السجن بشجاعة.

في سنة 1994 جاء سميح القاسم إلى عمان بعد غياب طال أكثر من خمسين عاماً، مع انه مولود في مدينة الزرقاء. وفي الأمسية الشعرية التي نظمتها مؤسسة عبد الحميد شومان خاطب الجميع قائلاً: «لقد تركتمونا يتامى طوال خمسين عاماً». وفي سنة 1999 بينما كان يتسلم جائزة ثقافية في احتفال بجامعة بيت لحم بحضور ياسر عرفات قال سميح: «والله يا أبو عمار، لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه بأقلامنا». فما كان من ياسر عرفات إلا ان نادى حارسه وقال له: «هات مسدسك». ثم تناول المسدس، وسار نحو سميح القاسم، وقدمه له قائلاً: مش بالقلم بس، بالمسدس كمان. خذه. خذ هذا المسدس واقتلني إذا وجدت فيّ اعوجاجاً». وأمام دهشة الحاضرين، وذهول سميح القاسم عانقه ياسر عرفات وقبله مراراً على عادته.

******

أمام رهبة الموت تتلجلج الكلمات في الألسنة. أما كلمات سميح القاسم فلعلها قادرة، وحدها، في هذا الموقف، على أن تحمل حبنا إليه في أعلى جبل حيدر في الجليل الأعلى. تقول كلماته:

«أنا لا أحبك يا موتْ

لكني لا أخافك.

واعلم اني تضيق عليَّ ضفافك

وأعلم أن سريري جسمي

وروحي لحافك

أنا لا أحبك يا موتْ

لكني لا أخافك».

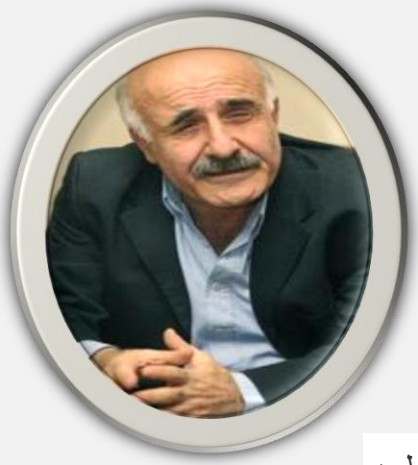

عباس بيضون

سميح القاسم.. رحيل المغني المحارب

بعد محمود درويش يتم برحيل سميح القاسم غياب الثنائي الذي أشرف على العالم العربي والشعر المعاصر من قلب فلسطين المحجوبة حتى ذلك الوقت. وكان صوت درويش . القاسم أكثر من قصيدة، كان صوتاً مجروحاً ومعذباً وصارخاً بقدر ما كان استذكاراً وهوية واسماً آخر وعنواناً لفلسطين. لقد ظهر ذلك الصوت قبل السلاح وكان بالتأكيد يحمل في طياته كل الكثافة وكل الزخم اللذين تكدست فيهما لا الذكريات فحسب، ولكن أيضاً الرعف والحنين والتواريخ الدامية والمضيئة وسلسلة الثورات والمعارك والبطولات المكسورة والحروب الخاسرة.

درويش والقاسم لا نظلم أياً منهما حين نقرنهما ببعضهما بعضاً فقد تواصل الإسمان كما تواصل الشخصان وكانا معاً وجهاً مزدوجاً ومتفارقاً لفلسطين التي غدت بدءاً من أواسط القرن الماضي ضميرنا وسرنا وجرحنا في آن معاً. لقد بدأ هذا التاريخ بخسارة مدوّية ومأساة وسيبقى هذا طابعه وستبقى هكذا دمغته وسيبقى ينزف ويكون نزفه وتكون تنهداته إيقاعنا ولحننا، ربما لهذا ظهر المغني قبل المحارب، ربما لهذا بدأت المرثية قبل الأهزوجة، ربما لذلك ورثنا هذا الجرح وأورثناه وتركناه ينطق ويتكلم عنا.

سميح القاسم الذي اهتدى من شيوعيته إلى فلسطينيته أو كانتا في الأصل واحداً، لقد بقي له وللعرب الباقين هذا الركن وذلك المعزل، وكان ينبغي أن يمر وقت كاف حتى يتحول هذا المعزل إلى دوامة وذلك الركن إلى معترك، وبالتأكيد كان لسميح القاسم وبقية الشعراء والكتاب الفلسطينيين الذين صدحوا من فلسطين الصيحة الأولى التي وصلتنا مدماة متقطعة وكان ينبغي أن يمرّ وقت قبل أن تمتلئ وتتّسق وتمور بالنياعة والنضارة وتغدو كونية وملحمية وتستعيض

عن منفاها في وطنها بمنفى عالمي وتغدو الأرض بكليتها بلدها ومنفاها ويغدو الشتات أسطورتها وسِفرها وتغدو فلسطين معها ومعهم ايتاكا الجديدة ويغدو الشاعر عوليسها الجديد.

بقي سميح القاسم في فلسطين وهاجر محمود درويش قبل أن يرجع في عودة ثانية إليها. لكن الباقي ما كان له أن ينكسر وما كان لصوته أن يشحب ويخفت. لقد بقي تحت زيتونته وكان عليه أن يصدغها وأن يصرخ في وجه من يريد أن يغصبه إياها. كان عليه أن يشهر قصيدته كما لو كانت سلاحاً وأن يحارب بها ويُطلقها على المتربصين به. كان عليه أن يبدي أسنانه لا قلبه وحده، وأن يخيف ما وسعه أن يخيف، وأن يصرخ ما أمكنه أن يصرخ وحين كان وحده في الدرب، وحده في العزلة، كان يرفع صوته بنشيد المحارب، يواجه بكبريائه مَن يضعون أصابعهم في جرحه. كان يرفع رأسه من فوق مضطهديه. وظل دائماً في تخييل المعركة. كما ظل دائماً في ذكرى المواقع والأيام والحروب. تلك كانت تحييه في الذاكرة وتحييه في الخيال وتحييه في الواقع حتى لا يقتله القهر ولا تقتله العزلة.

كان له نشيد المحارب الذي يتحوّل أحياناً إلى أغنية نصر واستدعاء للمستقبل وأمل لا يشيخ وبشارة خضراء كالزيتون. بقي سميح القاسم في فلسطين حيث كان عليه أن يقاتل وأن يغني في المعركة وأن يهلل ويرتجز في وسطها. أما درويش فقد هاجر ليبحث ثانية عن ايتاكا . فلسطين وليغني خسارته وليحمل المرثية إلى ضفاف العالم.

كتب سميح القاسم كثيراً. ألّف ما يزيد على الستين مؤلفاً في الشعر والرواية والمسرح والمقالة والترجمة والرسائل. كان الحبر والحرف بالتأكيد حياته الثانية وكلما خط كلمة عربية كان يسترد بذلك هويته ويحيي فلسطين، يستردها بالكتابة ويستردها بالشعر ويستردها بالأغنية ويستردها بالنثر، وحين أصابه السرطان واجهه بكبرياء المحارب وشجاعة المحارب. لم يترك قلمه يسقط من يده ولم يخف من المرض بل حاول أن يخيفه هو الذي اعتاد منذ نعومة أظفاره أن يخيف ما هو أشد من السرطان وأقوى من الموت.

بيروت – عبده وازن

سميح القاسم... رحل وعيناه على غزة

لو كان له أن يكتب قصيدة جديدة عن المأساة التي يعيشها أهل غزة الآن لكتب بلا تردد، لكنه كان يعاني مأساته الشخصية مواجهاً المرض العضال الذي فتك بجسده بعد ثلاث سنوات من المواجهة. مات سميح القاسم وهو يردد مقاطع من قصيدته الشهيرة «أنا متأسف» التي كتبها غداة الحرب الوحشية التي شنتها إسرائيل على غزة عام 2008 وباتت بمثابة نشيد يردده قراؤه الفلسطينيون حيثما كانوا، في منفى الداخل والخارج.

مات سميح القاسم قبل أن يكمل عامه الخامس والسبعين، مات في مدينة صفد القريبة من مدينته الرامة في الجليل الأعلى، في قلب الأرض المحتلة التي لم يغادرها بُعيد هزيمة 1948 وما تلاها من مآس، مؤثراً البقاء تحت سماء فلسطين والنضال من الداخل، بالقصيدة والروح والعصب. وكم كان يؤلمه أن يحمل كلما سافر، جواز سفر إسرائيلياً مثله مثل سائر مواطنيه في الداخل، وأن يرى أبناء طائفته، الدروز، مجبرين على الالتحاق قسراً بالجيش الإسرائيلي، مؤدّين إلزاماً خدمتهم العسكرية. وكم هاجم القاسم هذا القرار داعياً الشباب الدروز إلى التنصل منه. ولعل هذين الأمرين الشائكين كانا يزيدان من حدة غضبه على إسرائيل ومن حماسته في مواجهتها مواجهة سافرة، وصب حمم ناره على رموزها وجيشها الغاصب، وعلى وجودها القائم على أنقاض فلسطين. وكان لا بد له من المضي في التزام المقاومة بصفته واحداً من شعراء الأرض المحتلة، واحداً من أبرز هؤلاء الشعراء وأشدهم إشكالاً واختلافاً. وهذا ما وسم شخصه وطبعه وسلوكه كشاعر يكتب بحرية، متألماً وغاضباً وناقماً وساخراً ولكن بمرارة.

كان سميح القاسم غزيراً في كتابة القصائد والأناشيد وفي إصدار الدواوين التي تخطت الستين، وابتدع سلسلة من الأعمال الشعرية سماها «السربيات» ضمت قصائد له ذات نفس ملحمي،

تدور حول مأساة الفلسطينيين المنفيين والمقيمين. كان القاسم أشد غزارة من رفيق دربه الشاعر محمود درويش، وقد جمعت بينهما منذ الستينات صداقة متينة توّجها نضالهما المشترك في الحزب الشيوعي ودخولهما سجون العدو عقاباً لهما على قصائد عاصفة ومواقف وطنية صارخة. لكنّ هذه العلاقة عرفت لاحقاً حالات من التوتر ثم ما لبثت أن استتبت وراحا يتبادلان رسائل صدرت في كتاب.

سميح القاسم شاعر المراحل والمدارس، بدأ ينظم الشعر العمودي ثم انتقل الى الشعر التفعيلي الذي هيمن على المشهد الشعري السياسي والنضالي، منتقلاً من رومنطيقية خفيفة إلى واقعية شبه إيديولوجية ملؤها الحماسة، فإلى نزعة رمزية وصوفية وحكمية استمدها من عقيدته التوحيدية. لكنه لم يستكن في مدرسة ولم يثبت على تيار، بل ظل يتنقل بين هذه الاتجاهات، معرّجاً على التراث العربي والحضارات والأساطير ورموزها، ومنفتحاً على الحداثة العربية والغربية عبر اللغة العبرية التي كان يتقنها ويقرأ فيها الأدب العالمي ويترجم من خلالها بعض النصوص المسرحية. ولم يتوانَ عن المساهمة في ترجمة قصائد للشاعر اليهودي المعروف روني سوميك.

عرف الشعر الثوري، الغاضب والناقم، الذي كتبه القاسم رواجاً عربياً كبيراً، وانتشرت قصائده شعبياً.

رحل سميح القاسم شاعر القضية الفلسطينية وعيناه مفتوحتان على مأساة غزة، متألماً وغاضباً بصمت. رحل من غير أن يهاب لحظة الموت المرير على سرير المرض العضال، هو الذي قال مرة: «أنا لا أحبك يا موت/ لكنني لا أخافك.«

د. عدنان جابر

سلامٌ على رَوحِكَ الطّاهرِ .. وألفٌ على ذِكرِكَ العاطرِ

سلامٌ عليكَ بحجمِ الأسى .. لفقدِ المناضلِ والشاعرِ

بحجمِ الذي لكَ في نبضِنا .. منَ الحبّ, منْ فيضِهِ الغامرِ

بحجمِ الشموسِ التي أشرقتْ .. تشعشِعُ من حرفِكَ الزّاهرِ

وتلكَ "المواكبِ" سيّرتَها .. إلى الشمسِ في صبحِكَ الباكرِ

بطعمِ "أغاني الدّروبِ" التي .. شجتنا بإيقاعِها الآسرِ

أيا شاعرَ "الرّعدِ" فارقتنا .. وما أنتَ بالرّاحلِ العابرِ

فصوتُك باقٍ بوجدانِنا .. نداءً يُرفرِفُ كالطائرِ

بشيرَ النّيامِ على جُرحِهم .. بفجرٍ بهيّ السّنا باهرِ

نذيرَ البُغاةِ بيومٍ عصيبٍ .. يكونُ وَبالا على الجائرِ

ويا شاعرَ الأرضِ كرّمتَها .. بشِعرٍ قويّ الصّدى ساحرِ"كما يشتهي الموتُ" أحببتَها .. نزفتَ جُرحٍ بها غائرِ

وكنتَ شعارا على صدرِها .. ونارا على الشانئ الغادرِ

رسمتَ بشِعركَ أوجاعَها .. ودافعتَ عنْ حقِّها العاثرِ

مشيتَ وهامُك فوقَ الذُّرى .. بنعشٍ على كاهلِ صّابرِ

نشدتَ سلاما وحريّةً .. وعدلا على كوكبٍ عاهرِ

وصرتَ مثالا غدا نهجُهُ .. دليلَ المناضلِ والثائرِ

بشخصِكَ لاقتْ لها مرتعا .. سجايا تُعَدُّ مِنَ النّادرِ

فيا لكَ مِنْ شاعرٍ باسقٍ .. ويا لكَ مِنْ غائبٍ حاضرِ

ستبقى على الدّهرِ محبوبَنا .. ووجهُكَ يسطَعُ في الخاطِرِ

عقل العويط

سميح القاسم شاعر التراب الفلسطيني وكبرياء القضية (2014 - 1939)شاعر الفدائيين

مات سميح القاسم. ماذا يمكن أن يقال فيه، وشهرته تتقدم شعره وشعريته؟! أجدني أكاد أقول، بسببٍ من هذه الشهرة المدوّية، التي تكاد تسحب كل بساط من تحت التأويل النقدي: لا فائدة لأيّ نقد، أو لأيّ تحليل.

والحال هذه، لا شيء ينصف سميح القاسم سوى قصائده التي يردّدها الفدائيون، وهم ذاهبون في عملياتهم الفدائية، تحت الليل، في أول طلوع الفجر، وفي هندسات الخيال.

أستطيع أن أسمّي تلك القصائد "الخطيرة" أيقوناتٍ ثورية. وكما تضيء الأيقونات أمام المؤمنين، كانت قصائد سميح القاسم تهرع للانضمام إلى حيث قصائد شاعر المقاومة الفلسطينية الأول، محمود درويش، لتضيء معها، شقيقةً إلى جانب شقيقة، وإن على تفاوتٍ في المستوى بين الرجلين، الدروب المعتمة أمام الثوّار الذين أشعروا العرب أجمعين بكراماتٍ لطالما افتقدناها في كنف الاستبداد والتخلف والرجعية.

لا شيء ينصف سميح القاسم سوى غنائيات تلك القصائد، وما أضفته من لمعانات خلاّقة في العيون، وما أجّجته من كبرياءات مضافة في صدور الأمهات، وما زرعته من ابتسامات شعرية على شفاه الأطفال، يدندنون جميعهم في المخيمات والملاجئ، في الشوارع والأزقة، كما في المنافي، وبلدان الشتات، قصائده التي صارت أغاني ومعجزات تطلّ كعملياتٍ فدائية من وجوه الأيقونات.

هل يعني القارئ، وخصوصاً القارئ الفلسطيني، والعربي، ماذا يُمكن أن يقال في شعر سميح القاسم، نقداً، أو تحليلاً، لمعرفة مكانته في الشعرية الفلسطينية، تالياً في الشعرية العربية؟

لستُ أدري، كم يعنيه ذلك، في مثل هذه اللحظات!

لو كنتُ سميح القاسم، لكنتُ استمحته عذراً، ولكنتُ فضّلتُ لهذا الشاعر بالذات، بسببٍ من فلسطينيته، وبسببٍ من القضية، قضيتنا، بل بسببٍ من حبّي اللاحدود له لفلسطين، أن يختصر أعماله الشعرية الكثيرة، بقصيدة، بقصيدتين، بثلاث، بعشر، بعشرين. أكثر قليلاً، أو أقلّ قليلاً، لا فرق. لكن، ليس أكثر.

هذا مدعاته وذريعته، عندي، الاحترام الكامل للرمزية الأيقونوغرافية الثورية التي يجب أن ترافقه إلى مثواه الأخير. هذا حقّ له، بالطبع، لا يرقى إليه أيّ شكّ، ولا يعتوره أيّ التباس. على أن سميح القاسم المجلّل برمزيته وهالاته، والذاهب إلى مثواه، في الرامة، أرضه الأولى، كان "شاعراً كبيراً"، فقط لأنه غنّى فلسطين، ولأنه كان، في أحد الأيام، شاعر فدائيين ومقاوِمين، في معنى ما.

هذا لأقول استطراداً، وبنوعٍ من التهيّب، بسبب المناسبة، إنه كان شاعراً. ولم يكن شاعراً كبيراً. قد يكون في هذا القول شيءٌ من ابتسار وتجنٍّ وتعسّف. ليس هذا هو القصد. حاشا. له، ولمحبّي شخصه وشعره، ألف تحية، واعتذار.

لكني أقول باعتزاز، إن فلسطينه تتقدّم عموماً على شعريته، مع بعض الاستثناءات القليلة. واعتقادي أن هذه "الفضيلة" الفلسطينية المطلقة، عنده، تغفر للشاعر عدم تعالي الحنكة الشعرية، وموهبتها، إلى أن تتساوى بالرمزية الفلسطينية في قصيدته، هذه التي تعلو، بأشواط، على أيّ قيمة جمالية أخرى.

كان مقامه الشعري ليكون أشد رسوخاً، لو أن شعريته كانت موازية لفلسطينيته. لكن مثل هذا التوازي تنوء به الجبال العاليات، فكيف لا ينوء تحته شاعرٌ رقيق مثل سميح القاسم؟ ! لهذا السبب بالذات، كم كان سميح القاسم ليكون فريداً في نوعه، لو أنه لم يكتب الكثير. لو أنه كان مُقِلاً. لو أنه تدارك كثيره بالقليل من القصائد التي جعلته يحضر برمزيته القصوى، مخترقاً الوجدان الجمعي للفلسطينيين، للفدائيين، وللحالمين بدحر العدوّ الصهيوني البغيض، الجاثم على أرض فلسطين.

ما لي ولهذا كله. فكل شيء يصغر الآن أمام قصيدة، قصيدتين، أو ثلاث له، أو عشر، يكفيه أنه كتبها، وأنها ستظلّ مقترنةً باسمه وبعطور ظلاله كلما عنّت فلسطين بالبال .

يجب أن نتذكر دائماً أنه صاحب هذه الكلمات التي ألهمت فدائيين كثراً، وجعلتهم يقتحمون الغمار في مواجهة العدوّ الخسيس: "تقدموا/ تقدموا براجمات حقدكم وناقلات جندكم/ فكل سماء فوقكم جهنم/ وكل أرض تحتكم جهنم."

يجب، كلما أردنا أن نتخيّل صورة الفلسطيني الفدائي الثائر، أن نتذكر هذه الكلمات:

منتصب القامة أمشي/ مرفوع الهامة أمشي/ في كفّي قصفة زيتون/ وعلى كتفي نعشي، وأنا أمشي وأنا أمشي."

سلامي إلى شاعر الفدائيين

عمر الدريسي

الشاعر سميح القاسم يمشي منتصب القامة إلى الموت

" بتصرف "

هل نُصدق بحق أننا أمام أمة تُأْكَل أوطانها أمام أعينها وتُقهر مقاومتها والأدهى والأمر أن أعلامها تُبلع تِبَاعاً: " فما الذي ابقانا أحياء كي نرى ذبح الوعول على الوحول " على حد تعبير شاعر المقاومة الكبير معين بسيسو، ما يحدث فيغزةوالعراق وسوريا وليبيا وووو... أَلَا يُؤْلِم حَقاً كل من له ضمير اتجاه أُمته والجفاف والتصحر يملأ الفكر والوجدان بموتهم تِبَاعا : غسان كنفاني، نزار قباني، عبدالرحمان منيف، ادوارد سعيد، ممدوح عدوان، مظفر النواب، محمود درويش و و و ..و آخرهم سميح القاسم.. !؟

أصحاب الحناجر الصادقة الصافية من شوائب الوُصُولية والنفاق لا تُخمد أصواتهم: " هم الشعراء نبوءة لا تموت // يكتبون بعادات الوحي القديم // يطرقون باب الله // ولا يكفون // هم الشعراء وإن مات الشعر // لا يموتون// هم الشعراء يا صديقي إن ماتوا."..

هُمْ من خَلَّفوا ويُخَلِّفوا شعوبًا من ياسمين "، منهم سميح القاسم الذي صاح في وجه عصابات الإحتلال: " ربما تحرمني شبابي وثيابي...// ربما تسطو على ميراث جدي ..// من أواني وخوابي...// يا عدو الشمس لكن لن أساوم // والى آخر نبض في عروقي // سأقاوم .. // وأقاوم ...// وأقاوم."، إنه شاعر المقاومة العربي بامتياز رفقة "كل من ... عربي.. بسيط أنا وأحب جميعالأمم ."... مثل أصحاب هذه الأصوات لا تخمد أصواتهم أبدا.

العظماء يتساقطون ببطء... قال الشاعر سميح القاسم مستخلصا واقعا مريرا: " يا أيها الموتى بلا موت // تعبت من الحياة بلا حياة.."، ثالث لآلئ شعر المقاومة الفلسطينييرحل؛ إنها غصة أخرى في حلق الشعر العربي بعد رحيل كل من محمود درويش وتوفيق زياد اللذين سبقاه إلى

الموت، إنه واحد من العظام الذين ترجّلوا عن دنيانا، ولكنهم أبقوا فلسطينأقوى وأنصع بوجهها الكوني، في الهُناك ستجتمع اللآلئ الثلاثة ليكتمل جمال العقد الشعري الفريد في اللَّاهُناك، انتم أنتم لا تموتوا كمثل البشر ...لكم روح تحلق فوق سماء ارضنا ..ولكم صوت لايغيب ..قلوب أصحاب الذوق اسيرة محبتكم ...لكم ذاكرتنا التي لن تغادروها قط ...

في سؤال من احد الإعلاميين للشاعر سميح القاسم حول علاقته بالشعر فكان الجواب كالتالي:" منذ عقود من الزمن. هكذا، بدأت قصيدتي، بالوجع الشخصي، الذي هو وجع شعب ووجع وطن، ولا تستطيع أن تجد فيه الحد، بين ماهو ذاتي وما هو عام، بين ما هو فردي وما هو قومي، لأن الخطر الذي تهددني ومازال، يتهدد آخرين، هم من اصطلحوا على تسميتهم بأبناء شعبيالفلسطيني .لذلك، فميلاد التجربة الشعرية، وميلاد القصيدة، والهاجس الفني، والقلق الشعري، يبدأ من جرح صغير في خاصرة الطفولة، ويستمر إلى الجرح الكبير في جبين الأمة والإنسان في المطلق."

كان شديد التعلق و الحب لبناء الشعر القديم و لبحوره على خلاف جل الشعراء المُحدثين والجُدد، وفي سؤال وُجِّهَ له عن موقفه من الشعر الكلاسيكي يجيب: " هم تركوا الشعر الكلاسيكي ليس لأنهم يريدون تركه بل لأنهم لم يستوعبوه. أقولها بصراحة. لم يكتشفوا عبقرية الأوزان العربية. العرب فقط من يملكون هذه الثروة من الإيقاعات. هذه ثروة موسيقية هائلة. صاروا يقولون إنها قيود. كيف تقولون قيودًا؟ هي قيد لمن لا يعرفها. ولكنها أجنحة حرية إذا أنت استوعبت الأوزان وصارت جزءًا من تكوينك الداخليّ، من إيقاعك الداخليّ، من نفسك، فهذه أجنحة حرية ستأخذك إلى أماكن لا تتخيّلها. ولكن حتى في الأوزان الكلاسيكية خطر ببالي مرة أن أضيف شيئًا فأضفتُ. ففي الكلاسيكيات ثمة صدر وعجز في البيت الشعريّ. وأعتقد أنني ربما في رثاء حافظ الأسد طلع معي صَدران للبيت فأبقيتهما، ثم جاء عجزان فأبقيتهما. وتكرّرت معي أكثر من مرة. هذه أصبحت إضافة شخصية للكلاسيك. الأوزان

الكلاسيكية بحدّ ذاتها تحوي ثروة، وخسارة خسارة وجود نوع من التغريب في تعليم اللغة العربية. ثمة غزو فكريّ وثقافي عند العرب، حتى أنهم لا يتعلمون العروض في المدارس. كيف سيستوعب الطالب المتنبي إذًا عندما يكبر؟ والمعري؟."

.."وداعا... يا صاحب البيان قبل الاخير...مُنتصب القامة تمشي إلى مثواك الاخير.. رحمة الله عليك، إن لله وانا اليه راجعون

عمرو موسى

ينعي شاعر فلسطين "سميح القاسم"

نعى عمرو موسى رئيس لجنة الخمسين لتعديل الدستور، شاعر المقاومة الفلسطينية سميح القاسم، وقال في بيان له: " رحل سميح القاسم شاعر المقاومة الفلسطينية وشعبه يناضل من أجل حقوقه التي عاش حياته مدافعا عنها ومطالبا بها، أعزي الشعب العربي كله في رحيله".

وأضاف: " تحية إلى روح شاعر فلسطين الذي خلدت أشعاره نضال شعبها بأعذب الكلمات، تحية إلى جيل شعراء النضال والمناضلين، تحية إلى روح سميح القاسم".

فاروق جويدة

هوامش حرة

ورحل سميح القاسم

يرحل سميح القاسم والدم الفلسطينى يغرق ربوع غزة امام اكثر من 11الف بيت هدمتها عصابة الموت فى تل ابيب و2000 شهيد و10000 جريح ..

يرحل صوت فلسطين الذى بقى على عهده مع وطنه فلم يغادره وظل متمسكا بأرضه وبيته وتاريخه .. مع رحيل سميح القاسم تخسر القضية الفلسطينية جناحها فقد كان مع رفيق دربه محمود درويش جوادا لشعر المقاومة الذى واكب بكل الصدق والقوة قضية العرب الأولى .. فى الوقت الذى خرج فيه محمود درويش حاملا قضية شعبه الى كل بلاد الدنيا بقى سميح القاسم متمسكا بأرضه وترابه .. وفى هذا الإختلاف فى المواقف قدم درويش تجربته الثرية فى المنفى وقدم القاسم تجربته مع الوطن وترك الإثنان للقضية الفلسطينية تاريخا حافلا من الشعر والمواقف.. كانت الآراء دوما تختلف حول شعر درويش والقاسم كان درويش يغنى كثيرا لنفسه بينما كان القاسم يصدح مع شعبه .. فى شعر محمود درويش تجد قلبا يحارب وفى شعر سميح القاسم تجد يدا صلبة تحمل السلاح وكلاهما حارب على طريقته كان شعر درويش اوسع مساحة وهو يغنى للوطن بينما كان شعر سميح القاسم مناجاة امام وطن ذبيح كانت بينهما حكايات وقصص وحوارات رغم ان الأيام فرقت بينهما امام طغيان الاحتلال .. بقى سميح القاسم يزرع شجرة الزيتون امام بيته الذى لم يغادره وطاف محمود درويش كل عواصم الدنيا مقاتلا بشعره مدافعا عن حق شعبه فى الوطن والكرامة .. لقد خسرت القضية الفلسطينية اشياء كثيرة .. خسرت يوم رحيل ابو عمار والشيخ ياسين وخسرت يوم انفصلت غزة عن بقية الوطن واعلنت استقلالها وخسرت يوم حمل الفلسطينيون السلاح هذا فتح وهذا حماس وخسرت يوم تشرذم الشعب الفلسطينى ونسى قضيته الأولى فى الوطن والأرض والحياة ..والآن يرحل سميح القاسم بعد سنوات قليلة من رحيل درويش شاعر القضية ومع رحيل رفاق القلم تخسر القضية

الفلسطينية اهم شعرائها ويخسر الشعر العربى صوتين من اجمل الأصوات التى غردت فى حديقة الشعر العربى .

بقلم: شاكر فريد حسن

في رثاء منتصب القامة ... شاعر الغضب الثوري

مات سميح القاسم حادي الوطن والثورة ، وقيثارة فلسطين وحجرها ومتراسها ، وسفير الشعر الوطني الجميل المغنى دون أن" يستأذن أحداً " ، غاب "أبو وطن" فارس النضال والكلمة المقاتلة المتوهجة الغاضبة ، وشاعر الشعب والكفاح والمقاومة والعروبة والغضب والنبوءة الثورية .

رحل شاعر الحب والألم والأمل والوجع الإنساني المبشر بالغد ، الذي لم يخف الموت ويهابه ، بل كان يكرهه ، وقاومه بكل شدة وصلابة وكبرياء ، وخاطبه قائلاً : " أنا لا أحبك يا موت ، لكني لا أخافك " ولكن في النهاية انتصر عليه .

رحل الشاعر القديس،والصوت الوطني الشامخ الصداح المدوي، الذي تخطى الحدود، وطالما شدا للوطن والتراب، وهتف للوطن والإنسان، وغنى للعامل والفلاح .

مات سميح القاسم صاحب السربية وكولاج و"نشيد الصحراء" و"غزاة لا يقرأون " و"دمي على كتفي" و"تقدموا " وغيرها من القصائد المنبرية والجماهيرية الحماسية ، التي كان يلقيها بصوته الجميل العذب المجلجل ، فسكنت وجدان الناس واحتلت قلوبهم ، وكانت بمثابة بيان شعري سياسي .

غادر سميح " منتصب القامة يمشي .. مرفوع الهامة يمشي .. في كفه قصفة زيتون ، وعلى كتفه نعشه ، وهو يمشي وهو يمشي ".

ترجل عن صهوة القصيدة قبل أن يكمل نصه الأخير عن انتصار المقاومة في غزة الصمود والعزة ، ودون أن تتكحل عيناه بتحرير الوطن من المحتلين .

مات شاعر الانتفاضة الذي كرس حياته في الدفاع عن الحق والعدل والحرية ، وضد الجور والبطش والقهر والاحتلال والظلم التاريخي الذي لحق بشعبه .

رحل نبي الغضب ، وخبز الفقراء ، وأنيس المقهورين والمعذبين ، ولسان الفلسطينيين وأبجديتهم ، والعاشق الأبدي لتراب الجليل وزيتون الرامة ، الذي سما بشعره فوق الجراح والعذاب .

سميح القاسم هو أحد أعمدة الشعر السياسي الاحتجاجي المقاوم ، ومن أبرز وأهم الأصوات الشعرية الفلسطينية والعربية المعاصرة ، ويعد من الجيل المؤسس للكلمة المقاتلة في فلسطين التاريخية ، وشكل قوس قزح لثقافة الصمود والمواجهة ولشعر المقاومة والالتزام السياسي مع توأم روحه محمود درويش ورفاق دربه ومجايليه توفيق زياد وراشد حسين وسالم جبران وحنا أبو حنا وسواهم . عرفناه والتقيناه في ميادين النضال وساحات الكفاح والمواجهة مع السلطة ، واستمعنا لقصائده في مهرجانات يوم الأرض وأول أيار وعيد المرأة العالمي وفي الندوات الشعرية ومهرجانات الأدب والفكر ، وكان كابوساً لسياسات الاحتلال بكلماته القوية وصوته وظلاله .

ومنذ نشأته الأولى التزم سميح القاسم خط النضال ومقارعة الظلم ومقاومة التجنيد الإجباري المفروض قسراً على أبناء الطائفة المعروفية ، وارتبط نشاطه السياسي والاجتماعي والثقافي والأدبي بالحزب الشيوعي وتعاليمه ومفاهيمه ومنابره وأدبياته . سجن واعتقل أكثر من مرة ووضع تحت الإقامة الجبرية ، وتعرض للملاحقات والمضايقات السلطوية ، وفصل من التدريس بسبب قصائده ومواقفه السياسية والوطنية والقومية، ورغم ذلك واصل درب الكفاح والنضال، ولم تهزه التهديدات ، ولم تزعزعه المضايقات، ولم يدع أي فرصة اجتماعية أو سياسية أو وطنية دون أن يشترك فيها مادام الغاية من ورائها مصلحة الوطن والقضية ومستقبل الشعب .

كان سميح القاسم يكره الطائفية والتعصب الديني والعرقي والمذهبي، ويمقت التكفير والقمع الفكري ، وكان يدعو دائماً للتسامح والوحدة والتآخي بين الأديان والطوائف وصيانة النسيج الاجتماعي والوطني لشعبنا .

حظيت أشعار سميح القاسم وقصائده وكتاباته السياسية والفكرية بشهرة واسعة ، واعتبر من كبار الشعراء والمبدعين الفلسطينيين والعرب الذين ارتبط أدبهم بالثورة والمقاومة والحياة . ومن موقعه القيادي في دنيا الشعر والفكر والنضال وقف أبو محمد وأبو وطن سميح القاسم ، رمزاً وطنياً وعلماً ساطعاً فياض العطاء، حاملاً المشعل والرسالة قولاً وعملاً ، مغمساً قلمه في قلبه ،

ودمه على أكفه، مضمخاً بالحب والحنان والمحبة ، كابن لهذا الوطن الذبيح الجريح والشعب الأصيل ، الذي كان يستمد منه قوته وأصالته وشموخه وإبداعه .

وعلى مدى عمره الحافل بالعطاء والإبداع الشعري والتوهج ، ظلت فلسطين حلمه وهاجسه الكبير وهمه الأول والأخير . وجسد في كتاباته هموم وطنه ، وعبر عن آمال شعبه الفلسطيني بالحرية والانعتاق والاستقلال والخلاص من ربقة الاحتلال . وتشهد على ذلك قصائده الوطنية الثورية الملتزمة ، التي تحاكي الواقع ، وتناجي الوطن ، وتتغنى بالزيتون والتراب المقدس وكل سنبلة في ربوع وطننا الحبيب والغالي ، وتصور بطولات الشهداء وصمود المقاتلين والمعتقلين .

وقد تحولت قصائده إلى أغان وطنية وأناشيد وهتافات ثورية ترددها حناجر الجماهير في معارك التحرر والاستقلال الوطني ، وأصبحت جزءاً من التراث الحي لأناشيد الثورة وأغاني المقاومة الفلسطينية .

وفي كل كتابات سميح القاسم المتنوعة ، نلمس البعد الوطني والإنساني والتاريخي والنقدي والمستقبلي ، ونحس بالدفء وحرارة القلب ونبضاته ، ونلمس الأمل والتفاؤل والاستشراف المتطلع إلى غد أجمل ومستقبل أفضل متجدد . وغني عن القول، أن سميحاً كان دائماً الشاعر المتفائل ، رغم الألم والمعاناة اليومية ومصاعب الحياة وقهر الاختلال .

إن إنساناً بحجم وعظمة المتماوت سميح القاسم، الذي كرس عمره وأدى دوره كمثقف عضوي وثوري رسولي من خلال الجبهة الثقافية، ووظف شعره وجنده للتعبير عن الروح النضالية

والإنسانية المنافحة التي تدعو للمحبة والسلام بين الشعوب ، إنساناً كهذا لا يمكن أن يغيب لحظة واحدة عنا، وسيبقى خالداً في وجدان وعقل أبناء شعبه ومثقفيه ، ولن يموت أبداً.

سميح القاسم مبدع كبير، وقامة شعرية سامقة ، ومصباح توهج بنور العمل والأمل، تجسدت فيه قيم الصدق والتواضع والخير والعدل والإنسانية وشموخ جبالنا الفلسطينية وروابيها وصلابة صخورها ، وسيظل يملأ سماءنا وفضاءنا بروائعه الشعرية الأصيلة .

طوبى لسميح القاسم في الحياة والممات، ووداعاً يا شاعر القضية، ويا لوركا فلسطين، ورسول المحبة والجمال والذوق الرفيع، والصوت الهادر الصارخ المعبر عن آلام وهموم شعبنا الظامئ للحرية والشمس والفرح .

شعر كمال ابراهيم

أيُّها الشاعِرُ المُسَجَّى

بموتِكَ هذا

غيّمَ الحُزْنُ

والقَلْبُ انكسَرْ ،

هاجَرَ الطَّيرُ

واصْفَرَّ الشَّجَرْ .

يا فارِسَ العَصْرِ

يا أبا الوَطَنْ

بموتِكَ هذا

غادَرَ الشِّعْرُ

والفَنُّ انتَحَرْ ،

بموْتِكَ هذا

أسْدِلَ الليلُ

وغابَ القَمَرْ ،

ماتَ سِحْرُ الفَجْرِ

واليأسُ انتصَرْ .

وَداعًا يا عاشِقَ الغَيْثِ

وزَخَّاتِ المَطَرْ ،

يا أميرَ الشِّعرِ

يا مُسْرِجَ الدَّرْبِ

يا حَبيبَ الحُكماءْ ،

يقولونَ في الجليلِ ناحَتْ حمامَةٌ

على فَقْدِكَ يا كبيرَ الشُّعَراءْ ،

بموْتِكَ هذا غطَّتْ غمامَةٌ

بِلادَ العُرْبِ

فانقشَعَ النورُ في السَّماءْ ،

فلسْطينُ مَهْدُ الحَضارَةِ تَبْكيكَ حزينَةً

وَمِصْرُ وأرْضُ الشامِ وسائِرُ الأرجاءْ .

نَمْ قريرَ العيْنِ

سَلِّمْ على مَنْ قضى

قبْلَكَ منْ أهلِ الشِّعْرِ والأدَباءْ ،

سَلِّمْ على جُبْرانَ والبياتي وَمِنْ بعْدِهِمْ

نزارُ ودَرويْشُ ، كبارُ الشُّعَراءْ ،

بلادي اليوْمَ يا سَميحُ باتَتْ يتيمَةً

تبكي على موتِ منْ كانَ اسمُهُ

حُلَّةَ الأسماءْ .

لكَ الرَّحمةُ

وللأهلِ والعُربِ في سائرْ الأنْحاءْ

حُسْنُ التعازِي

وَطُولُ البقاءْ .

محمد حافظ

سميح القاسم.. أنا لا أحبك يا موت

لم يتبق من أعمدة المقاومة الأدبية والثقافية الفلسطينية سوى الشاعر الكبير سميح القاسم، أحد أهم وأشهر الشعراء العرب والفلسطينيين المعاصرين الذي يمر بوعكة صحية شديدة؛ بعدما أصبحت المقاومة جريمة يسعى الجميع إلى أن يتبرأ منها .

ففي أرض فلسطين المحتلة، يخوض "سميح الكيماوي"، كما يصف نفسه، صراعا شديدا مع ورمٍ خبيث في الكبد، بعد أن خاض القاسم صراعات كثيرة أخرى، جعلت اسمه يرتبط بالقصيدة الثورية خلال الستينيات والسبعينيات .

ولد صاحب "إنها مجرد منفضة"، لعائلة عربية فلسطينية في قرية الرامة (عكا) بفلسطين عام 1939 وتعلم في مدارس الرامة والناصرة وعلّم في إحدى المدارس، ثم انصرف بعدها إلى نشاطه السياسي في الحزب الشيوعي قبل أن يترك الحزب ليتفرغ لعمله الأدبي .

يعد القاسم أحد أشهر الشعراء الفلسطينيين المعاصرين الذين ارتبط اسمهم بشعر الثورة والمقاومة من داخل أراضي العام 48، أسس صحيفة كل العرب، أصبح عضوا في الحزب الشيوعي.

صَدَرَ له أكثر من 50 كتاباً في الشعر والقصة والمسرح والمقالة والترجمة، وصدَرتْ أعماله الناجزة في سبعة مجلّدات عن عدّة دور نشر في القدس وبيروت والقاهرة.

تُرجِمَ عددٌ كبير من قصائده إلى الانجليزية والفرنسية والتركية والروسية والألمانية واليابانية والاسبانية واليونانية والإيطالية والتشيكية والفيتنامية والفارسية والعبرية واللغات الأخرى.

صدَرتْ في الوطن العربي وفي العالم عدّة كُتب ودراسات نقدية، تناولَت أعمال الشاعر وسيرته الأدبية وإنجازاته وإضافاته الخاصة والمتميّزة، شكلاً ومضموناً، ليصبح كما ترى الشاعرة

والباحثة الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي، الشاعر الوحيد الذي تظهر في أعماله ملامح ما بعد الحداثة في الشِّعر العربي. وجاءَ في تقديم طبعة القدس لأعماله الناجزة عن دار "الهدى" (الطبعة الأولى العام1991) ثم عن دار "الجيل" البيروتية و"دار سعاد الصباح" القاهرية.

سُجِن سميح القاسم أكثر من مرة كما وُضِعَ رهن الإقامة الجبرية والاعتقال المنزلي وطُرِدَ مِن عمله مرَّات عدّة بسبب نشاطه الشِّعري والسياسي وواجَهَ أكثر مِن تهديد بالقتل، في الوطن وخارجه. اشتغل مُعلماً وعاملاً في خليج حيفا وصحفياً.

ارتبط اسم صاحب "دمي على كفّي" بالقصيدة الثورية خلال الستينيات والسبعينيات، وتحوّلت قصائده إلى أغنيات أشهرها "منتصب القامة أمشي" لمارسيل خليفة.

كان القاسم ثالث ثلاثة، صحبة محمود درويش وتوفيق زياد، طوّروا تلك الجماليات الشعرية الرفيعة التي ستستقبلها الذائقة الأدبية العربية تحت مسمى شعر المقاومة، والتي لن تكتفي باقتراح حداثة ذات نكهة خاصة، في الشكل والموضوعات، فحسب؛ بل ستردّ الكثير من الكبرياء إلى الوجدان العربي الجريح، قبل ذاك الفلسطيني، خاصة بعد هزيمة 1967.

يردد عشاقه ومريدوه في هذه الفترة قصيدته التي تعبر عما يدبره الموت للقاسم هذه الفترة والتي تقول: "أنا لا أحبك يا موت/ لكنني لا أخافك/ أعلمُ أنّي تضيق عليّ ضفافك/ وأعلمُ أن سريرك جسمي/ وروحي لحافك/ أنا لا أحبك يا موت/ لكنني لا أخافك".

محمد حجيري

سميح القاسم و"شرنقة القضية الفلسطينية"

شاعر الزمن النضالي

غيّب الموت، أمس الثلاثاء، سميح القاسم (75 عاماً)، بعد "صراع مع السرطان"، حسبما جاء في بيان النعي. هذه العبارة التي باتت رديفاً للتراجيديا في حياة الانسان، إذ لا أحد ينجو من جحيمية هذا المرض الفتاك، صار لعنة في الحياة. لم يمنع السرطان سميح القاسم من السيجارة في سنواته الأخيرة، مع أنه كان يقول: "أنا لا أحبك يا موت.. لكني لا أخافك.. وأعلم أن سريرك جسمي.. وروحي لحافك.. وأعلم أني تضيق علي ضفافك".

مع رحيل سميح القاسم، يمكن أن نستعيد ما كتبه أميل حبيبي في تقديمه لكتاب "الرسائل" بين محمود درويش وسميح القاسم، وأطلق عليهما اسم "شقّيّ البرتقالة الفلسطينية". الأرجح أن الكثير من الأدباء والكتاب ساهموا في تكوين البرتقالة الفلسطينية ورحلوا، بدءاً من أميل حبيبي مروراً بتوفيق زياد وأبي سلمى ومحمود درويش وإدوارد سعيد، والآن سميح القاسم. هؤلاء صناع "صورة" الثقافة الفلسطينية في مراحل مختلفة، مع تفاوت واختلاف في تجربة كل منهم. فمحمود درويش استطاع تخطي مرحلة "الشعر النضالي" إلى آفاق أرحب وأوسع، بالمعنى الشعري والوجداني، وبقي توفيق زياد والقاسم داخل "شرنقة القضية الفلسطينية".

والغريب واللافت أنه برغم مؤلفات سميح القاسم الكثيرة والمتنوعة، تعرّفه معظم وسائل الإعلام بأنه كتب قصائد معروفة، مغنّاة في أنحاء العالم العربي، منها قصيدته التي غناها الفنان اللبناني مرسيل خليفة: "منتصب القامة أمشي .. مرفوع الهامة أمشي... في كفي قصفة زيتون... وعلى كتفي نعشي، وأنا امشي وأنا أمشي". ربما تكون هذه القصيدة من أسوأ ما كتب سميح القاسم، وإن كانت راسخة في الذاكرة والوجدان وساهمت بقوة في النضال وتمجيد

النعوش، وهي من دون شك تدل على اللاقراءة عموماً ولاقراءة الشعر خصوصاً.

فأن يتم التركيز على قصيدة تعبوية لشاعر كتب نحو 70 كتاباً فهذه معضلة فعلية. وهناك نوع آخر من القراء (ربما منهم كاتب هذه السطور) يركزون على "لاطهرية الموت"، بمعنى أنه إذا مات شاعر أو روائي، فليس علينا أن نشرع في رثائه ومدحه والاثناء على عظمته لمجرد أنه رحل، وإن كان هذا هو السائد في العالم العربي. والقراءة النقدية للشخصيات، من دون عواطف، لها أيضاً سلبياتها، تتجلى أحياناً في تهميش البعض لكتابات الشاعر أو الكاتب، والتركيز على سقطة ارتكبها في حياته، مثل القصيدة التي كتبها سميح القاسم في رثاء حافظ الأسد العام 2000، عندما اعتبره "أسد العروبة". كان عابراً وَقع هذه القصيدة حين ألقاها القاسم. أما اليوم، فالأمور تبدلت مع اشتعال الأحداث والحرب في سوريا، وما حملته من انقسامات وإفرازات ومجازر وانتهاكات. لم يعد هيناً التسامح مع مَن مدح حافظ الأسد أو أنجاله. وعلى هذا، وجدنا مغالاة في نشر قصيدة القاسم "الأسدية" في "فايسبوك"، مع أن معظم الشعراء العرب لديه سقطات، إما في مدح هذه الزعيم أو ذاك، أو في الولاء لتنظيمات فاشية، أو في الولاءات الطائفية من سعيد عقل إلى أنسي الحاج، ومن نزار قباني الى أدونيس. وهناك المئات ممّن تباروا في مدح الأسد ورثائه، منهم الجواهري وجوزف حرب، إلى جانب العديد من الشعراء المغمورين.

لا شك في أن سميح القاسم كان اسماً لامعاً في مرحلة من المراحل، خصوصاً في أوج القضية الفلسطينية والصراع المسلح والانتفاضات. وهو حافظ على اسمه، لكن شعره تراجع في السنوات الأخيرة، أو تراجع حضوره، بسبب تراجع وهج القضية الفلسطينية أولاً، وتراجع الشعر نفسه أمام الأجناس الأدبية الأخرى ثانياً. ومَن يستعيد كتابات نقدية عن سميح القاسم، يدرك مدى حضوره، على أن الكتابات نفسها لا تنفصل عن الايديولوجيا التي ينتمي إليها الشاعر أو التي كانت سائدة. فهو "شاعر المقاومة الفلسطينية"، وهو "شاعر القومية العربية"، وهو "الشاعر العملاق" كما يراهُ الناقد اللبناني الراحل محمد دكروب، والشاعر النبوئي، كما كتَبَ الدكتور

إميل توما، وهو "شاعر الغضب الثوري" على حد تعبير الناقد المصري رجاء النقاش... إلى ما هنالك من تعابير متورمة لا جدوى منها.

محمد نبيل

سميح القاسم" يرحل عن عالمنا وحيدًا ومزدحمًا بالملايين

"تغربت في دهشة الموت عن هذه اليابسة.. أشدُّ من الماء حزناً..
و أعتى من الريح توقاً.. إلى لحظة ناعسة وحيداً ومزدحما بالملايين..
خلف شبابيكها الدامسة.." بهذه الكلمات، عبر الشاعر الفلسطيني سميح القاسم عن مشهد رحيله عن عالمنا، والذي وافته المنية مساء أمس الثلاثاء بإحدى مستشفيات مدينة "الجليل" الفلسطينية، بعد صراع دام أكثر من ثلاث سنوات مع سرطان الكبد.

ونقلاً عن وكالة الأنباء الفرنسية "فرانس بريس" قال صديقه الكاتب عصام خوري مدير مؤسسة محمود درويش "لقد فارقنا سميح، أقف إلى جانب سريره مع زوجته وأولاده وأشقائه".

وكان "الخوري" قد أعلن قبل أيام قليلة أن سميح يمر بأوضاع صحية صعبة ونتمنى له الشفاء" مشيرا إلى تفاقم وضعه الصحي.

وسميح القاسم شاعر فلسطيني، ولد في رامة الفلسطينية في العام 1939، وتعلم في مدارسها وفي مدارس الناصرة، وأمضى جزءا من حياته المهنية مدرسا.

انصرف القاسم إلى النشاط السياسي في الحزب الشيوعي، ليترك بعدها الحزب، وينصرف إلى العمل السياسي.

سجن القاسم أكثر من مرة، ووضع رهن الإقامة الجبرية على خلفية أشعاره ومواقفه السياسية.

خلال أعوامه الثلاثين الأولى، نشر للشاعر ست مجموعات شعرية، حازت على شهرة كبيرة في العالم العربي.

فاق عدد مؤلفات القاسم الثمانين، شعرا ونقدا ورواية ومسرحا، وكان المسرح يحتل مساحة كبيرة من اهتماماته.

من بين أعماله الشعرية: "مواكب الشمس "، و"أغاني الدروب"، و"دمي على كتفي "، و"دخان البراكين "، و"سقوط الأقنعة ". أما أعماله المسرحية فتضمنت قرقاش ، المغتصبة ومسرحيّات أخرى.

في "الحكايات" كتب "إلى الجحيم أيها الليلك "، و"الصورة الأخيرة في الألبوم "، وكتب في النثر "عن الموقف والفن، من فمك أدينك ،كولاج، رماد الوردة، دخان الأغنية، وحسرة الزلزال".

مسعود مقداد

سميح القاسم : الشاعر والبطل توأمان

قدمي تدمر بلاط أوربا

مقداد مسعود

أنا من بلاد الله، أبحث عنهُ في بلدٍ غريب

على كتف أحمل تابوتي ..

على كتفي الآخر

أحمل كيسا من الخيش..

سميح القاسم

(1)

برحيل سميح القاسم ،أكتمل الغياب الجسدي لشعراء المقاومة الفلسطينية ،أكتملت حقبة امتدت منذ أوائل خمسينات القرن الماضي ،لشعراء شاركوا بالفعلين السياسي والشعري ، عرفوا اقبية التعذيب والكتابة على جدران السجون ،دافعوا عن الحق الفلسطيني وناصروا شعوب الارض .بأشعارهم اختزلوا جغرافيا الوطن العربي ،قبل عنكبوت النت ..أختزلوها بضراوة قصائدهم المحتفية بكل ماهو جميل وثوري قوميا وأمميا : توفيق زياد، سميح القاسم، محمود درويش، سالم جبران ، معين بسيسو.. بأشعار هذه الثريا الشعرية، كنا يومها نستمد أملا لايكف عن الاخضرار المتقدم،وكانت الطبعات الاولى بحجم الكف والقلب ،نترقبها من دار العودة بيروت..

مصطفى رجب:

اختـــار النضـــال فـــوقأرض وطنـــه المحتـــل

رحل سميح القاسم، الشاعر الدرزى الفلسطينى المناضل الذى ولد بمدينة الزرقاء بالأردن عام 1939م. ولكنه تلقى تعليمه فى المدن الفلسطينية: الجليل، ثم والنَاصرة، وقد عمل لبعض الوقت بالتدريس حتى قامت السلطات الصهيونية باستبعاده من عمله بسبب قصائده، فانضوى تحت لواء الحزب الشيوعى الفلسطينى، وواصل نضاله السياسى، ودفع من عمره ثمنا لنضاله سنوات فى سجون الاحتلال. كما كتب سميح القاسم عدة روايات ومسرحيات وكتب كلها تصب فى مسيرة توجهه النضالى، حتى صار مع معاصره وصديقه محمود درويش من أبرز رموز شعر المقاومة فى الأرض المحتلة، وقد احتفت به وبأشعاره كل الأوساط الأدبية فى الوطن العربى، ودرست أعماله الأدبية فى الجامعات فى رسائل وبحوث عدة. ولعل من أشهر قصائده التى يكاد كل عربى من المحيط للخليج يحفظها قصيدته الشهيرة (الانتفاضة).

رحم الله سميح القاسم الذى اختار النضال فوق أرض وطنه التاريخية، واعتقل وسجن، وطورد فى لقمة عيشه، على حين اختار غيره اللجوء للدول الأكثر أمنا واستقرارا، واكتفى من اختار النضال منهم أن يقاوم بالميكروفونات. ولكن من بعيد! وأخلد آخرون إلى الثراء والنعيم وتناسوا وطنهم وأهاليهم من عرب 1948 الرابضين القابضين على جمر التشبث بالأرض والعرض.

معن البياري

القاسم في بيروت

فاتح الباب.. الكبير

لم يزر سميح القاسم بيروت، دعي إليها غير مرة، لكنه لم يتمكّن من القدوم إليها. زار عواصم ومدناً عربية عديدة، ووجد فيها حفاوةً ومحبة كثيرتيْن. لا مناسبةَ للإتيان على بيروت، في هذا المطرح، سوى أن هذه السطور تتكتب فيها، وأنني وجدت في اهتمامها بالشاعر الكبير، في صحافتها وتلفزاتها وأهل النشاط الثقافي فيها، مع وفاته، ما يؤكد بديهيةً، يحسن التنويه دائماً إليها، موجزها أن هذه العاصمة العربية، مع كل التراجع الحادث فيها على غير صعيد، تبقى رئةً أولى للثقافة العربية، وأنها مهما تقلبت عوادي الزمن فيها، ومهما قضمت الركاكة والرثاثة من مساحات العقل والجمال والوداعة فيها، تظل قادرةً على حماية نفسها مما يُراد أن تؤخذ إليه من تفاهةٍ، ومن عروبةٍ منقوصةٍ ومضروبة. والقول، هنا، إن السعة الوفيرة للحريات الفردية والإعلامية في لبنان تتيح مساحاتٍ لكل تعبيرات الانسحاب من الوجدان العروبي الجامع، ولكل ازورارٍ في المجال العام عن الرابط القومي مع الأمة العربية الواحدة، لكنها حيويّة المجتمع المدني، ويقظة نخبةٍ فيه، دؤوبةٍ وجديةٍ ومثابرة، تيسّر مضاداتٍ لتلك الممارسات ومصدّات لها.

لبنان البلادولة، على ما وصفه عنوان مقالةٍ افتتاحيةٍ لرئيس تحرير صحيفةٍ بيروتيةٍ بارزة، وقعت عيناي عليها مع صعودي إلى الطائرة اللبنانية التي أخذتني إلى بيروت، طراز خاص من الأوطان، تحبّ فيه، وأنت زائرُه الشغوف به، تعايش ناسِه مع الأزمات المركبّة فيه، والاستسلام للقناعة العريضة فيه عن البلد ساحةً لهبوب رياح الآخرين فيه. وفيما ناسٌ فيه يشرّقون وآخرون يغربّون، فإن سميح القاسم يجد له حصةً بين الجميع، ليس فقط باعتبار واقعة وفاته مناسبةً للإضاءة الصحفية على شخصه وسيرته ومنتوجه، بل ثمّة فيه ما يزكّي الانتساب إلى فضاء وطني، محلي وقومي، لا يمكن للبنان أن ينبتّ عنهما. وهذه الفضائيات اللبنانية،

من مختلف التلاوين والخيارات، تعطي الرجل مساحاتٍ للحديث عنه، باستضافة المختصين والعارفين بالشعر والثقافة وبفلسطين، وهذه الجرائد تفرد صفحات وملاحق للخوض في السمت القومي الذي كان سميح القاسم يحرص عليه، مثقفاً مهجوساً بمناهضة الاحتلال الإسرائيلي، وهو آخر من مضوا من شعراء المقاومة الفلسطينية في طورها الذي ذاع، قبل أزيد من خمسين عاماً.

لا نتحدث عن هندوراس أو ناميبيا، حتى يُستغرب الانشغال الإعلامي اللبناني، الثقافي منه والعام، بسميح القاسم، فلبنان بلد عربي، ومن منابره وصحافاته ودور النشر فيه كانت أولى إطلالات الشاعر الكبير العربية على قرائه خارج فلسطين. ولكن، يحسنُ تثمين الحقيقة الأوضح، وهي أن هذا البلد يبقى، على الرغم من كل العطب العربي الغزير، ومن كل التردّي الظاهر فيه، يبقى الأقدر على تظهير الوجه الأكثر نضارةً في المطارح العربية، وعلى تعيين وجهة البوصلة الأصلح تأشيراً، في غضون كل هذه المتاهات قدّامنا. وفي الوسع أن يقال هذا كله، وغيره، فيما الذي يقترفه حزب الله في سورية ضاعف من تعقيد هذه المتاهات. وفي الوسع أن يقال، أيضاً، إن سميح القاسم، عندما تخصّص له، في بيروت، أكثر من ندوة في أندية وتجمعات ثقافية، وفي عدة تلفزاتٍ محلية، فذلك مما يعني أن مقادير العافية في هذه العاصمة العربية وفيرة، وأنها تحافظ على مرتبتها الأولى عاصمةً للثقافة العربية، من دون حاجتها إلى موسمية اليونسكو إياها.

كولاجات سميح القاسم الشعرية، ومشهدياته وسردياته المسرحية وملحمياته في كتبه التي اقتربت من السبعين، تجد لها، هنا في بيروت، من يحفل بها، أكثر مما يحدث أن ينتبه إليها في عواصم عربية أخرى. وليس تحفظاً على غواية جلد الذات إياها، أقول إن بيروت باقية على مقادير رائقةٍ من حرارةٍ خاصة، من حيث الانتباه إلى الشاغل الثقافي، وإلى المتاريس الوجدانية الواجبة لصيانة الناظم العميق لتفاصيل الثقافة العربية ورهاناتها، في الراهن والمستقبل، ومن حيث الانتباه إلى فلسطين، وسميح القاسم من عناوينها الباقية

صهوة النضال آخر شعراءhترجل عن,

موسى أبو مرزوق:

قال نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، الدكتور موسى أبو مرزوق:"إن رحيل الشاعر سميح القاسم، سيترك فراغاً كبيراً، من بعد مسيرة طويلة له مارس فيها شعر المقاومة".

وكتب أبو مرزوق تدوينة على صفحته على موقع التواصل الاجتماعي "الفيس بوك" جاء فيها: "وترجل عن صهوة النضال آخر شعراء المقاومة الفلسطينية الكبار الذين رسموا صورة المناضل الفلسطيني وشكلوا صورة القضية الفلسطينية في أذهان الجماهير".

"لعل سميح القاسم برحيله المفاجئ في زمن المقاومة المظفرة التي عشقها وغنى لها دوما بأشعاره الثائرة قد ترك فراغا برحيل جسده عن دنيانا لكن أشعاره تملأ الوعي الجماهيري بقوة لا تتأثر كثيرا برحيل مبدع الكلمات لأن إبداعه محفور بعمق نافذ".

وأضاف "تبقى كلمات شاعر المقاومة الثائر منارة تضيء طريق المقاومة ودروبها المنتفضة... وتظل أبياته رشقات نار على العدو المحتل تكويه بصلياتها الملتهبة... ونتطلع لبزوغ نجم شعراء مقاومة كبار يكملون مسيرة الأدب المقاوم".

منير غنّام

سفير دولة فلسطين – قطر

سميح القاسم ، كوكب دري يهوي

في التاسع عشر من شهر آب / اغسطس 2014 ، كان ليل فلسطين قد أظلم ، إذ هوى كوكب دريّ من سمائها ، بانطفاء شمعة شاعر من أبرز شعرائها المعاصرين ، ممن اقترنت أسماؤهم بشعر النضال والثورة ومقاومة المحتل، إنه سميح القاسم ، تلك القامة الشعرية الشامخة الذي ينتفض شعره غضباً حيناً ، ويذوب رقة وانسانية حيناً أخر ، مشى مع أبناء شعبه منتصب القامة ، وظل مرفوعاً الى الغرب جبينه ، حمل نعشه على كتفه ورحل عنا بلا وداع ، طار عصفوراً بلا أجنحة ، فتوقفت قيثارة فلسطين عن عزفها .

التقيته أول مرة في اواسط التسعينات من القرن الماضي ، عندما أحيا مع متنبي فلسطين محمود درويش ، أمسية شعرية لا تتكرر في مسرح تونس البلدي بحضور الزعيم الخالد ياسر عرفات والقيادة الفلسطينية وهم يعدون العدة للانتقال من تونس عائدين الى الوطن ، وكان الكل في حالة سريالية من التشكك والرهبة والرغبة والخوف والحنين كل ذلك في آن معاً ، فتجادل العملاقان شعراً ، أحدهما صوت الفلسطيني ، من منفاه القسري يملؤه الشك من طريق عودة في حقل الغام ، والآخر صوت الوطن ، وصوت الأهل المنزرعين فيه ينادون بعودة الطيور المهاجرة الى خمائلها، ذلك كان صوت سميح ، هزنا من الأعماق وأبكانا حنيناً .

ثم كان لي شرف استقباله ومصاحبته في عديد الزيارات والفعاليات الثقافية التي أحياها في كل من تونس ثم قطر ، على امتداد عقد ونصف ، قبل أن يقعده المرض عن القدرة على

السفر والترحال ، وكان محط ترحيب وتبجيل واعجاب اينما حل وحيثما ارتحل ، ارتحل عنا سميح بجسده ، وبقيت ذكراه متقدة في قلوبنا .

رحل سميح بعد أن أشعل السماء جهنماً فوق رؤوس المحتل ، وفجر الأرض جهنماً تحت أقدامهم .

و أوصانا بألا ننسى قوت الحمام ، ولا من يطلبون السلام ولا شعب الخيام .

رحل سميح ولم يتحقق الحلم بعد ، والطريق ما زال طويلاً طويلاً وشاقاً.

رحل سميح صارخاً ، ورجع الصدى يرتد الى مسامعنا ، عن ذرى وانحناءات جبال فلسطين مردداً :

آخ يا جبلي المنحني

آخ يا وطني ، آخ يا وطني ، آخ يا وطني .

موسى حوامدة:

تجربة شعرية كبيرة ومسيرة نضالية تخللتها أغلب محطات النكبة الفلسطينية

الثورة الفلسطينية منحت الشعراء الذين كتبوا عن الثورة حرزا ومناعة من النقد، وبات كل من ينتقد شاعرا كتب عن فلسطين كأنه خارج على القانون ـ لغاية اليوم لم يكتب نقد حقيقى عن تجربة الشعراء الفلسطينيين، وكل ما كتب تقديس للموضوع الرئيسى وهو الحق الفلسطينى وكأن الموضوع طغى على كل شىء آخر، وبالطبع لعل الشعراء أنفسهم استغلوا الأمر وشعروا بأنهم فى حصانة عن النقد فكانوا يكتبون وكأنهم فوق النقد وتبين أنهم كانوا محقين، فالعقلية العربية لا تميز بين الحب والنقد/ بين الموضوع وطريقة التعبير وحتى اليوم هناك حساسية فى طرح الأمر، وكأن الكتابة اليوم عن رحيل سميح القاسم لا تسمح إلا بترديد نفس العبارات التى كنا نرددها عن شعراء المقاومة، وهى مفهومة فى باب الحزن والرثاء ولكنها غير مفهومة فى باب التحريز والتحصين.

لا نقول ذلك تقليلا من حزننا على فراق سميح القاسم ولا تقليلا من أهميته الشعرية والإنسانية، ولكن فرق بين البكاء والتباكى، فرق بين الحزن الحقيقى، والحب الحقيقى الذى يؤمن بالنقد الموضوعى ولا يرى شاعرا أو كاتبا فوق النقد.

ولسميح القاسم تجربة شعرية كبيرة ومتشعبة ومسيرة نضالية تخللتها أغلب محطات النكبة الفلسطينية مرورا بقيام إسرائيل وحرب الـ 67 وبقية الحروب التالية والصراع العربى الصهيونى، هذه التجربة وتجارب بقية شعراء المقاومة لم يتم تناولها إلا من باب الإطراء والإعجاب بأن هناك من يكتب بالعربية داخل الـ 48، وبعد ذلك برز صوت سميح القاسم كشاعر مقاومة، وظلت تحربته الشعرية تراوح مكانها فى بنية التفعيلة، وفى نفس المباشرة ومع ذلك كرس اسمه كشاعر مقاومة فلسطينية وحافظ على بقائه داخل الكيان الصهيونى.

ناجي ظاهر

الكاتب الفلسطيني ناجي ظاهر كتب يقول: «رحم الله سميحا، فقد أعطى الكثير وترك وراءه الكثير، وقد أحسن رحمه الله بكتابته لسيرته الذاتية قبل رحيله بفترة وجيزة.. لتصدر في كتاب يمكِّن قارئه من معرفته أكثر. لقد عاش سميح القاسم حالته الشعرية حتى النخاع وأعطى الكثير، لهذا سيسجل اسمه بحروف من المحبة في أعلى قائمة شعرائنا الأماجد في هذه البلاد السخية المعطاء».

ما عن الفنانة الفلسطينية الشابه دلال أبو آمنة ، كتبت على صفحتها الشخصية بموقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك»، بعض الذكريات، ونشرت صورا جمعتها بالشاعر الراحل.وقالت: «كان كبيرًا بتواضعه وطيبته تماما كما هو بشعره وفلسفته في الحياة».

وأضافت: «سميح القاسم الإنسان كان بعظمة سميح قاسم الشاعر وربما أكثر، كلي فخر أنني كنت يوما حرفا في صفحة أشعارك، ليرحمك الله ويسكنك فسيح جناته وسيبقى شعرك وروحك نبراسا يضيء دربنا نحو الحرية والعدل».

نظير مجلي

لهم يا ..سميح القاسم..!

لم يحمل سميح القاسم ورفاقه يومها السلاح. ولم يقيموا جيشا ولا "دعشا". فقد حسبوها جيدا.

في هذا العصر، الذي غدت فيه المقاومة أيضا غطاء للمباذل الشخصية وستارا للمصالح الحزبية والفئوية، غاب سميح القاسم، أحد رموز المقاومة الحقيقية التي عرفت معنى "شرف السلاح".

لم يعرِّف سميح القاسم نفسه مقاوما، فهذه صفة أطلقها الناقد المصري رجاء النقاش، خلال دراسة نقدية لشعر مجموعة من الشباب بينهم محمود درويش وتوفيق زياد وراشد حسين وسالم جبران وحنا ابو حنا ولأدب اميل حبيبي ومحمد علي طه وغيرهم. لكنهم حملوا لواء المقاومة بشموخ و.. بتواضع شديد.

كان سميح القاسم يومها شاعرا مثل رفاقه المذكورين، وكان شابا نحيل الجسم ضعيف البنية، يكاد يجد القوت والشرطة الاسرائيلية تلاحقه بالنبوت. انهم مجموعة من الشبان العرب الفلسطينيين، من الرعيل الثاني لبقايا النكبة. نموا وترعرعوا في الجليل والمثلث وحيفا، تحت سلطة حكم عسكري فرضته اسرائيل على المواطنين العرب، الذين لم تعرف ماذا تفعل بهم. فقد خططت لأن لا يبقى في دولتها عرب.

كانت مستعدة لأن "تبلع" بعض البلدات التي تعاون مخاتيرها مع الحركة الصهيونية قبيل الحرب. لكنها لم تتوقع بقاء أناس "وقحين" في رفضهم النكبة متمسكين بانتمائهم الوطني وتراثهم الجميل. فراحت تمارس بحقهم شتى صنوف القمع والاضطهاد.

لم يحمل سميح القاسم ورفاقه يومها السلاح. ولم يقيموا جيشا ولا "دعشا". فقد حسبوها جيدا.

وأدركوا خبث المخطط الرامي لتشريد من تبقى في الوطن، فقرروا أن المعركة الأساس تتمثل في البقاء، في غرس أقدام الشاهد على عروبة المكان، في أعماق الأرض. لم يستخدموا خطابا أهوج حتى لا يتحول ذلك الى سلاح لتشريدهم. لم ينجرفوا وراء خطابات عشوائية تحرر فلسطين بالكذب وتبشر برمي اليهود في البحر في وقت كان فيه الفلسطينيون يقذفون الى الصحاري القفار.

كانوا مجموعة من الشبان الصغار، الذين لا يزيد عمر أكبرهم عن 26 عاما. لكنهم تمتعوا بمسؤولية القادة الكبار. درسوا الموقف بعمق وروية. حسبوا خطاهم بذكاء وواقعية. حددوا اهدافهم بتواضع ومهنية.

ورسموا خريطة طريقهم: البقاء اولا وثانيا وثالثا. ثم الحفاظ على اللغة والتراث والأرض. والحرص على أرواح الناس كي لا يصبح طعاما لآليات الدمار الهمجية. وإذكاء شعلة الأمل ورفع الروح المعنوية. وخوض معركة طويلة الأمد في مواجهة العنصرية العدوانية، بلا هوادة.

سميح القاسم ترجم هذه المسيرة بأشعار خالدة، قال فيها:

"جعلتني ابنها من قرون / أرضعتني البقاء"، و"منتصب القامة امشي/ مرفوع الهامة/ في كفي قصفة زيتون وعلى كتفي نعشي"، و"ربما تسلبني آخر شبر من ترابي / ربما تطعم للسجن شبابي / ربما تسطو على ميراث جدي من اثاث واوان وخوابي / ربما تحرق اشعاري وكتبي / ربما تطعم لحمي للكلاب / ربما تخدع اصحابي بوجه مستعار / ربما ترفع من حولي جدارا وجدارا وجدار / يا عدو الشمس لكن لن اساوم / والى آخر نبض في عروقي سأقاوم ".

ولم يقتصر شعره على الروح الوطنية الجياشة، بل تعداها لمخاطبة الآخر خطاب الند للند، رافعا منارة الحضارة الانسانية بقيمها الجميلة:

"ولم يزل جبينك المناره/ في عتمة الضمائر / ولم يزل صوتك يا حبيبتي/ فضيحة القاتل ..بعد ليلة الخناجر/ ولم أزل أنتظر الإشارة لأشعل المجامر/ لأنني مازلت يا حبيبتي / أومن في فجيعتي/ بالضوء ..بالإنسان ..بالحضاره !".

وعلى هذه الكلمات وغيرها، أرسل الحاكم العسكري سميح الى السجن. فما تراجع ولا فقد صوابه. ظل ذلك الشاعر الذي ينسجم في أفكاره مع طريق سياسي عميق الذكاء والاخلاص لقضيته الوطنية. لكن السجن والملاحقات بكل صنوفها، لم تفت في عضدهم، بل عززت ايمانهم بعدالة قضيتهم.

لقد كان سميح القاسم ورفاقه مقاومين حقيقيين. لم يقعوا في مطب اسرائيلي ولم ينجرفوا وراء شعارات فضفاضة. ففرضوا حضورهم على حكومات اسرائيل، بحيث لم تعد واقعية أية محاولات تهجير. وراحوا يزدهرون بالانجازات في كل المجالات. ولذلك، فإننا نراه حتى في الذهاب الى دار الحق، منصب القامة يمشي ومرفوع الهامة، تاركا لنا تراثا نحتاج إلى دراسته في المقاومة الحقيقية المخلصة.

نهلة النمر

رحيل قيثارة فلسطين الأخيرة.. سميح القاسم وداعاً

هل تخيل الشاعر الفلسطينى سميح القاسم يوماً وهو فى شبابه أنه سيعيش كهولته، وأن الآلاف سيشاركون فى تشييع جثمانه فى مسيرة ترفع خلالها الأعلام الفلسطينية وتتخللها قراءة أشعاره، وأن يغطى صدره بالورد الجورى الأحمر وأغصان الزيتون، وأن ترتدى النسوة الأسود وغطاء الرأس الأبيض ويحملن دواوينه، وهن يندبن الشاعر بقولهن «كتبوا أوراق النعى وفرقوها على البلاد»، وأن يرتدى الشبان سترات كتب عليها «منتصب القامة أمشى.. مرفوع الهامة أمشى» وأن الموكب المهيب سيسير وراء علم فلسطينى يمتد لعشرة أمتار على وقع كلمات قصيدة «سماء الأبجدية»،

كم مرة ذكر سميح القاسم الموت فى شعره، ووصفه قريبا منه ومن أرضه وأهله، وكم مرة فقد عزيزاً لم يتركه سوى من دقائق، فربما تخيل الشاعر كثيراً أن نهايته حتماً ستكون تحت الأنقاض مثل وطنه كله، وأنه لن يتعرف على جثمانه أحد، فدبابات عدوه الصهيونى تهوى الشعر والشعراء، وتفتش عن القصائد والدواوين عند البوابات قبل الأسلحة وأوراق الهوية، فسميح القاسم – الذى غيب الموت جسده قبل أيام – وحبات عقده، محمود درويش وتوفيق زيادة وفدوى طوقان، هم من حملوا أرضهم وقضيتهم على أسنة أقلامهم، فتغنى بهم الشعراء فقال لهم نزار قبانى: شعراء المقاومة.. سلاماً.

أنا لا أحبك يا موت لكنى لا أخافك

وأدرك أن سريرك جسمى وروحى لحافك

وأدرك أنى تضيق على ضفافك

أنا لا أحبك يا موت لكنى لا أخافك

هذا هو قوله الأخير قبل أن يوارى جسده الثرى على قطعة أرض مرتفعة على جبل حيدر فى بلدة الرامة وتشرف على جبال الجليل وعلى مدينة حيفا ورأس الناقورة، وخلال الجنازة صدحت قصيدة له بصوته يصف فيها عزاءه ويقول فيها: «أشكر من قدم لتشييع جثمانى.. ولكل الذين أتاحوا لى رفعى على أكتافهم وأولئك الذين حملوا أكاليل الورود.. ماذا أقول؟؟.. وجاءوا لتكريم شخصى الضعيف لهذه الجنازة.. ألا عظم الله أجركم أجمعين»، وانطلقت كلمات القاسم بصوته: «قالوا ويوم تغادر روحى فضائى.. لشىء يسمونه الموت أرجو أن لا تفارق وجهى الابتسامة، من المؤكد أنه عندما تقدم به العمر وتمكن السرطان من كبده، أدرك أنه ربما أتاه ملاك الموت وهو فى فراشه فتقدم إليهم بشكره من بعيد».

ويعتبر موت سميح القاسم للأسف نهاية حقبة شعرية من أهم حقب التاريخ الشعرى فى الوطن العربى، فسميح القاسم أحد أهم وأشهر الشعراء العرب والفلسطينيين المعاصرين الذين ارتبط اسمهم بشعر الثورة والمقاومة من داخل الأراضي فى عام 48.

«حسناً لقد حاولوا إخراسي منذ الطفولة سأريهم سأتكلّم متى أشاء وفي أيّ وقت وبأعلى صَوت، لنْ يقوى أحدٌ على إسكاتي».

فنرى الشاعرة والباحثة الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي، تقول: إنه الشاعر الوحيد الذي تظهر في أعماله ملامح ما بعد الحداثة في الشِّعر العربي.. وهو كما يرى الكاتب سهيل كيوان «هوميروس من الصحراء» أما الشاعرة والباحثة الدكتورة رقية زيدان فترى أنه «قيثارة فلسطين ومتنبيها».

وجاءَ في تقديم طبعة القدس لأعماله الناجزة عن دار «الهدى» الطبعة الأولى سنة 1991 شاعرنا الكبير سميح القاسم استحقَّ عن جدارة تامة ما أُطلِقَ عليه مِن نعوت وألقاب وفاز به من جوائز عربية وعالمية، فهو «شاعر المقاومة الفلسطينية» وهو «شاعر القومية العربية».

نظير مجلي

لهم يا ..سميح القاسم.

لم يحمل سميح القاسم ورفاقه يومها السلاح. ولم يقيموا جيشا ولا "دعشا". فقد حسبوها جيدا.

في هذا العصر، الذي غدت فيه المقاومة أيضا غطاء للمباذل الشخصية وستارا للمصالح الحزبية والفئوية، غاب سميح القاسم، أحد رموز المقاومة الحقيقية التي عرفت معنى "شرف السلاح".

لم يعرِّف سميح القاسم نفسه مقاوما، فهذه صفة أطلقها الناقد المصري رجاء النقاش، خلال دراسة نقدية لشعر مجموعة من الشباب بينهم محمود درويش وتوفيق زياد وراشد حسين وسالم جبران وحنا ابو حنا ولأدب اميل حبيبي ومحمد علي طه وغيرهم. لكنهم حملوا لواء المقاومة بشموخ و.. بتواضع شديد.

كان سميح القاسم يومها شاعرا مثل رفاقه المذكورين، وكان شابا نحيل الجسم ضعيف البنية، يكاد يجد القوت والشرطة الاسرائيلية تلاحقه بالنبوت. انهم مجموعة من الشبان العرب الفلسطينيين، من الرعيل الثاني لبقايا النكبة. نموا وترعرعوا في الجليل والمثلث وحيفا، تحت سلطة حكم عسكري فرضته اسرائيل على المواطنين العرب، الذين لم تعرف ماذا تفعل بهم. فقد خططت لأن لا يبقى في دولتها عرب.

كانت مستعدة لأن "تبلع" بعض البلدات التي تعاون مخاتيرها مع الحركة الصهيونية قبيل الحرب. لكنها لم تتوقع بقاء أناس "وقحين" في رفضهم النكبة متمسكين بانتمائهم الوطني وتراثهم الجميل. فراحت تمارس بحقهم شتى صنوف القمع والاضطهاد.

لم يحمل سميح القاسم ورفاقه يومها السلاح. ولم يقيموا جيشا ولا "دعشا". فقد حسبوها جيدا.

وأدركوا خبث المخطط الرامي لتشريد من تبقى في الوطن، فقرروا أن المعركة الأساس تتمثل في البقاء، في غرس أقدام الشاهد على عروبة المكان، في أعماق الأرض. لم يستخدموا خطابا أهوج حتى لا يتحول ذلك الى سلاح لتشريدهم. لم ينجرفوا وراء خطابات عشوائية تحرر فلسطين بالكذب وتبشر برمي اليهود في البحر في وقت كان فيه الفلسطينيون يقذفون الى الصحاري القفار.

كانوا مجموعة من الشبان الصغار، الذين لا يزيد عمر أكبرهم عن 26 عاما. لكنهم تمتعوا بمسؤولية القادة الكبار. درسوا الموقف بعمق وروية. حسبوا خطاهم بذكاء وواقعية. حددوا اهدافهم بتواضع ومهنية.

ورسموا خريطة طريقهم: البقاء اولا وثانيا وثالثا. ثم الحفاظ على اللغة والتراث والأرض. والحرص على أرواح الناس كي لا يصبح طعاما لآليات الدمار الهمجية. وإذكاء شعلة الأمل ورفع الروح المعنوية. وخوض معركة طويلة الأمد في مواجهة العنصرية العدوانية، بلا هوادة.

سميح القاسم ترجم هذه المسيرة بأشعار خالدة، قال فيها:

"جعلتني ابنها من قرون / أرضعتني البقاء"، و"منتصب القامة امشي/ مرفوع الهامة/ في كفي قصفة زيتون وعلى كتفي نعشي"، و"ربما تسلبني آخر شبر من ترابي / ربما تطعم للسجن شبابي / ربما تسطو على ميراث جدي من اثاث واوان وخوابي / ربما تحرق اشعاري وكتبي / ربما تطعم لحمي للكلاب / ربما تخدع اصحابي بوجه مستعار / ربما ترفع من حولي جدارا وجدارا وجدار / يا عدو الشمس لكن لن اساوم / والى آخر نبض في عروقي سأقاوم ".

ولم يقتصر شعره على الروح الوطنية الجياشة، بل تعداها لمخاطبة الآخر خطاب الند للند، رافعا منارة الحضارة الانسانية بقيمها الجميلة:

"ولم يزل جبينك المناره/ في عتمة الضمائر / ولم يزل صوتك يا حبيبتي/ فضيحة القاتل ..بعد ليلة الخناجر/ ولم أزل أنتظر الإشارة لأشعل المجامر/ لأنني مازلت يا حبيبتي / أومن في فجيعتي/ بالضوء ..بالإنسان ..بالحضاره !".

وعلى هذه الكلمات وغيرها، أرسل الحاكم العسكري سميح الى السجن. فما تراجع ولا فقد صوابه. ظل ذلك الشاعر الذي ينسجم في أفكاره مع طريق سياسي عميق الذكاء والاخلاص لقضيته الوطنية. لكن السجن والملاحقات بكل صنوفها، لم تفت في عضدهم، بل عززت ايمانهم بعدالة قضيتهم.

لقد كان سميح القاسم ورفاقه مقاومين حقيقيين. لم يقعوا في مطب اسرائيلي ولم ينجرفوا وراء شعارات فضفاضة. ففرضوا حضورهم على حكومات اسرائيل، بحيث لم تعد واقعية اية محاولات تهجير. وراحوا يزدهرون بالانجازات في كل المجالات. ولذلك، فإننا نراه حتى في الذهاب الى دار الحق، منصب القامة يمشي ومرفوع الهامة، تاركا لنا تراثا نحتاج الى دراسته في المقاومة الحقيقية المخلصة.

"بتصرف"

لقب وائل السمرى

منتصب القامة "مشى".. ورحل

شاعر العربية الكبير سميح القاسم صوت المقاومة الناصع

وصاحب "غزة تبكينا لأنها فينا" ورفيق درب محمود درويش والقابض على جمرة الشعر حتى النفس الأخير

لم يجد فى المكان مكانًا فمضى، وهو الذى تغنى دائما بالصمود، صعدت روحه إلى الكبير المتكبر بعد أن قبعت أرواحنا فى مرارة الخذلان، نادى فلم نسمع النداء، صرخ فصمتت آذاننا، طرق الأبواب فأوصدناها، فلم يعبأ بشىء ومشى، صاحب أنشودة الفخر الفلسطينية "منتصب القامة أمشى.. مرفوع الهامة أمشى.. فى كفى قصفة زيتون.. وعلى كتفى نعشى، وأنا أمشى وأنا أمشى".

اليوم.. حدث بالفعل ومشى سميح القاسم صاخب جداريات الصمود وأمين سر شعر المقاومة، ورفيق درب شاعر العربية الأكبر محمود درويش، وصديق أغلب الشعراء والأدباء والنقاد العرب، والمقرب من أغلب الشعراء الشباب فى الوطن العربى، صاحب الروح الوثابة والقلب الحانى والعيون الضاحكة والقلب الكبير، شاهد المذبحة وشهيد الخريطة بعد أن تدهورت حالته الصحية مؤخرا جراء معاناته مع مرض سرطان الكبد اللعين، فكان قدره أن يعانى داخليا من سرطان الكبد بعد أن عانى طوال حياته من سرطان الأمة العربية المسمى بـ"إسرائيل".

75 عاما، قضاها شاعرنا الكبير ما بين سجن أو اعتقال أو نضال أو مرض أو سفر، لم يعرف قلبه الراحة حتى حينما عاد إلى فلسطين، فقد أرهقه الانقسام الداخلى والشتات الخارجى وموت الأصدقاء ومؤخرا ألم المرض، فقد سُجِن سميح القاسم أكثر من مرة كما وُضِعَ رهن الإقامة الجبرية والاعتقال المنزلى وطرِدَ مِن عمله مرَّات عدّة بسبب نشاطه الشِّعرى والسياسى وواجَهَ أكثر مِن تهديد بالقتل، فى الوطن وخارجه، اشتغل مُعلماً وعاملاً فى خليج حيفا

وصحفياً، لكنه برغم كل هذا لم تفتر عزيمته ولم يصدأ قلمه وظل مخلصا للشعر والمقاومة والأدب والقضية، فصدر له ما يقرب من سبعين كتابا فى الشعر والقصة والأدب وصدَرتْ أعماله فى سبعة مجلّدات عن دور نشر عدّة فى القدس وبيروت والقاهرة كما تُرجِمَ عددٌ كبير من قصائده إلى الإنجليزية والفرنسية والتركية والروسية والألمانية واليابانية والإسبانية واليونانية والإيطالية والتشيكية والفيتنامية والفارسية والعبرية واللغات الأخرى، وحصل سميح القاسم على العديد من الجوائز والدروع وشهادات التقدير وعضوية الشرف فى عدّة مؤسسات، فنالَ جائزة "غار الشعر" من إسبانيا كما حاز على جائزتين من فرنسا عن مختاراته كما حصلَ على جائزة البابطين للشعر العربى وحصل مرّتين على "وسام القدس للثقافة" من الرئيس ياسر عرفات، وحصلَ على جائزة نجيب محفوظ من مصر وجائزة "السلام" من واحة السلام، وجائزة "الشعر" الفلسطينية، وصدَرتْ فى العربى وفى العالم عدّة كُتب ودراسات نقدية، تناولَت أعماله وسيرته الأدبية وإنجازاته وإضافاته الخاصة والمتميّزة ليحتار النقاد فى إطلاق لقب مناسب على هذا الصوت العربى الشامخ، فبعضهم قال إنه "هوميروس الصحراء" وقال البعض الآخر إنه "قيثارة فلسطين" وبينما لقبه آخرون بـ"متنبى فلسطين بينما وصفه البعض الآخر بـ"الشاعر القديس" "سيّد الأبجدية"، وشاعر الشمس.

وفى ظل هذا الموت القاسى، وفى ظل هذا العدوان الممنهج على غزة، لا يسعنا إلا أن نسترجع كلمات شاعرنا المفقود التى أنشدها لأنصار القضية الفلسطينية، محفزا ومدعما قائلا:

تقدموا

تقدموا

كل سماء فوقكم جهنم

وكل أرض تحتكم جهنم

تقدموا

يموت منا الطفل والشيخ

ولا يستسلم

وتسقط الأم على أبنائها القتلى

ولا تستسلم

تقدموا

تقدموا

بناقلات جندكم

وراجمات حقدكم

وهددوا

وشردوا

ويتموا

وهدموا

لن تكسروا أعماقنالن تهزموا أشواقنا

نحن القضاء المبرم

تقدموا

تقدموا

وديع عواوده

جثمان سميح القاسم يوارى اليوم ملفوفا بالعلم الفلسطيني في بلدته «الرامة» على سفوح جبل الجرمق

الناصرة: نعت الفعاليات الثقافية والصحافية والسياسية داخل أراضي 48 الشاعر الكبير سميح القاسم الذي غيبه الموت الليلة قبل الماضية بعد طول صراع مع مرض عضال. وتممّت لجنة التأبين الاستعدادات لمراسم الدفن والمهرجان الخطابي قبيله في مسقط رأسه في بلدة الرامة على سفوح جبال الجرمق اليوم. وتقاطرت الوفود من كل انحاء فلسطين لبيت العزاء في الرامة، تستقبلهم لافتة تحمل مقاطع مشحونة موحية من شعر سميح: «تتبدل الأوراق من ان لان.. لكن جذع السنديان..»

وفي بيان صادر عنها نعت زوجة الفقيد السيدة نوال القاسم وأبناؤه وطن، ووضاح، وياسر وعمر وعموم آل القاسم حسين وأقرباؤهم وانسباؤهم وأصدقاء الفقيد ورفاقُه ببالغ الحزن والأسى وبقلوب يعتصرها الألم الشاعر العربي الفلسطيني الكبير، والعلَم الوطني والانسانيّ والمناضل البارز، شاعر المقاومة والعروبة سميح القاسم.

كما نعاه الحزب الشيوعي داخل أراضي 48 الذي كان أحد مناصريه مبديا أسفه لرحيل الشاعر العربي الفلسطيني الكبير، شاعر الانسانية، المناضل الوطني والقومي والأممي سميح القاسم (أبو وطن). وقال الحزب الشيوعي الذي عمل سميح القاسم في صحفه ومجلاته (الاتحاد، الجديد، والغد) في حيفا سوية مع صديقه الراحل محمود درويش سنوات طويلة، في بيانه قال ان القاسم قد رحل بعد صراع بطوليّ مع مرض عضال، لم ينل من عزيمته وإقدامه على الحياة وعلى القصيدة.

وتابع «أشغل الراحل الكبير مهام عدّة في قيادة الحزب الشيوعي وفي صحافته ومجلاته الأدبية، ولكنه أشغل ورفاقه فضاءنا الأدبيّ والثقافيّ بإبداع رفيع لم يتوقف طيلة نصف قرن ونيّف، قوامه القيم الوطنية والتقدّمية، وأشغل ذائقة وقلوب ملايين القرّاء من المحيط إلى الخليج، وفي العالم الرحب الذي أطلّ عليه واحتضنه من علياء الجليل الأشمّ. ان عزاءنا في ما خلّفه شاعرنا من ميراث أدبي غزير، وسيرة كفاحية طويلة وعريضة، وذكرى خالدة ستظل محفورة في وجدان شعبه وذاكرته التاريخية وثقافته الوطنية. وليس لنا سوى ان نردّد ونوكّد: «رايةُ جيلٍ يمضي وهو يهزّ الجيلَ القادم.. قاومتُ فقاوم «.

ونعاه ايضا الاتحاد العام للكتاب والادباء الفلسطينيين في بيان قال فيه: «ببالغِ الحزنِ والأسى ومرارة الفقدان، ينعى الاتحاد العام للكتّاب والأدباء الفلسطينيين وبيت الشعر الفلسطيني إلى أبناء شعبنا الفلسطيني العظيم، في الوطن والشتات، وإلى أبناء امتنا العربية، وإلى الإنسانية جمعاء، الشاعر العربي الفلسطيني والأممي الكبير سميح القاسم الذي غيّبه الموت مساء أمس، الثلاثاء الموافق التاسع عشر من آب (أغسطس) 2014».

وأضاف البيان «كان الراحل الكبير واحداً من ذلك الجيل المؤسس للكلمة المقاتلة على طريق تشييد مدرسة شعرية ثورية محكمة الأساسات والبنيان، كانت فلسطين، وشعبها، وقضيتها، وأحزانها، وآلامها، وأحلامها، وتطلعاتها بوصلتهم، ورؤاهم، فاستحقوا بجدارة ان يكونوا أساتذة، وان تتربى في مدرستهم أجيال شعرية، وتتعلم منهم الكثير، والكثير».
وتابع «كان شاعرنا الكبير سميح القاسم متواجداً في ساحات فلسطين الثقافية والكفاحية، وفي مقدمة الرّكب شاعراً فذا ومجددا ومبدعا، ومناضلا عنيداً، وإنسانا شعبيا استطاع ان يتلمس أوجاع أبناء شعبه وأمته والمقهورين في هذا العالم المتوحش، وان يكون دائما إلى جانب المظلومين، والمتطلعين للحرية والعدالة. لقد كان باختصار صرخة مدوية في وجه الظلم أيا كان شكله ومصدره. لقد ترك سميح القاسم إرثا ثقافيا نعتزّ به، ونعلن انحيازنا التام له.

كما وترك سيرة نضالية نفتخر بها، ونتعلم منها، وفي هذه المناسبة يتطلع الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين، بل ويطالب الجهات الرسمية في السلطة الوطنية الفلسطينية، وفي منظمة التحرير الفلسطينية، إلى ان تلتفت، ليس فقط لتراث الراحل الكبير، وانما لوصاياه التي سنجدها في كل جملة شعرية كتبها، وان تولي ثقافتنا الوطنية المقاتلة ما يمكنها من الصمود، ويشحذها بمقومات الصمود والمزيد من المقاومة.

ويعتبر القاسم واحدا من أبرز الشعراء العرب والفلسطينيين المعاصرين، اذ ارتبط اسمه بشعر الثورة والمقاومة، وكتب قصائد تغنى بها العالم العربي برمته، من أبرزها «منتصب القامة أمشي» التي غناها الفنان مارسيل خليفة.

اعتقل خلال حياته مرات عديدة بسبب مواقفه الوطنية والقومية، كما اشتهر بمقاومته التجنيد الإلزامي الذي فرضته اسرائيل على ابناء الطائفة المعروفية العربية الدرزية التي ينتمي اليها. وتنوعت أعمال القاسم بين الشعر والنثر والمسرحيات والرواية والبحث والترجمة، ومن أبرز قصائد التحدي من نتاجه «تقدموا.. تقدموا براجمات حقدكم وناقلات جندكم، فكل سماء فوقكم جهنم.. وكل أرض تحتكم جهنم « وقد قيلت بوحي الانتفاضة الأولى. وبعدما داهمه داء السرطان قبل عامين ألف قصيدة تجلت فيه روح الفكاهة التي تشبث بها في أحلك الظروف وفيها خاطب الموت: «انا لا أحبك يا موت، لكنّني لا أخافك، وأدرك ان سريرك جسمي، وروحي لحافك، وأدرك اني تضيق عليّ ضفافك... انا... لا أحبك يا موت... لكنني لا أخافك».

وليد الفاهوم

قال الكاتب المحامي **وليد الفاهوم**

(الناصرة) في حديث مع "بكرا" بعد تلقيه خبر رحيل الشاعر العربي الكبير **سميح القاسم** ، انه كان وسبقى فخوراً بالعلاقة التاريخية والعائلية والسياسية التي كانت (وستبقى) تربطه بالعملاق الراحل، الذي "مات ولم تمت أفكاره، وينطبق عليه ما قاله رفيقة شاعر فلسطين الراحل محمود درويش: يا موت قهرتك الفنون" – كما قال، واعداً نفسه بأن يبقى ذاكراً متذكراً بسمة صديقه الراحل، وتفاؤله وعناده واصراراه على الفكر والفكرة.

وأضاف الفاهوم ان القاسم خلّف نتاجاً ادبياً رائعاً لا يمّحي أثره، يستوجب صونه ونشره بتحويله من مجرد كتب ومؤلفات ومجلدات الى مسرح وسينما وأنواع مختلفة من الفعل والعمل. ورداً على سؤال حول الشعور الذي اعتراه حين نما إليه نبأ رحيل الصديق العزيز، قال انه على الرغم من كون الخبر متوقعاً سلفاً ، لكنّ لموت **سميح القاسم** "وقعاً ورعشة" . وخلص الفاهوم الى القول أن أنسب سبيل إلى صون ذكرى الراحل وموروثه "أن نردّد تراتيله على الدوام"!

د : يحيى زكريا الأغا

ورحل منتصب القامة

لم ولن يكون سميح القاسم الأخير الذي تصعد روحه للسماء، فسبقه كواكب من الشعراء الفلسطينيين الذين يشهد لهم التاريخ والأدب والفكر بأنهم من أركان الأدب العربي والفلسطيني المعاصر، شعراء مبدعون، وشاعرات مبدعات، أديبات وأدباء أسهموا في الحركة الأدبية والعربية بالكثير من الأعمال المبدعة، وأثروا المكتبة العربية بالعديد من المجموعات الشعرية، والروايات والقصص والمقالات، وغيرها مما يعتبر إبداعهم منارة للفكر في عالم متجهم عن الثقافةوالإبداع.

سميح القاسم حط رحال العمر إلى غير رجعة، ليس في مدينة الزرقاء التي ولد فيها، ولكن في الرامة، مدينته الفلسطينية التي عاش فيها، فأسلم روحه بعد رحلة من العطاء الثقافي والأدبي اكتنزت بها المكتبات الفلسطينية كما اكتنزت خزائنه بالتكريم من شتى بقاع الأرض، فلم يكن فلسطينياً فقط، بل كان أممياً، لأنه كان إنسانياً في عطائه، فنال ما نال من التكريم الذي يتساوى مع عطائه اللامحدود.

سميح القاسم أسلم روحه لله بعد مرض عضال ألمّ به منذ سنوات عمر ناهز الخامسة والثمانين عاماً، كانت مكتنزة بالعديد من المحطات الأدبية والسياسية والنضالية، حياته كانت كشجرة، نمت في أرض مباركة، وترعرعت على ثرى أرضه، فأينعت ثم أثمرت، وأصبح شعره رمزاً للمقاومة، وانتشر في أنحاء المعمورة، وتُرجم إلى لغات عديدة، وتقديري بأنه قال شعراً ما لم يقله غيره، بل ويمكنني القول بأنه لم يبق شيإلا وقد قاله شعراً أو أدباً، ومع مرور الزن الصعب، والسنوات التي أكلت من حياته الكثير، بل ومنحته الكثير، أخذت هذه الزهرة تذبل رويداً رويدا، حتى أنه لم يستطع قبل أقل من عام الحضور إلى رامالله لاستلام شهادة التكريم من الدكتور " سلام فياض" رئيس الوزراء الأسبق، وهو كما قال عن نفسه " ذرة من تراب الوطن"، فمنذ

ولادته عام 1929 وحتى وفاته يُسجّل التاريخ بأنه صاحب قضية تبناها منذ كان صغيرا وحتى هذه اللحظة، فكانت محطاته زاخرة، أعلاها وأبرزها هي المقاومة بالكلمة، والتي ألقت به في غيابات السجن أحياناً، وأحياناً تحت الإقامة الجبرية في مدينته وبيته، فأصبح السجن دافعاً له للمزيد من الكتابة ضد الاحتلال الإسرائيلي، وكذلك حال الإقامة الجبرية، وما انضمامه للحزب الشيوعي الفلسطيني إلا محاولة منه – كغيره من الشعراء – للدفاع عنه عندما يتم اعتقاله أو تهديده.

لم تقتصر حياته على الشعر، بل امتدت إلى العمل الاجتماعي الذي يصب في خانة الأدب والفكر والثقافة، فأنشأ مسرحاً ليخاطب الجمع بشكل مباشر، وإيصال رسالة إلى الكل في الداخل والخارج بالصوت والصورة، لإبراز القضية الفلسطينية بالشكل الذي يريده.

ترتكز قصائد القاسم على معطيات وفرضيات وتجارب من الواقع، تدور حول الأرض والوطن والتشرد والعودة، والسجن والسجان، وهي نابعة من انتماء الشاعر للأرض التي تربى عليها، فلم تكن المجموعات الست التي أطلقها وهو في الثلاثين من عمرة إلا عصارة ألم ومعاناة ومكابدة من الاحتلال الإسرائيلي الذي حول عذب الحياة إلى ملح، ولكنه استطاع أن يحوّل هذا الملح إلى قذائف من كلمات في وجه المحتل، فكان مصيره إما السجن أو الإقامة الجبرية.

دواوينه كانت محاكاة لتجاربه المرحلية، ولكن في بعضها كان متبصراً لِما يجب أن يكون عليه المواطن في مواجهة المحتل، فاكتنزت بالمعاني الوطنية والتحريضية، مما أسهم في نشر الوعي النضالي ضد المحتل، وأصبحت العديد من قصائده أناشيد للصغار يتناولوها في مواجهة العدو الإسرائيلي.

دواوينه الشعرية رغم تنوع الموضوعات، إلا أن فلسطين بما تحمل من معاني هي المسيطرة على مكونات النص الشعري، فعمق المأساة هي التي جعلت منه إنساناً لا يذعن لهذه الأحزان، ليخرج من بين ثنايا الألفاظ كالعنقاء ليعلن الإصرار على عدم الاستسلام مهما كلفه من ثمن.

إن خط النضال في شعره وجد مكانه إلى جانب الشعراء الآخرين، فأصبح واحداً من شعراء فلسطين الذين يمثلون الخط الثوري مع توفيق زياد وفدوى طوقان ومحمود درويش وشفيق حبيب ومحمد عز الدين مناصرة، وشكيب جهشان وغيرهم الكثير من هذه القامات التي مازال بعضها يصدح، وبعضها كما قلنا فارق الحياة، فأنتج شعراً نابضاً بالحيوية، مرتكزاً على هويته النضالية الضاربة في أعماق الرام، فلّون في قصائده، واباح لنفسه حرية الحركة في تناوله للنصوص، فأصدر " أغاني الدروب" و" ودخان البراكين" و" طلب انتساب للحزب" و " في انتظار الرعد" و " دمي على كفي" و " " سقوط الأقنعة"، هذه الدواوين حافلة بقدرات فائقة على العطاء، حيث حمل رسالة المناضل مبكراً، واسلم نفسه لوطنه، فعرف من خلالها كيف تكون المواجهة، وكيف يكون التحدي والإصرار، ليصبح كما قال أنا " ذرة تراب في هذا الوطن" وجسراً يربط الماضي الجميل بالحاضر الأليم.

لم تكن علاقتي به عابرة، بل بدأت مع بدايات شعره، وتوطدت العلاقة في تسعينيات القرن الماضي، وخاصة بعد أن عزمت إتمام دراسة الدكتوراة، فأرسلت له رسالة قصيرة جداً مفادها" أني أرغب في إتمام دراسة الدكتوراة في الشعر الفلسطيني المعاصر وتحديداً لتسليط الضوء على شعراء فلسطين الداخل، فما كان منه إلا أن نشر في صحيفة " كل العرب" هذا الخبر، وبدأت الدواوين الشعرية تنهل عليّ عن طريق "الفاكس" ، فأصبحت جزءاً من مكونات شعراء وأدباء فلسطين، ومازالت هذه العلاقة تتوطد بشكل جيد.

موهبته تمثل أحد أركان ثلاثة يعتمد عليها في شعره الثقافة والتجربة، فمكنته هذه الركائز ليصبح شاعراً يمتطي جواد الثورة وقتما شاء، ويخترق غبار الحرب بصوت يحرك أبناء الوطن من خلال " مرفوع الهامة أمشي" .

إنه سميح الذي قال يوماً:

ربما أفقد – ماشئت – معاشي

ربما أعمل حجّاراً – وعتالاً – وكنّاس شوارع

ربما

ربما تسلبني آخر شبر من ترابي

يا عدو الشمس – لكن .. لن أساوم

وإلى آخر نبض في عروقي ....سأقاوم

لم يكن سميح يعلم بأن جند الله في الأرض قد حفروا الخنادق، ولم يكن يعلم بأن الفلسطينيين سيصنعون الصواريخ لتلقي في قلوبهم الرعب، وهنا جاء قوله قبل أكثر من أربعين عاماً ليتجانس مع واقع المقاومة في قطاع غزة:

تقدمو ... تقدموا

كل سماء فوقكم جهنم

كل أرض تحتكم جهنموا

تقدموا تقدموا.

بناقلات جندكم وراجمات حقدكم

وهددوا وشردوا ويتموا وهدموا

لن تكسروا أعماقنا

هذه الصور المتلاحقة للشاعر ماثلة أمامنا اليوم بكل تفاصيلها وحيثياتها، فها هي الأنفاق تُثير الرعب في قلوب الجنود الإسرائيليين، والصواريخ تثير الرعب في نفوس المواطنين :

هذا أنا ... اسرجت كل متاعبي ودمي على كفي يغني فاشربوا

إنه سميح القاسم الذي لا يرضى بالمذلة والهوان، ولا يهون عليه ترك داره مهما كان الحصار المضروب عليه:

إن اختلاج الروح في البذرة

أقوى من الصخرة

وجذورنا في رحم الأرض ممتدة

وقميصنا البالي

مادام يخفق في رياح الحزن والشدة

ستظل تخفق راية العودة

ستظل تخفق راية العودة.

" المقاومة" شعار لم يبتعد عن مفردات الشاعر، ولا قاموسه الشعري، لأنه يعي تماماً ماذا تعني هذه الكلمة، وتأثيرها على المحتل، ولا يمكننا أن نثبت أن لنا حقاً إلا بها، وهذا ما وجدناه عند جميع شعراء وشاعرات فلسطين في تلك المرحلة وما بعدها:

ومن جيل لجيل

وإلى أن يبعث النهر

وتشدو في أغاني الحمائم

أملأ الدنيا هتافاً لا يُساوم:

كفر قاسم .ز كفر قاسم .. كفر قاسم!!

دمك المهدور مازال يقاوم

مازلنا نقاوم

رحل سميح القاسم في وطنه، ورفض أن يغادره بدعوة من شقيقه:

أخي الغالي!

إليك هناك في بيروت

إليك هناك.. حيث تموت

كزنبقة بلا جذر

كنهر ضيّع المنبع

كأغنية بلا مطلع

الوطنية التي امتزجت بالمعاني وبالحروف سمت به إلى الإنسانية التي ارتقت بقصائده، فآلام الشعوب المطحونة التقت مع أنّاته وصرخاته، فمزج بين مصائب الشعوب ومصيبة شعبه، محركاً وجدانه بقصائد في غاية من الروعة.

رحل منتصب القامة، وسيبقى منتصب القامة بكلمات يرددها الشعب الفلسطيني صغاراً وكباراً.

رحل في زمن رحيل الشهداء من غزة، وكأنه أراد أن يقول لهم بأنني أشد على أياديكم.

رحل في زمن مجزرة غزة وغزة مازالت صامدة.

رحل في زمن القهر العربي لفلسطين وشعبها، وكأن القدر أراد له ألا يكتب قصيدة تخرج من عباءة العروبة التي يؤمن بها.

رحل في زمن اللازمن من بين الأحياء ليترك لهم وصية تقول"

إن الشمس لا تُلجم

وأن المارد الجبار سوف يهشم القمم.

رحل صوته الحي بين الأصوات :

لأجلك أسرج الأحزان

من أرض إلى أرض

لأجلك أركب الأهوال

من بحر إلى بحر

من أجلك أمنح الكلمات للغير.

لقد استطاع سميح القاسم رغم اغترابه في وطنه وفي قريته أن يبني أحلامه على شطآن الوطن، مغازلاً ومناجياً وعاشقاً في نفس الوقت، يقول : "ورغم السنين والمآسي التي طحنتنا إلا أننا لم نفقد فلسطينيتنا ولن نفقدها".

سميح القاسم صدح صوته في معظم الدول العربية وخاصة بعد نكسة 1967 حيث فُتحت بوابة له وغيره من الشعراء ليتواصل بشعره مع محبيه، فاحتضنته الدوحة مرّات عديدة، وكان لي شرف مرافقته، ومجالسته، فأحببت فيه الأمل، والثورة والحياة وعفة النفس.

إنه الفلسطيني المقاوم، إنه الفلسطيني الثائر، إنه الفلسطيني الإنسان، إنه الفلسطيني ابن الرام الذي وحّد الشعب الفلسطيني في كثير من قصائده واشعارة والتي أصبحت جزءاً من كرنفال أبناء فلسطين في الوطن والمهجر.

سميح القاسم عنما يُلقي شعراً لا يتكلم بلسانه، بل بلسان كل شعراء الوطن، وكل الشعراء الفلسطينيين على السواء بالتزامة وموضوعيته، وثقافته وتجربته، وموهبته ووطنيته وعنفوانه، فهو واحد من كل، ولكنه واحد في تفرده في العديد من قصائده ومجموعاته الشعرية.

حري بنا وبكل الدارسين للشعر المعاصر ونحن نقرأ لهذا الشاعر أن يكون له نصيب من دراسات مختلفة إضافة إلى ما حظي به في حياته من شرف الدراسات والأبحاث، وكان لي هذا الشرف خلال مسيرتي الأدبية.

سميح القاسم واحد من شعراء فلسطين الذين حظوا برعاية من العديد من المسؤولين، فنال الأوسمة والدروع، والشهادات بما يستحق.

هنئياً لفلسطين بشاعر اسمه سميح، فهو على درب السابقين الأوائل من ابناء فلسطين الأوفياء الذين لم يبخلوا بفكرهم وعطائهم من أجل فلسطين الأرض وفلسطين الإنسان وفلسطين الثورة والمقاومة.

وقبل اثنين وأربعين عاماً قال قصيدة لغزة:

الغول والعنقاء والدم والشباك

والنسي والخل الوفي

من أول الدنيا هناك لآخر الدنيا هناك .

وجبينها العالي كسارية تعود ولا تعود من سقف أعمدة الدخان ..

وأنا أقاسمها وفي عنقي سلاسل موتي الآني..

أسألها وسور السجن يلعق عاره: ما أنتِ؟ .. من؟ ..

أمدينة أم موقع متقدم في جبهة نقشت على صدور جنودها الشجعان كل الأسلحة ..

وعلى صدور جنودها الشجعان ذلت ذلت كل الأسلحة..

ما أنتِ؟ .. من؟ .. أمدينة أم مذبحة؟ .. !

الليل والأسلاك إليكِ

ولا أزال يا حبيّ المحفور طفلاً لاهياً في ساحتك

وفتى ينازل غاصبيك على تراب أزقتك

وأنا القتيل على الرصيف

وأنا الأشداء الوقوف

وأنا البيوت .. البرتقال .. أنا العذاب .. أنا الصمود.. أنا المئات .. أنا الألوف

اليوم صار على المحبين اختيار الموت أو أبد الفراق

اليوم عرس الدم المراق

وأنا وأنتِ نعيش يا حبي المقاوم أو نموت .. نعيش يا حبي المقاوم أو نموت.

وأنقل هنا ما كتبه يوسف الشايب في لقاء مع الشاعر قبل أيام قليلة، وتحديداً بعد الحب الأخيرة على غزة حيث يقول القاسم : " غزةُ تُبكينا لأنَّها فينا .. نحنُ لا نستحقُّ شيئاً أكثر من الخجل!!"،

وقال القاسم ساخراً "حين يجتمع السيد بان كي مون ووزير الخارجية الأميركي السيد جون كيري، للبحث في "هدنة انسانية" لساعة او لساعتين، لمعاجلة الجرحى والمرضى في قطاع غزة المنكوب، فان هذه الحالة لا تخلو من "المسخرة" والاستخفاف بحياة البشر المتعرضين لخطر حرب هم وقودها دائما، مشدداً: كان على السادة "الكبار" ان يعملوا بمنتهى الجدية، ليس لتحقيق "هدنة انسانية" مقتضبة.. كان عليهم ان يفرضوا الحل السلمي الضروري لإخراج المدنيينالأبرياء من دوامة الموت والدم والدمار والعذاب".

وأختم بجزءٍ من قصيدة قالها الشاعر عام 2009 بعد الحرب على غزة:

غزة ما ما ماتت في الفجر الحزين

غزة ولادة من أشلاء الياسين

طوبى لها أم الصامدين

غزة أزهرت ثمارها على جسد مثقب بالرصاص

نوافذ صدره تُطل على الآتي من جياد النصر المبين

وقبل أن أختم أقول: في جعبتي الكثير الكثير عن سميح، ولكن المجال أرحب لكل الكتّاب ليدلوا بما لديهم عن هذه القامة الشعرية والأدبية التي افتقدتها فلسطين، وافتقدتها الأمة العربية بل والعالم المحب للإنسانية والسلام .

كما كنت في حياتك محباً لك، وفياً لشعرك من خلال الدراسة والتحليل، سأبقى كذلك لك، كما أنا بالنسبة للشاعرة فدوى طوقان ومحود درويش وكل شعراء فلسطين.

يوسف القعيد:

أصابته الدهشة عندما زار القاهرة لأول مرة

الشاعر الفلسطينى الكبير سميح القاسم زار مصر فى أول زيارة له لعاصمة دولة عربية، وقد أصابه الدهشة والذهول من القاهرة، وقد سجلت معه فى مجلة المصور رحلته الأولى للقاهرة، ورأيت تصميمه أن يرى ضريح الشاعر الفلسطينى معين بسيسو الكائن فى مدافن مدينة نصر، وكيف كان يصلى ويقرأ الفاتحة، وعرفت يومها كيف هى محنة الفلسطينى، وأنه حالة خاصة، ولاحظت على القاسم أنه كان مولعا بزيارة الأضرحة، فزار السيدة نفيسة والسيدة زينب، رغم أن المعروف عنه انتماؤه للحزب الشيوعى، مثل صديقه محمود درويش، الذى حاول بعض المثقفين، كعادتهم، إثارة الجدل بينهما، حول مسألة من أكثر وطنية الذى ظل بفلسطين كالقاسم أم الذى تركها وسافر للخارج كمحمود درويش لتوصيل القضية عالميا، إلا أنها كانا أكبر من هذه المسألة، فأبدعا سويا كتاب «رسائل بين شطرى البرتقالة».

وقد استمرت صلتى به منذ هذه الراحلة، وحزنت كثيرا على رحيله؛ لأن بموته يرحل آخر شاعر للقضية الفلسطينية.

الجزء الثاني

مواقع التواصل الاجتماعي

سميح القاسم كان قريباً من الصحفيين، ومن الصحافة المكتوبة بعكس الكثير ين الذين لا يقبلون إلا على المقابلات التلفزيونية، ولهذا وجدنا افتتاحيات عددٍ كبير من الصحف في الوطن العربي تناولت وفاة سميح القاسم بشكل أظهر محبة له، وحزناً على وفاته.

كما تناولت مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة حدث وفاته، إضافة إلى عدد من الافتتاحيات والمشاركات الوجدانية.

وأضع بين يدي القارئ ما تناولته بعض الصحف، من كتابات، وكذلك بعض المواقع الالكترونية.

البيان

وفاة الشاعر الكبير سميح القاسم بعد صراع طويل مع السرطان – البيان

يرحل ساميح القاسم في عز معاناة غزة والشعب الفلسطيني، وبعد صراع طويل مع السرطان، يرحل "سميح القاسم" ، شاعر فلسطين وتاريخها ومقاومتها " . كتب سميح القاسم قصائد معروفة تغنى في كل العالم العربي، منها قصيدته التي غناها اللبناني مرسيل خليفة، ويغنيها كل أطفال فلسطين وتغنى في كل مناسبة قومية "منتصب القامة أمشي.. مرفوع الهامة أمشي.. في كفي قصفة زيتون.. وعلى كتفي نعشي، وأنا أمشي وأنا أمشي". ولد سميح القاسم في 11 أيار 1939 في بلدة الرامة شمال فلسطين، ودرس في الرامة والناصرة، واعتقله الإسرائيليون مرات عدة ، وفرضوا عليه الإقامة الجبرية بسبب مواقفه الوطنية والقومية، وقد قاوم التجنيد الذي فرضته إسرائيل على الطائفة الدرزية التي ينتمي إليها. شكل القاسم مع الشاعر الفلسطيني الراحل محمود درويش ، عصب أدب المقاومة الفلسطينية، و توأم مسيرة حافلة بالنضال والإبداع والحياة . تنوعت أعمال القاسم بين الشعر والنثر والمسرحيات، وبلغت أكثر من سبعين عملا، كما اشتهر بكتابته هو والشاعر محمود درويش الذي ترك البلاد في السبعينيات "كتابات شطري البرتقالة". ووصف الكاتب عصام خوري هذه المراسلات بأنها "كانت حالة أدبية نادرة وخاصة بين شاعرين كبيرين قلما نجدها في التاريخ".

صحيفة البيان : الإمارات

وفاة الشاعر الفلسطيني الكبير سميح القاسم عن عمر ناهز 75 عاما الشاعر الكبير سميح القاسم توفي عقب صراع طويل مع مرض السرطان ومكث الأسبوع المنصرم بالمستشفى

ا

الشاعران الفلسطينيان الصديقان محمود درويش وسميح القاسم

رحل أحد أكبر أعمدة الأدب الفلسطيني والشعر العربي المعاصر، الشاعر الفلسطيني الكبير سميح القاسم ابن قرية الرامة الجليلية، إذ وافته المنية بعد صراع طويل مع مرض السرطان عن عمر ناهز 75 عاما. وكانت قد تدهورت حالة الشاعر الصحية في الأيام القليلة الماضية جراء معاناته من مرض السرطان الذي ألم به منذ عدة سنوات واضطره للمكوث في مستشفى صفد شمال إسرائيل.

وقد قال عضو الكنيست رئيس الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، محمد بركة، عن صديقه وعضو الحزب في سابقا على صفحة الفيسبوك الخاصة به: "الحبيب، حادي فلسطين، سميح القاسم وداعا".

سميح القاسم في عبارات مقتضبة

ولد القاسم في مدينة الزرقاء الأردنية في 11 أيار/ مايو 1939 قبل تسع سنوات من إعلان دولة إسرائيل لعائلة فلسطينية من قرية الرامة القريبة من مدينة عكا، ودرس في الرامة والناصرة واعتقل عدة مرات وفرضت عليه الاقامة الجبرية من السلطات الاسرائيلية لمواقفه المعارضة لسياسة الحكومة الاسرائيلية كما قاوم التجنيد الذي فرضته اسرائيل على الطائفة الدرزية التي ينتمي اليها.

وخلف القاسم وراءه زوجه وأربعة أبناء هم وطن ووضاح وعمر وياسر. وقد تنوعت اعماله بين الشعر والنثر والمسرحيات ووصلت لأكثر من سبعين عملا. وصدرت أعماله الناجزة في سبعة مجلدات عن دور نشر عدّة في القدس وبيروت والقاهرة. ترجم عدد كبير من قصائده إلى الإنجليزية والفرنسية والتركية والروسية والألمانية واليابانية والإسبانية واليونانية والإيطالية والتشيكية والفيتنامية والفارسية والعبرية واللغات الأخرى.

وسجن القاسم أكثر من مرة كما وضع رهن الإقامة الجبرية وتعرض للكثير من التضييق بسبب قصائده الشعرية ومنها (تقدموا) التي اعتبرت تحريضا ضد السلطات الإسرائيلية وتسببت في أزمة داخل إسرائيل بعد تحولها إلى ما يشبه البيان الشعري السياسي.

"الجامعة العربية"

تنعي رحيل شاعر المقاومة الفلسطينية سميح القاسم

نعت الجامعة العربية اليوم، رحيل الشاعر سميح القاسم، شاعر المقاومة الفلسطيني.

وقال السفير محمد صبيح، الأمين العام المساعد لشؤون فلسطين والأراضي العربية المحتلة، في بيان له، إن الراحل سميح القاسم، شاعر المقاومة الفلسطينية الذي شكل ثلاثية من الشاعرين: محمود درويش، توفيق زياد، كان قلبه ينبض بحب وطنه وقريته الرامة، مشيرًا إلى أن إسرائيل اعتقلته وفرضت عليه الإقامة الجبرية مرارا.

وأضاف صبيح إنه قاوم التجنيد الإجباري في جيش الإحتلال الإسرائيلي للعرب، كما أنه حاز على العديد من الجوائز الفلسطينية والعربية والدولية.

وأوضح صبيح أن أشعاره ترجمت إلى العديد من اللغات حيث كان يحس بوجع في قلبه؛ لأنه حمل الجنسية الإسرائيلية قسرًا، لأن إسرائيل قامت على جزء من الأرض الفلسطينية في عام 1948، وفرضت جنسيتها على من بقوا في الأراضي الفلسطينية عام 1948.

وكان هذا الوجع مصدر إبداع له ولزملائه المغتربين على أرضهم من الشعراء والأدباء الفلسطينيين.

وأضاف صبيح، أن سميح القاسم من نهر الإبداع والعطاء الفلسطيني الذي تدفق منذ الكنعاني الأول على الأراضي الفلسطينية ومنذ فجر التاريخ... وهم بشعرهم وعطائهم يجسدون الوجود المتجذر في هذه الأرض.. فلسطين العربية.

سميح القاسم .. لا نقول وداعا فأنت لم تمت

"بعينها الكحيلة

بالشفة البتول

بالوردة الحمراء فى الجديلةحبيبتى ,

أميرة الفصول

تقاوم المدافع الثقيلة"

هذه الأسطر المفعمة بمزيج النضارة واليفاعة والألم والأمل قالها سميح القاسم عام 1983 .

فكيف تبقى صالحة للشهادة على ما يحدث حتى الآن ؟؟

وفى ريعان المذبحة المتواصلة دون توقف, الا لبرهات, غادرنا هذا الشاعر المقاوم الملهم.

ليلحق برفاقه من كتيبة الشعراء الميامين المقاومين, من فدوى وابراهيم ومعين الى توفيق زياد ومحمود درويش, ويثوى الى ثراهم الفواح وحضنهم الفسيح.

أخيرا آن للمحارب .... الأبى الذى فضل السجن على الخدمة فى الجيش، آن له أن يترجل ويدلف إلى باطن أرضه الخضراء التى حدثنا عنها فى شعره طويلا, فصارت من فرط نداوتها وفوحها الى "مملكة للحبق والياسمين", دلف الى "عروق الأرض" التى تهدر ب"المنابع"

والعطاءات, مرفوع الرأس وضاء الجبين "منتصب القامة", وأفلت من دنس الامساك بالبندقية الصهيونية ليمتشق بندقية الشعر ويحلق عاليا بروح الشعب المتوثب للحرية والانعتاق.

لقد ترجل الفارس النبيل .. ربما لأنه لم يعد يرى جدوى من الشعر وقد "صار الموت عادة" فلسطينية بامتياز, وطال زمن المذابح المفتوحة على المدى الفلسطينى من بحره الى نهره, وطال زمن الانتكاس والارتكاس العربى من محيطه الى خليجه .. وربما تصور أن "جيش الدفاع" لم تعد تهزه قصيدة بعد أن أضحت الرصاصات هى التى ترسم الخارطة وتعيد التكوين .. وربما .. وربما ..

لكن الحصيلة هى أن واحداً من أجمل وأنجب من أنجبتهم فلسطين قد قرر المغادرة , لا إلى المنفى كما أدمن الرفاق تحت وطأة الاضطرار, ولكن إلى أحشاء الوطن وأعماق روحه ليستدفىء بالطين السخى ويستريح على وسادة من جذور السنديان والأقحوان, غادرالى جنان فلسطين السفلية بعد أن حرموه على مدار دهر بأكمله من جنان أديمها المغتصب وقد ذاق بدلا منه مرارة السجن والألم والعذاب, إنه الآن ينعم بالحرية التى طالما غنى لها فلا محتل ولا سجن ولا توقيف بعد اليوم, انه الآن ينعم بالهناءة التى طالما راودته واختبأت خلف المجنزرات المجرمة. انه الآن يخصب أرض فلسطين الولود بولوجه الى أحشائها فى آخر العمر بعد أن أخصبها فى حياته ببهائه وشعره النارى, وهو الفتى الباذخ الألق.

"لم تغادر اذن

لم يزل دمنا يا رفيق

مشعلا فى الطريق"

إن سميح القاسم لم يمت بل هو باق بسيرته وشعره ومواقفه ومآثره. إنه حى بيننا يتنفس ويتحرك ويكتب الأشعار والخواطر ويسافر ويقرأ جريدة "الاتحاد" لحظة خروجها من رحم المطبعة, ويبث فى أجيال الشبيبة روح الثورة وآيات الجمال. أما عن خبر الموت والحياة فهو لم يعد يأبه به بل أضحى موته كحياته يبعثان الأمل فى غد الحرية الوضيء.

"أيها الفتى الجميل كبركان

الساحر كاعصار

كم ظلموا فمك المشتعل

كم أخروا ميعاد القبل

حين ابتكروا انشغالك الفاجع

بهذا الشأن الصغير:

الحياة أوالموت !"

الخليل:حفل تابين للشاعر سميح القاسم

أقام ملتقى الإعلاميين والمثقفين العرب ورابطة الأدباء العرب، اليوم السبت، حفلا تأبينيا للشاعر الراحل سميح القاسم في مدينة الخليل.وأكد المشاركون بحفل تأبين، في كلماتهم، أن شعبنا سيبقى وفيا لسميح القاسم، ولشعرائه ومناضليه، الذين عاشوا أحلك الظروف بسبب النكبة والتشريد.

وأشاروا إلى أن الراحل القاسم أول من أدرك واقع التشريد والنكبة، ونادى وسعى من أجل الوحدة العربية ومحاربة الظلم والقهر.

ونوهوا إلى أن الشاعر الكبير سميح القاسم لن يغيب أو يطويه النسيان، وستبقى مدننا الفلسطينية تحيي ذكراه، وستبقى الأجيال تتعاقب على شعره النضالي والمقاوم، مشددين على 'أن منتصب القامة رحل لكن حروفه لا زالت تقاتل'.

كما ألقى عدد من الشعراء عدة قصائد في تأبين القاسم، وعبروا عن فقدانه في الساحة الشعرية، في حين قدمت فرقة فجر الحرية للتراث الشعبي الفلسطيني عرضا فلكلورياً.

اليونسكو :

تكريم سميح القاسم.. «أحببتَ فلسطين ككل الأنبياء»

قصر اليونسكو في بيروت

من الحضور الحاشد في قصر الأونيسكو

لن نبكينّك يا سميح القاسم المعطاء في درب الكتابات التي/ شطآنها بمداد شعرك مبحرة... جاءت إليك مواكب الشعراء وعواصف التكريم جاءت ماطرة... وبأبدع الكلمات.

تلك هي الأمسية التكريمية الحاشدة لرحيل الشاعر سميح القاسم في قصر الأونيسكو مساء أمس الأربعاء، رعاها اتحاد الكتّاب اللبنانيين والحركة الثقافية في لبنان بالتعاون مع الاتحاد العام للكتّاب والأدباء الفلسطينيين وسفارة فلسطين في لبنان. وبالنشيدين الوطنيين اللبناني والفلسطيني ابتدأ حفل اللقاء التأبيني لشاعر العروبة والمقاومة.

بداية، انقطعت كهرباء قصر الأونيسكو لمدة ربع ساعة، ثم جاءت الإضاءة. وعلى إيقاع قصيدة «سأقاوم» رسم الرسام محمد الديري وجه سميح القاسم على المسرح. ثم ألقى مقدم الاحتفال عماد شرارة كلمة بليغة قال فيها: «منذ أكثر من عهد مضى وسميح القاسم صوت فلسطين، وصراخها الشرعي وشارعها المخضر بالشجر والدم والحجر والشهادة». ثم ألقى وجيه فانوس كلمة اتحاد الكتّاب اللبنانيين والحركة الثقافية في لبنان: «ما برح القاسم يدعونا إلى أن نتابع المشي بالأكفان وصولاً إلى حوض كوثر الانتصار، كي نستمتع بجنات تجري من تحتها أنهار الحرية». ثم كانت كلمة الاتحاد العام للكتّاب والأدباء الفلسطينيين ألقاها مراد سويدان: «رحل طائر الرعد الفلسطيني الشقي بحب البلاد، الندي كدمعة أم الشهيد». أخيراً، وقبل أن يحين الموعد مع الشعراء ألقى السفير أشرف دبور كلمة سفارة فلسطين: «كنت يا سميح وفياً أبدياً لفلسطين ولن تسقط راية الوطن.

ومع تقديم شرارة لمزيد من الشعراء انقطعت الكهرباء انقطاعاً نهائياً، لكننا قرأنا على ضوء القداحة مقطعاً للشاعر طارق آل ناصر الدين يقول فيه: «أنت أحببت فلسطين/ ككل الأنبياء/ يا صديقي/ هل يظل الحب حياً بعد موت الشعراء؟/ قد يموت الحب حباً/ ليعيش الكبرياء». وهكذا غادر الجمهور الحاشد قصر الأونيسكو الغارق في الظلام ومعه الشعراء غسان مطر وعبد القادر الحصني وديزيريه سقال ووجدي عبد الصمد.

لن نبكيّك يا قلعة الأمة.. فابتسم فوق السماء وتحتها.. لوزاً وأطياراً وليموناً وأرغفة وشعراً أخضر.

منتصب القامة أخذ شطر البرتقالة الثاني ورحل .. وداعا سميح القاسم

غيب الموت أمس الشاعر الفلسطيني سميح القاسم عن 75 سنة بعد صراع مع المرض.

والقاسم أحد أهم الشعراء العرب والفلسطينيين المعاصرين ومن شعراء المقاومة الفلسطينية من داخل اسرائيل.

وهو مؤسس صحيفة "كل العرب" ورئيس تحريرها الفخري.

ولد القاسم وهو متزوج وأب لأربعة أولاد هم (وطن ووضاح وعمر وياسر) في مدينة الزرقاء بالاردن في 11 أيار 1939 لعائلة عربية فلسطينية من قرية الرامة القريبة من مدينة عكا في شمال اسرائيل.

وسجن أكثر من مرة، كما وضع في الاقامة الجبرية وتعرض للكثير من التضييق بسبب قصائده.

أضف أنه درزي قاوم التجنيد الذي فرضته إسرائيل على أبناء طائفته.
وله قصائد معروفة وتغنى في العالم العربي، منها قصيدته التي غناها مرسيل خليفة ويغنيها كل أطفال فلسطين وتستعاد في كل مناسبة قومية "منتصب القامة أمشي... مرفوع الهامة أمشي... في كفي قصفة زيتون... وعلى كتفي نعشي، و أنا أمشي و أنا امشي".
تنوعت أعماله بين الشعر والنثر والمسرحيات وبلغت أكثر من 70 عملاً. اشتهر هو ومحمود درويش الذي ترك البلاد في السبعينات بـ"كتابات شطري البرتقالة".

والقاسم شاعر مكثر يتناول في شعره الكفاح ومعاناة الفلسطينيين، وما إن بلغ الثلاثين حتى كان قد نشر ست مجموعات شعرية حازت على شهرة واسعة في العالم العربي.

كتب القاسم أيضاً عدداً من الروايات، ومن بين اهتماماته الأخيرة إنشاء مسرح فلسطيني يحمل رسالة فنية وثقافية عالية، كما يحمل في الوقت نفسه رسالة سياسية قادرة على التأثير في الرأي العام العالمي فيما يتعلّق بالقضية الفلسطينية.

الزيتون يبكي "سميح القاسم"

غيّب الموت، أمس الاثنين الشاعر الفلسطيني الكبير، سميح القاسم بعد صراع طويل مع مرض السرطان، ليرحل صاحب كلمات "منتصب القامة أمشي .. مرفوع الهامة أمشي ...في كفي قصفة زيتون... وعلى كتفي نعشي، وأنا أمشي وأنا أمشي"، لتبقى القضية الفلسطينية يتيمة من شعرائها بعد أن فقدت منذ سنوات توأمه محمود درويش.

وفاة الشاعر الفلسطيني سميح القاسم عن 75 عاما

الشاعر سميح القاسم

توفي اليوم الثلاثاء الشاعر الفلسطيني سميح القاسم بعد صراع مع سرطان الكبد الذي أصيب به قبل نحو ثلاث سنوات.والقاسم أحد أهم الشعراء العرب والفلسطينيين المعاصرين وهو من شعراء المقاومة الفلسطينية من داخل إسرائيل. وهو مؤسس صحيفة (كل العرب) ورئيس تحريرها الفخري.

ولد القاسم في مدينة الزرقاء الأردنية في 11 مايو أيار 1939 قبل تسع سنوات من إعلان دولة إسرائيل لعائلة فلسطينية من قرية الرامة القريبة من مدينة عكا في شمال فلسطين التاريخية تحت الانتداب البريطاني.

وأصدر القاسم في مدينة الناصرة عام 1958 ديوانه الأول (مواكب الشمس) ويضم قصائده الأولى ومعظمها موزون ومقفى ويغلب عليها الطابع الحماسي. ويبدأ الديوان بالقصيدة التي جعلها القاسم عنوانا للديوان وتقول أبياتها الثلاثة..

"فجر الشعوب أطل اليوم مبتسما–فسوف نغسل عن آفاقنا الظلما. مواكب الشمس قد مارت محطمة–ظلام ليل على أيامنا جثما. ونحن سرنا بها والحق رائدنا–والشمس أضحت لنا في زحفنا علما".

وسجن القاسم أكثر من مرة كما وضع رهن الإقامة الجبرية وتعرض للكثير من التضييق بسبب قصائده الشعرية ومنها (تقدموا) التي اعتبرت تحريضا ضد الاحتلال وتسببت في أزمة داخل إسرائيل بعد تحولها إلى ما يشبه البيان الشعري–السياسي. ويقول في بعض سطورها.

"تقدموا.. تقدموا–كل سماء فوقكم جهنم–وكل أرض تحتكم جهنم. تقدموا..

يموت منا الشيخ والطفل ولا يستسلم–وتسقط الأم على أبنائها القتلى–ولا تستسلم.

تقدموا.. بناقلات جندكم–وراجمات حقدكم– وهددوا.. وشردوا.. ويتموا.. وهدموا.. لن تكسروا أعماقنا–لن تهزموا أشواقنا–نحن قضاء مبرم".

وللقاسم قصائد حظيت بشهرة في عموم العالم العربي ومنها (منتصب القامة أمشي) التي غناها الفنان اللبناني مرسيل خليفة وتحولت إلى ما يشبه النشيد الشعبي الفلسطيني حيث يقول فيها..

"منتصب القامة أمشي–مرفوع الهامة أمشي–في كفي قصفة زيتون¬–وعلى كتفي نعشي–وأنا أمشي وأنا أمشي. قلبي قمر أحمر–قلبي بستان فيه العوسج–فيه الريحان. شفتاي سماء تمطر نارا حينا–حبا أحيان. في كفي قصفة زيتون وعلى كتفي نعشي–وأنا أمشي وأنا أمشي".

وزاوج القاسم في كثير من قصائده بين جماليات الشعر ودور الشاعر المحرض ومنها قصيدة (بيان عن واقع الحال مع الغزاة الذين لا يقرأون) ويقول في بعض سطورها..

يا أيها الآتون من عذابكم– لا. لا تعدو العشرة–وغازلوا قاذفة–وعاشروا مدمرة... خذوا دمي حبرا لكم–ودبجوا قصائد المديح في المذابح المظفرة–وسمموا السنابل–وهدموا المنازل–وأطبقوا النار على فراشة السلام–وكسروا العظام–وكسروا العظام–لا بأس أن تصير مزهرية عظامنا المكسرة... من أوصد السحر على قلوبكم؟ من كدس الألغاز في دروبكم؟ من أرشد النصل إلى دمائنا؟ من دل أشباح الأساطير على أسمائنا؟.

وحظي القاسم بتقدير المثقفين في العالم العربي وخارجه ونال كثيرا من الجوائز من إسبانيا وفرنسا وفلسطين وآخر تكريماته حصوله عام 2006 من القاهرة على جائزة نجيب محفوظ التي يمنحها الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب.

والقاسم درزي قاوم التجنيد الذي فرضته إسرائيل على طائفته.

وكان القاسم يشكل مع مواطنه محمود درويش جناحي طائر ووصفا بأنهما شطرا البرتقالة. وفي منتصف الثمانينيات تبودلت بينهما رسائل نشرت أسبوعيا ثم جمعت في كتاب (الرسائل) الذي يعد من عيون النثر العربي. كان القاسم في فلسطين ودرويش في باريس وكتب له في

ختام إحدى الرسائل "أرى وجها للحرية محاطا بغصني زيتون... أراه طالعا من حجر. أخوك محمود درويش – باريس 5 أغسطس 1986".

وخاطبه درويش في قصيدة يقول في بعض سطورها "أما زلت تؤمن أن القصائد أقوى من الطائرات؟ إذن كيف لم يستطع إمرؤ القيس فينا مواجهة المذبحة؟ سؤالي غلط–لأن جروحي صحيحة–ونطقي صحيح–وحبري صحيح–وروحي فضيحة. أما كان من حقنا أن نكرس للخيل بعض القصائد قبل انتحار القريحة؟ سؤالي غلط–لأني نمط–وبعد دقائق أشرب نخبي ونخبك من أجل عام سعيد جديد جديد".

سميح القاسم.. حمل يراعه ومشى

راديو " سوا"

منتصبَ القامةِ أمشي، مرفوع الهامة أمشي،

في كفي قصفة زيتونٍ...وعلى كتفي نعشي

وأنا أمشي وأنا أمشي

لملم سميح القاسم أوراقه ويراعه، وحمل حاجياته ومشى. أخذه سرطان الكبد بعد ثلاث سنوات من الصراع مع المرض الخبيث .

سميح القاسم شاعر فلسطيني، ولد في رامة الفلسطينية في العام 1939، وتعلم في مدارسها وفي مدارس الناصرة، وأمضى جزءا من حياته المهنية مدرسا.

لاحقا إنصرف القاسم إلى النشاط السياسي في الحزب الشيوعي، ليترك بعدها الحزب، وينصرف إلى العمل السياسي.

سجن القاسم أكثر من مرة، ووضع رهن الإقامة الجبرية على خلفية أشعاره ومواقفه السياسية.

خلال أعوامه الثلاثين الأولى، نشر للشاعر ست مجموعات شعرية، حازت على شهرة كبيرة في العالم العربي .

فاق عدد مؤلفات القاسم الثمانين، شعرا ونقدا ورواية ومسرحا، وكان المسرح يحتل مساحة كبيرة من إهتماماته.

من بين أعماله الشعرية: "مواكب الشمس "، و"أغاني الدروب"، و"دمي على كتفي "، و"دخان البراكين "، و"سقوط الأقنعة ". أما أعماله المسرحية فتضمنت قرقاش ، المغتصبة ومسرحيّات أخرى.

في "الحكايات" كتب "إلى الجحيم أيها الليلك "، و"الصورة الأخيرة في الألبوم "، وكتب في النثر "عن الموقف والفن، من فمك أدينك ،كولاج، رماد الوردة، دخان الأغنية، وحسرة الزلزال."

من أشهر أعماله ما دعي بالرسائل، بالاشتراك مع الشاعر الفلسطيني الراحل الكبير محمود درويش.

سميح القاسم: «منتصب القامة» يرحل!!

كتبت صحيفة الأخبار:

كانوا ثلاثة. ثلاثة شعراء حملوا صوت فلسطين عالياً، في سنوات البطولة. واكتشفهم العالم العربي على نطاق واسع في الستينيات مع انطلاق الكفاح المسلّح. ثلاثة فرّقتهم دروب الحياة والشعر والسياسة ومنافي الداخل والخارج، بعدما جمعهم الحزب الشيوعي «الاسرائيلي» في لحظة ما، وتسمية مشتركة: «شعراء المقاومة الفلسطينيّة» التي عاد فأفلت منها بمهارة أكثرهم نجوميّة، أي محمود درويش.

ثلاثة، قصائدهم صارت أغنيات على كل لسان، مع عابد عازرية وغازي مكداشي وأحمد قعبور وسميح شقير و... مرسيل خليفة. كانوا ثلاثة: توفيق زيّاد بقي في فلسطين التاريخيّة، وخاض مجال السياسة مع الحزب الشيوعي، وكتب لـ «العذراء ذات الأوفرهول الأزرق»، وصرخ «فلتسمع كل الدنيا فلتسمع». ومات في ١٩٩٤ في حادث سير على طريق القدس. محمود درويش صاحب «سرحان يشرب القهوة في الكافيتيريا» و«أحمد الزعتر»، خرج من فلسطين وصار شاعر القضيّة ونجمها، ولم يعد إلا في تابوت عام ٢٠٠٨، بعدما خانه القلب. والآن ينطفئ في مستشفى صفد الأقنوم الثالث، سميح القاسم (١٩٣٩ ـ ٢٠١٤) صاحب «نشيد الحجر» و«يكون أن يأتي طائر الرعد». قبل أيام قليلة كان مارسيل خليفة يستعيد في «بيبلوس» قصيدته الشهيرة «منتصب القامة أمشي (...) وعلى كتفي نعشي». كافح القاسم ضدّ المرض العضال سنوات، كما ناضل في الماضي ضدّ الاحتلال. أعماله الشعرية مطبوعة في أكثر من مدينة عربية من حيفا إلى الرباط، مروراً ببيروت ودمشق وعمّان، وقد نشر سيرته بأسلوب ساخر تحت عنوان «إنّها مجرّد منفضة» («دار راية»، حيفا، 2012). «الأخ اللدود» لدرويش، إذ تخاصما وتراسلا وتصالحا كثيراً، يبقى، رغم بعض المواقف الاشكاليّة التي فرضها وضعه تحت الاحتلال، صوتاً أدبياً فريداً، سيعيش في وجدان الشعب الفلسطيني.

صحيفة السفير:

سميح القاسم.. رحيل المغني المحارب!!

بعد محمود درويش يتم برحيل سميح القاسم غياب الثنائي الذي أشرف على العالم العربي والشعر المعاصر من قلب فلسطين المحجوبة حتى ذلك الوقت. وكان صوت درويش . القاسم أكثر من قصيدة، كان صوتاً مجروحاً ومعذباً وصارخاً بقدر ما كان استذكاراً وهوية واسماً آخر وعنواناً لفلسطين. لقد ظهر ذلك الصوت قبل السلاح وكان بالتأكيد يحمل في طياته كل الكثافة وكل الزخم اللذين تكدست فيهما لا الذكريات فحسب، ولكن أيضاً الرعف والحنين والتواريخ الدامية والمضيئة وسلسلة الثورات والمعارك والبطولات المكسورة والحروب الخاسرة.

درويش والقاسم لا نظلم أياً منهما حين نقرنهما ببعضهما بعضاً فقد تواصل الإسمان كما تواصل الشخصان وكانا معاً وجهاً مزدوجاً ومتفارقاً لفلسطين التي غدت بدءاً من أواسط القرن الماضي ضميرنا وسرنا وجرحنا في آن معاً. لقد بدأ هذا التاريخ بخسارة مدوّية ومأساة وسيبقى هذا طابعه وستبقى هكذا دمغته وسيبقى ينزف ويكون نزفه وتكون تنهداته إيقاعنا ولحننا، ربما لهذا ظهر المغني قبل المحارب، ربما لهذا بدأت المرثية قبل الأهزوجة، ربما لذلك ورثنا هذا الجرح وأورثناه وتركناه ينطق ويتكلم عنا.

سميح القاسم الذي اهتدى من شيوعيته إلى فلسطينيته أو كانتا في الأصل واحداً، لقد بقي له وللعرب الباقين هذا الركن وذلك المعزل، وكان ينبغي أن يمر وقت كاف حتى يتحول هذا المعزل إلى دوامة وذلك الركن إلى معترك، وبالتأكيد كان لسميح القاسم وبقية الشعراء والكتاب الفلسطينيين الذين صدحوا من فلسطين الصيحة الأولى التي وصلتنا مدماة متقطعة وكان ينبغي أن يمرّ وقت قبل أن تمتلئ وتتّسق وتمور بالنياعة والنضارة وتغدو كونية وملحمية وتستعيض عن منفاها في وطنها بمنفى عالمي وتغدو الأرض بكليتها بلدها ومنفاها ويغدو الشتات أسطورتها وسِفرها وتغدو فلسطين معها ومعهم ايتاكا الجديدة ويغدو الشاعر عوليسها الجديد.

بقي سميح القاسم في فلسطين وهاجر محمود درويش قبل أن يرجع في عودة ثانية إليها. لكن الباقي ما كان له أن ينكسر وما كان لصوته أن يشحب ويخفت. لقد بقي تحت زيتونته وكان عليه أن يصد عنها ، وأن يصرخ في وجه من يريد أن يغصبه إياها. كان عليه أن يشهر قصيدته كما لو كانت سلاحاً وأن يحارب بها ويُطلقها على المتربصين به. كان عليه أن يبدي أسنانه لا قلبه وحده، وأن يخيف ما وسعه أن يخيف، وأن يصرخ ما أمكنه أن يصرخ وحين كان وحده في الدرب، وحده في العزلة، كان يرفع صوته بنشيد المحارب، يواجه بكبريائه مَن يضعون أصابعهم في جرحه. كان يرفع رأسه من فوق مضطهديه. وظل دائماً في تخييل المعركة. كما ظل دائماً في ذكرى المواقع والأيام والحروب. تلك كانت تحييه في الذاكرة وتحييه في الخيال وتحييه في الواقع حتى لا يقتله القهر ولا تقتله العزلة.

كان له نشيد المحارب الذي يتحوّل أحياناً إلى أغنية نصر واستدعاء للمستقبل وأمل لا يشيخ وبشارة خضراء كالزيتون. بقي سميح القاسم في فلسطين حيث كان عليه أن يقاتل وأن يغني في المعركة وأن يهلل ويرتجز في وسطها. أما درويش فقد هاجر ليبحث ثانية عن ايتاكا . فلسطين وليغني خسارته وليحمل المرثية إلى ضفاف العالم.

كتب سميح القاسم كثيراً. ألّف ما يزيد على الستين مؤلفاً في الشعر والرواية والمسرح والمقالة والترجمة والرسائل. كان الحبر والحرف بالتأكيد حياته الثانية وكلما خط كلمة عربية كان يسترد بذلك هويته ويحيي فلسطين، يستردها بالكتابة ويستردها بالشعر ويستردها بالأغنية ويستردها بالنثر، وحين أصابه السرطان واجهه بكبرياء المحارب وشجاعة المحارب. لم يترك قلمه يسقط من يده ولم يخف من المرض بل حاول أن يخيفه هو الذي اعتاد منذ نعومة أظفاره أن يخيف ما هو أشد من السرطان وأقوى من الموت.

صحيفة الحياة

من هو الشاعر الفلسطيني سميح القاسم؟

غيّب الموت الشاعر الفلسطيني سميح القاسم (75 عاماً) الذي ساءت حالته كثيراً منذ أسبوعين، بسبب معاناته من سرطان الكبد منذ ثلاث سنوات.

ولد القاسم في قرية الرامة (فلسطين) عام 1939، وتعلّم في مدارس الرامة والناصرة. وعمل مدرّساً، ثم انصرف لمزاولة النشاط السياسي في "الحزب الشيوعي" قبل أن يترك الحزب ليتفرغ لعمله الأدبي.

ويروى أن والد القاسم كان ضابطاً في قوّة حدود شرق الأردن، وفي إحدى رحلات العودة إلى فلسطين في القطار خلال الحرب العالمية الثانية ونظام التعتيم، بكى الطفل سميح فذُعر الركَّاب وخافوا أن تهتدي إليهم الطائرات الألمانية. وبلغَ بهم الذعر درجة التهديد بقتل الطفل إلى أن اضطر الوالد إلى إشهار سلاحه في وجوههم لردعهم، وحين رُوِيَت الحكاية لسميح القاسم فيما بعد، قال: "حسناً... لقد حاولوا إخراسي منذ الطفولة سأريهم سأتكلّم متى أشاء وفي أيّ وقت وبأعلى صَوت، لن يقوى أحد على إسكاتي."

ويعتبر القاسم أحد أهم وأشهر الشعراء العرب والفلسطينين المعاصرين الذين ارتبط اسمهم بشعر الثورة والمقاومة من داخل أراضي عام 48. ويتناول في شعره الكفاح ومعاناة الفلسطينيين، وما أن بلغ الثلاثين حتى كان نشر ست مجموعات شعرية حازت على شهرة واسعة في العالم العربي.

وسُجن القاسم أكثر من مرة، كما وُضِعَ رهن الإقامة الجبرية والإعتقال المنزلي وطُرِدَ مِن عمله مرَّات عدّة بسبب نشاطه الشِّعري والسياسي وواجَهَ أكثر مِن تهديد بالقتل، في الوطن وخارجه.

وكان القاسم من مؤسسي صحيفة "كل العرب" ورئيس تحريرها الفخري، إلى جانب إسهامه في تحرير "الغد" و"الاتحاد" ثم رَئِسَ تحرير جريدة "هذا العالم" عام 1966. ولاحقاً عاد للعمل مُحرراً أدبياً في "الاتحاد" وأمين عام تحرير "الجديد" ثمَّ رئيس تحريرها. وأسَّسَ منشورات

"عربسك" في حيفا، مع الكاتب عصام خوري سنة 1973، وأدار فيما بعد "المؤسسة الشعبية للفنون" في حيفا. وترأس الإتحاد العام للكتاب العرب الفلسطينيين منذ تأسيسهما.

وصَدَرَ له أكثر من 60 كتاباً في الشعر والقصة والمسرح والمقالة والترجمة، وصدَرتْ أعماله الناجزة في سبعة مجلّدات عن دور نشر عدّة في القدس وبيروت والقاهرة. وتُرجِم عدد كبير من قصائده إلى الإنجليزية والفرنسية والتركية والروسية والألمانية واليابانية والإسبانية واليونانية والإيطالية والتشيكية والفيتنامية والفارسية والعبرية ولغات الأخرى

تشييع جثمان سميح القاسم في موكب مهيب بالجليل

شارك الآلاف في تشييع جثمان الشاعر سميح القاسم في بلدة الرامة في الجليل الأعلى الخميس في مسيرة رفعت خلالها الأعلام الفلسطينية وتخللتها قراءة لأشعاره، سجى جثمان سميح القاسم في بيت الشعب وغطى صدره الورد الجوري الأحمر وأغصان الزيتون، وارتدت النسوة الأسود وغطاء الرأس الأبيض وحملن أغصان الزيتون، وهن يندبن الشاعر بقولهن "كتبوا أوراق النعي وفرقوها على البلاد.."، وارتدى الشبان سترات كتب عليها "منتصب القامة أمشي.. مرفوع الهامة أمشي".

ولم تتمالك زوجته نوال نفسها عندما حملوا النعش وكادت أن تقع أرضًا، وردد الجميع وهم يبكون "مع السلامة مع السلامة.."، وخلف الكشافة الذين عزفوا دقات الحزن، سار الموكب المهيب وراء علم فلسطيني امتد لعشرة أمتار، على وقع كلمات قصيدة "سماء الأبجدية"، وتقدم المسيرة الرجال ومشايخ الدروز ورجال الدين المسيحي وأصدقاء الشاعر وأبناؤه وزوجته وأقرباؤه وقريباته وشخصيات سياسية وأعضاء الكنيست العرب.

وردّدت النساء "على دمشق الشام روحك راجعة حيوا وطنًا سوريًا بالقصيدة اللامعة".

وخلال العزاء صدحت قصيدة لسميح القاسم بصوته يصف فيها عزاءه ويشكر فيها "من قدم لتشييع جثماني.. ولكل الذين أتاحوا لي رفعي على أكتافهم وأؤلئك الذين حملوا أكاليل الورود ...ماذا أقول ؟؟"

وانطلقت كلمات القاسم بصوته "قالوا ويوم تغادر روحي فضائي ... لشيء يسمونه الموت أرجو أن لا تفارق وجهي الابتسامة".

وجاؤوا لتكريم شخصي الضعيف لهذه الجنازة ...ألا عظم الله أجركم أجمعين".

وسجى الجثمان في الملعب إلى حيث بدأت تصل الوفود القادمة من القدس المحتلة والضفة الغربية والنقب وكل المدن والبلدات العربية داخل إسرائيل، وكان بين المعزين رئيس الوزراء الفلسطيني السابق الدكتور سلام فياض.

وتقدّم أعضاء وفد الجولان حاملين أعلامًا سورية وفلسطينية وهتفوا "الجولان وسوريا نسيوها العرب.. تبقى سوريا تقول أرضك راجعة".

وقالت قريبته أسماء فياض لفرانس برس "هو خسارة لكل العرب وليس للطائفة الدرزية"، وقال ابن أخته صالح ظاهر "موته للأسف يعتبر نهاية حقبة، فقد حارب الجاهلية والجهل، وكان إنسانًا كبيرًا"، وقام بتأبينه عدد من الشخصيات الوطنية والدينية قبل أن يوارى الثرى على قطة أرض مرتفعة على جبل حيدر في بلدة الرامة تشرف على جبال الجليل وعلى مدينة حيفا ورأس الناقورة، وسط قطعة أرض أكبر، قد تصبح حديقة في المستقبل.

«الشرق الأوسط»

الموت يغيب الشاعر الفلسطيني سميح القاسم

حادي فلسطين الذي كتب قبل موته: أنا لا أحبك يا موت لكني لا أخافك

غيب الموت أمس الشاعر الفلسطيني الكبير أحد أهم أعمدة الأدب العربي سميح القاسم، عن عمر يناهز (75 سنة) بعد صراع طويل مع مرض السرطان.
وكان القاسم أدخل غرفة العناية المركزة في مستشفى صفد بإسرائيل قبل عدة أيام إثر تدهور حالته الصحية.

ويعد القاسم من أبرز الشعراء المعاصرين وارتبط اسمه بشعر عروبي ومقاوم.

ولد القاسم، وهو متزوج وأب لأربعة أولاد هم (وطن ووضاح وعمر وياسر)، في مدينة الزرقاء الأردنية في 11 من مايو (أيار) عام 1939 لعائلة عربية فلسطينية من قرية الرامة، وتعلم في مدارس الرامة والناصرة، وانضم مبكرا إلى «الحزب الشيوعي» قبل أن يترك الحزب ليتفرغ لعمله الأدبي.

سُجِن سميح القاسم أكثر من مرة كما وضع رهن الإقامة الجبرية والاعتقال المنزلي وطرد من عمله مرات عدة بسبب نشاطه الشعري والسياسي.

شغل منصب رئيس اتحاد الكتاب العرب والاتحاد العام للكتاب العرب الفلسطينيين في فلسطين منذ تأسيسهما. ورأس تحرير الفصلية الثقافية «إضاءات»، كما أسس صحيفة «كل العرب» في الناصرة.

صدر له أكثر من 80 كتابا في الشعر والقصة والمسرح والمقالة والترجمة، وصدرت أعماله الناجزة في سبعة مجلدات عن دور نشر عدة في القدس وبيروت والقاهرة.
وترجمت الكثير من أعمال الشاعر الراحل سميح القاسم وقصائده إلى اللغات الإنجليزية

والفرنسية والتركية والروسية والألمانية واليابانية والإسبانية واليونانية والإيطالية والتشيكية والفيتنامية والفارسية والعبرية واللغات الأخرى.

كتب سميح القاسم الكثير من القصائد المعروفة والمشهورة، من بينها تلك التي غناها مرسيل خليفة: «منتصب القامة أمشي.. مرفوع الهامة أمشي... في كفي قصفة زيتون... وعلى كتفي نعشي، وأنا أمشي وأنا أمشي». كتب أثناء مرضه سيرته الذاتية تحت عنوان «إنها مجرد منفضة»، كما أصدر ديوانا قبل 5 أشهر بعنوان «كولاج». ويخاطب الشاعر نفسه في نهاية سيرته قائلا: «ها هو رمادك يتساقط في منفضة العالم، منفضة الحياة الدنيا.. ها هو رمادك يتهاوى في منفضتك. وإلا فماذا ظننتَ يا أخي وصديقي؟ ماذا ظننتَ دنياك أيها الإنسان الذي أراد أن يكون شاعرا وأيها الشاعر الذي أراد أن يكون إنسانا؟. ماذا ظننت؟ هل فاتك أن دنياك ليست سوى منفضة، بلى إنها منفضة إنها مجرد منفضة».

كتب قبل أن يموت محاورا الموت: «أنا لا أحبك يا موت– لكنني لا أخافك – أعلم أني تضيق علي ضفافك – وأعلم أن سريرك جسمي – وروحي لحافك – أنا لا أحبك يا موت – لكنني لا أخافك».

ونعى أدباء ومثقفون وسياسيون الشاعر القاسم، وكتب عضو الكنيست رئيس حزب الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة محمد بركة على صفحة الـ«فيسبوك» الخاصة به: «الحبيب، حادي فلسطين، سميح القاسم وداعا».

رثاء عربي بعد رحيل الهرم الشعري سميح القاسم

ما يزال رحيل الشاعر الفلسطيني سميح القاسم يلقي بظلاله على الصحافة الثقافية في العالم العربي لليوم الثالث على التوالي؛ إذ عمدت صحف عربية كـ "الدستور" لتخصيص ملفها الثقافي ليوم الجمعة للقاسم، ليبقى حاضراً لدى معظم كُتّاب الأعمدة أيضاً.

"الدستور" الأردنية تعيد نشر حوار القاسم في "ذوات"

أعادت صحيفة الدستور الأردنية نَشَرَ الجزء الأول من الحوار الأخير مع الشاعر سميح القاسم، والذي أجراه الزميل يوسف الشايب الذي بدأ فيه أسئلته عن تلك الإشاعة التي تقول إن القاسم رثى رابين عند قبره، ليرد عليه بإجابة مطولة أن هذا يذكّره بالإشاعة التي أطلقها مرشح كونغرس على خصمه بأن شقيقته زانية، وحين أجابه الخصم بأن لا شقيقات له، قال بأنك حتى تثبت أن لا شقيقات لي ستكون الانتخابات قد انقضت وخسرت.

كما وجّه الشايب سؤالاً للقاسم عن تهمة التطبيع التي لاحقته في الأردن، ليستهجن هذا وهو أردني المولد، قائلاً بأن من حمّله جواز سفر إسرائيلي هو جامعة الدول العربية، وبأن من أقام إسرائيل هي جامعة الدول العربية، وبأن المرابطة في الأرض ليست تهمة.

القاسم ومصر

تحت عنوان "كان صديقاً لهم وعايشوه عن قرب ولهم معه ذكريات لا تنسى"، كتب جمال القصاص في الدستور، مورداً أسماء ثقافية عدة من مصر تنعى القاسم، مثل الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي، الذي قال بأنه لعب دوراً مهماً "في التعبير عن

وحدة الشعب الفلسطيني، والتحذير من شرور التقسيم والطائفية التي أصبحت تهدد الكثير من بلداننا العربية"، مؤكداً أنه "جعل الانتماء الإنساني، الأكثر رحابة وتجسيداً لطموحات وأشواق الإنسان."

وكان رئيس اتحاد كُتّاب مصر محمد سلماوي، قد قال في نعيه للقاسم، كما يورد القصاص، بأنه أتى للقاهرة لاستلام جائزة نجيب محفوظ، رغم مرضه، وبأن كلمته ما تزال ترن في أذنه حين قال: "أنا أوفر حظاً من نجيب محفوظ، فقد فزت بجائزة تحمل اسم رجل من أنبل الرجال وروائي عبقري ساهم في تشكيل وجدان جيل كامل من العرب."

ليعدّد أسماء أخرى اقتسمت مع القاسم ذكريات مصرية عربية؛ منها الناقد صلاح فضل والشاعر فريد أبو سعدة، إلى جانب النعي الذي قدّمه حزب الكرامة المصري عشية رحيله.

شعراء يرثون القاسم

نشرت الدستور مجموعة من المرثيات التي كتبها شعراء في رحيل القاسم، مثل علي الدميني من السعودية ومنصف المزغني من تونس ود. موسى بيدج من إيران ونايف أبو عبيد من الأردن، الذي كتب:

فلا تدري نفس متى تنتهي ويسمر في دارها السامر

وداعاً "سميح" سيبقى لنا قريضك والموقف الثائر

ولن ننسى آياتك يا شاعراً صوته الصادق الهادر

سميح القاسم يرحل "منتصب القامة" بعد معركة انتصر فيها السرطان

دبي، الإمارات العربية المتحدة (CNN)– غيَّب الموت الشاعر الفلسطيني سميح القاسم، الذي وافته المنية مساء الثلاثاء، بعد صراع مع مرض السرطان، عن عمر يناهز 75 عاماً، قدم خلالها عشرات المؤلفات، تنوعت بين الشعر والقصة والمقال، تذخر بها المكتبات العربية.

ويُعد سميح القاسم أحد أبرز الشعراء المعاصرين، الذين ارتبطت أسماؤهم بـ"شعر الثورة والمقاومة" في العالم العربي، حيث كان عضواً في "الحزب الشيوعي"، وتعرض للاعتقال في السجون الإسرائيلية عدة مرات، بسبب كتاباته الأدبية ومواقفه السياسية.

ونعى رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية، محمود عباس، الشاعر الراحل، واصفاً إياه بأنه "صاحب الصوت الوطني الشامخ"، وأضاف أنه "كرس جل حياته مدافعاً عن الحق والعدل والأرض"، من داخل أراضي عام 1948، أو ما يُعرف بـ"عرب الداخل" في إسرائيل.

كما وصفت وكالة الأنباء الفلسطينية سميح القاسم، بأنه "أحد أبرز شعراء فلسطين"، مشيرةً إلى أنه "واجهَ أكثر من تهديد بالقتل، في الوطن وخارجه.. وقد قاوم التجنيد، الذي فرضته إسرائيل على الطائفة الدرزية، التي ينتمي إليها."

ولد القاسم عام 1939 في مدينة "الزرقاء" الأردنية، لعائلة فلسطينية من قرية "الرامة"، وتلقى تعليمه في مدارس "الرامة" و"الناصرة"، كما عمل معلماً بإحدى المدارس، ثم انصرف بعدها إلى نشاطه السياسي في الحزب الشيوعي، قبل أن يترك الحزب ليتفرغ لعمله الأدبي.

صدر للشاعر الراحل أكثر من 60 كتاباً في الشعر والقصة والمسرح والمقالة والترجمة، كما ترجمت العديد من قصائده إلى لغات العالم المختلفة، وحصل على العديد من الجوائز العالمية، وتم منحه العضوية الشرفية في عدّة مؤسسات إقليمية ودولية.

من أشهر قصائده التي يتغنى بها العالم العربي، قصيدة "منتصب القامة أمشي"، التي غناها الفنان اللبناني مرسيل خليفة، ويرددها الفلسطينيون في مختلف المناسبات القومية.

رحيل الشاعر الفلسطيني الكبير سميح القاسم

عن عمر يناهز الـ 75 عاماً، رحيل الشاعر الفلسطيني الكبير سميح القاسم، بعد صراع طويل مع مرض السرطان، وهو الذي أمضى حياته يكتب عن فلسطين ولها.

عاش منتصب القامة، حاملاً نعشه على كتفه، وهو يمشي في دروب الشعر والمقاومة، حاملاً هم فلسطين وقضيتها في شعره، وكذا رحل وهو يقول "ربما تسلبني آخر شبر من ترابي... لكن لن أساوم، وإلى آخر نبض في عروقي سأقاوم سأقاوم سأقاوم".

رحل الشاعر الفلسطيني الكبير سميح القاسم عن عمر يناهز 75 عاماً، بعد صراع طويل مع مرض السرطان، وأعلن في فلسطين المحتلة عن إقامة الجنازة للشاعر الكبير يوم الخميس القادم في بلدته الرامة شمال فلسطين.

ولد القاسم في بلدة الرامة عام 1939 ودرس في الناصرة، اعتقلته قوات الإحتلال الإسرائيلي عدة مرات، وفرضت عليه الإقامة الجبرية.

يعتبر القاسم أحد أبرز أعلام الشعر العربي الحديث الذي شكل دعامة أساسية من أدب المقاومة الفلسطينية، وتنوعت أعماله الأدبية بين الشعر والنثر والمسرح، ويحمل في جعبته أكثر من 70 عملاً أدبياً

سميح القاسم قصائد في ألبوم الحياة

كان صوتاً يتردَّد صداه من بيروت إلى الرباط، قصيدة غضب وصاحب سيرة «منتصبة القامة».. سميح القاسم (1939 – 2014) قاوم الصمت وسنوات الاحتلال الطوال، كتب السياسة ومارسها، ولم يهزمه –في النهاية– سوى المرض، وغادرنا الشهر الماضي، في أغسطس تعوّدنا فيه على توديع شعراء المقاومة (من مفدي زكرياء إلى محمود درويش). هو شاعر لا يُختصَر في قصائده، فحياته كلها كانت قصيدة ممتدّة في الزمن، لم تتوقّف فقط عند القضية الفلسطينية، رغم أنها القضية الأهم في تجربته، بل بلغت حدوداً أبعد، دفاعاً عن الإنسان، وعن العدالة الكونية.

رحل سميح القاسم في وقت كانت فيه غزة تجابه العدوان الإسرائيلي بالنار والحديد، مستحضرة كلماته: «كل شهيد غيمة.. تصعد من ترابنا».. من نكبة 1948 إلى العدوان الأخير على القطاع، جرح القسّام لم يندمل، وأحلامه تشتتت، لكنها ظلت تنبض حياة، لتستمر بعده، ويحملها خلفه.

توفّي سميح القاسم بعد تجربة مريرة مع سرطان الكبد، عاشها في السنوات الثلاثة الماضية، أغمض عينيه في مستشفى مدينة الصفد، لكنه لم يتخلَّ، في أصعب الأوقات، في المستشفى، عن عاداته الشعرية: التدخين، والتأمُّل، فقد كان الشعر حاسته السادسة، ينظر من ثقب القصيدة إلى الحياة، ولا يتخيَّل العالم سوى في شكل قصيدة.

بين السياسة والشعر، عاش صاحب «الموت الكبير» متمسِّكاً بقضيّته، كمثقِّف غرامشي، منخرط في قضايا وهموم المجتمع، في صدام مستمرّ معها، ظل متمسِّكاً بالعيش في الداخل الفلسطيني، منتشياً ببطولات البسطاء، ومقاومتهم تحدِّيات العيش اليومية. عرف السجن والاعتقال، ولميزده إصرار الاحتلال على إخماد صوته سوى رغبة في البوح عالياً، وفي فضح المستور، انخرط في الحزب الشيوعي، وعمل في الصحافة، في «الغد» و«الاتحاد» و«كل

العرب» وأسَّس دار نشر، وملأ عواصم عربية شعراً، وترجم إلى عديد اللغات، منها الفرنسية، والإنجليزية، والإيطالية، والألمانية، والتشيكية.

ومن فلسطين إلى مختلف أرجاء العالم، نقل سميح القاسم جزءاً من معاناة شعبه، وعايش معاناة شعوب أخرى، جاعلاً من نصِّه بيان غضب عالمي في وجه الاضطهاد، وكتب قصيدة عن أبي الاستقلال في الكونغو، المناضل باتريس لومومبا: «أيهذا النسر الذي راعه العيشُ بواد كابٍ.. ذليلٍ.. مقيّد/فتلوّى في بؤرة الوحل والشوك.. بشوقٍ إلى السنى متوقّد/و أضاءت أحلامُه برؤى موسى، وعيسى، وأمنيات محمد/وأضاءَ الحنينَ للذروة الشماءِ.. بين النجوم.. أعلى وأبعد/فنَزاه للعلاء.. ميناؤه الشمروخ، في قمة الإباء الموطّد/يا هتافا، لوقعه زُلزِلَ الكونغو الحزين المعذَّبُ المستعبَد».

هكذا –إذاً– غادر سميح القاسم عالمنا، مخلِّفاً إرثاً سيظل يردِّد عالياً، قصائد من ألبوم حياة عامرة بالمقاومات، ستبقى ملهمة، سيعيد الناس بعده فتح سجلّاته ودواوينه: «سقوط الأقنعة»، «أحبك كما يشتهي الموت»، «الجانب المعتم من التفاحة، الجانب المظلم من القلب»، «قرابين» و«لا أستأذن أحداً» وغيرها..سيظل سميح القاسم الحاضر – الغائب في المدوَّنة الشعرية العربية

.. قالوا عن آخر ثالوث شعراء المقاومة سميح القاسم.. سهيل كيوان: محبوب من أحرار العالم.. ناجي ظاهر: أعطى الكثير وترك وراءه الكثير..الفنانة الفلسطينية دلال أبو آمنة:

كان كبيرًا بتواضعه كما هو بشعره

كتبت : **ميرنا أبو نادي**

غيب الموت الشاعر الفلسطيني سميح القاسم بعد معاناة مع مرض السرطان. ويعد «القاسم» واحدًا من أبرز الشعراء الفلسطينيين إلى جانب الراحل محمود درويش.

كان «القاسم» هو الضلع الثالث في ثالوث «شعراء المقاومة» بفلسطين، بعد توفيق زيّاد، ومحمود درويش.

الكاتب الصحفي سهيل كيوان، دون بعض مقتطفات ذكرياته مع «القاسم»، وقال: «أذكر يوم زفافه من قريبته (نوال– فيما بعد أم محمد) في إحدى قاعات الأفراح في مدينة عكا، فقد حضر المئات من الشبان المتحمسين وأنا واحد منهم إلى فرح شاعرنا المحبوب بدون دعوات خاصة، الأمر الذي حوّل الفرح إلى تظاهرة وطنية، وخصوصًا أن الأغاني الوطنية وشعر القاسم بإلقائه هو نفسه تخللت السهرة».

وأضاف: «في العام 1998 بدأت العمل إلى جانب سميح القاسم في صحيفة (كل العرب) في الناصرة التي كان رئيساً لتحريرها، وكانت هذه تجربة جديدة في التعامل اليومي معه، الأمر الملفت أن لدى سميح الشاعر قدرة فائقة على إدارة العمل وتفعيل جميع الموظفين في المكتب، فكان يعطي كل ذي حق حقه، وكان انتقاده لتقصير زميل ما يتم بأسلوب محبب تغلبه الدعابة، ولا أذكر أنه أغضب موظفًا، وكل موظف ترك العمل لسبب أو لآخر احتفى به وخرَج كصديق، حتى أولئك الذين خرجوا لتأسيس صحفٍ جديدة، فقد بارك لهم وكتب مهنئًا بارك الله بالبيت الذي يخرج منه بيت جديد».

وتابع: «قبل مرضه بسنين كثيرة اختار شاعرنا الكبير المكان الذي سيدفن فيه، وذلك تحت زيتونة قديمة في أرض أجداده على سفح جبل حيدر، كان يؤكد وكانت تلك وصيته سأدفن تحت تلك الزيتونة التي التقيت في ظلها (في المنام) بالرسول العربي الكريم محمد(صلى الله عليه سلم)، وهناك صارحته بحال الأمة، وها هو يدفن بالأمس تحت ظلالها، فإلى الخلود ورحمة الله يا أبا محمد سميح بن محمد القاسم آل الحسين، يا صديق ومحبوب شعبك وكل أحرار العالم».

الكاتب الفلسطيني ناجي ظاهر كتب يقول: «رحم الله سميحا، فقد أعطى الكثير وترك وراءه الكثير، وقد أحسن رحمه الله بكتابته لسيرته الذاتية قبل رحيله بفترة وجيزة.. لتصدر في كتاب يمكِّن قارئه من معرفته أكثر. لقد عاش سميح القاسم حالته الشعرية حتى النخاع وأعطى الكثير، لهذا سيسجل اسمه بحروف من المحبة في أعلى قائمة شعرائنا الأماجد في هذه البلاد السخية المعطاء».

أما عن الفنانة الفلسطينية الشابه دلال أبو آمنة ، كتبت على صفحتها الشخصية بموقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك»، بعض الذكريات، ونشرت صورا جمعتها بالشاعر الراحل.

وقالت: «كان كبيرًا بتواضعه وطيبته تماما كما هو بشعره وفلسفته في الحياة».

وأضافت: «سميح القاسم الإنسان كان بعظمة سميح قاسم الشاعر وربما أكثر، كلي فخر أنني كنت يوما حرفا في صفحة أشعارك، ليرحمك الله ويسكنك فسيح جناته وسيبقى شعرك وروحك نبراسا يضيء دربنا نحو الحرية والعدل».

وفاة الشاعر الفلسطيني الكبير سميح القاسم

قنا /توفي الشاعر الفلسطيني الكبير سميح القاسم مساء اليوم بعد صراع مع مرض السرطان الذي ألم به منذ سنوات .

ويعد القاسم واحدا من أهم الشعراء العرب والفلسطينيين المعاصرين الذين ارتبط اسمهم بشعر الثورة والمقاومة من داخل أراضي 48 ، وهو مؤسس صحيفة "كل العرب" ورئيس تحريرها الفخري ، وعضو سابق في الحزب الشيوعي .

ولد القاسم في مدينة الزرقاء الأردنية في الحادي عشر من مايو عام 1939 لعائلة عربية فلسطينية من قرية

الرامة ، وتعلّم في مدارس الرامة والناصرة ، وعلّم في إحدى المدارس ، ثم انصرف بعدها إلى نشاطه السياسي في الحزب الشيوعي قبل أن يترك الحزب ليتفرغ لعمله الأدبي .

وقد سجن الشاعر الكبير أكثر من مرة ، كما وضع رهن الإقامة الجبرية والاعتقال المنزلي، وطرد من عمله مرات عدّة بسبب نشاطه الشعري والسياسي ، وقاوم التجنيد الذي فرضته إسرائيل على الطائفة الدرزية التي ينتمي اليها .

وترأس القاسم اتحاد الكتاب العرب والاتحاد العام للكتاب العرب الفلسطينيين في فلسطين منذ تأسيسهما ، وصدر له أكثر من 60 كتابا في الشعر والقصة والمسرح والمقالة والترجمة، وصدرت مجموعة أعماله في سبعة مجلدات، وترجم عدد كبير من قصائده إلى لغات عدة .

ومن أشهر دواوين الشاعر سميح القاسم : مواكب الشمس ، أغاني الدروب ، دمي على كفِّي ، دخان البراكين ، وسقوط الأقنعة .

الجزء الثالث

في لقاء مع الصحفي / علاء حليحل

قال سميح ما لم يقله من قبل.

علاء حليحل / لقاء صحفي مع سميح

سميح القاسم: أفنيتُ عمري في خدمة القصيدة، وقصيدتي أهمّ من الوطن!

لقاء صحفي مطوّل ومفصّل مع شاعر المقاومة سميح القاسم، في قريته الرامة التي يحبها ويعتز بها. سبع ساعات من الحديث ستقرأون غالبيتها الساحقة هنا، بصراحة وانفتاح ومن دون خوف من طرق أكثر المواضيع صعوبة: مرض السرطان، الموت، الحياة، محمود درويش، الشعر، الحب، النساء، المقاومة، المُتع الصغيرة والحتمية التاريخية في أن يكون الشاعر الكبير دون جوان...

سميح القاسم: أفنيتُ عمري في خدمة القصيدة، وقصيدتي أهمّ من الوطن!/ علاء حليحل

سبتمبر 19, 2012

يجلس الشّاعر سميح القاسم في غرفة مكتبه الصغيرة في بلدته الرامة الجليلية ونتحدّث عن الموت. لا يطلب القاسم من الموت إلا بعض الأمور: "لا أطلب سوى أن يمهلني كي أنهي بعض الأمور العالقة. أريد أن أزوّج ياسر (ابنه الصغير)، وأن أصدر عدة كتب أخرى أعمل عليها، ومن الممكن أن أكتب "شغلة" أخرى، ممكن ، وآملُ أن يكون الموت مُرتبًا. يعني أن تكون طاولتي وأوراقي مُرتبة.. أن تكون الكتب التي أرغب بطبعها في المطبعة، ألا أكون مدينًا، أن يكون أولادي مرتبين في أعمالهم وحياتهم. أن يكون بيتي مُرتبًا. وليأتِ الموت وأنا مُستحمٌّ ومُرتدٍ ملابسَ جميلة ومرتبة. أنا أحبّ الأناقة حتى في الموت. أحبّه أن يكون أنيقًا ونظيفًا وجميلاً ومُرتبًا."

كان هذا الحديث الصّادم في برودته وعقلانيته عن الموت آخرَ ما تحدّثنا عنه بعد ثلاث جلسات طوال استغرقها هذا اللقاء المُسهب. القاسم لا يحبّ المواربة أبدًا، يتحدّث بصراحة

ومباشرة عن كلّ شيء: عن الموت ومرض السّرطان الذي دهمه، عن الطائفة العربية الدرزية وعلاقتها بالمجتمع العربيّ ككلّ، عن السّنة التي أمضاها في الجيش الإسرائيلي مسجونًا ومُدرّسًا، عن حبه الكبير لرفيق دربه محمود درويش، وعن "الخيانة" التي شعر بها حين ترك الأخيرُ البلادَ عام 1970. تحرّجتُ في أكثر من مرة في جلساتنا الطوال من السّؤال عن مواضيع حساسة ربما، النساء مثلا، لكنه كما في كلّ مسألة طرحتُها وطرحها لم يتهرّب ولم يتلعثم. يقول بثقة كبيرة: "نعم، على الشاعر الجيّد أن يكون دون جوان.. هذا ما أقوله عني على الأقل"، ثم يضحك.

لهذا لم أتحرّج من افتتاح هذا الحوار بهذا المقطع عن الموت. هو مدخل صعب إلى السّهل المُمتنع الذي عاشه شاعر المقاومة طيلة حياته. خرجت من عند القاسم بحبّ جديد لشعر المقاومة وثقافتها، بعد أن ثرنا عليه أنا وجيلي المعاصر. وبين الرّفض السّابق والحبّ الجّديد، امتدّت تسع ساعات من الحديث والكلام، ستقرأون جُلّ ما دار فيها. هذه المادة حوارية، هدفها الأول والأخير الاستماع إلى أحد أبرز وأهمّ الشعراء العرب والفلسطينيين، ومحاولة فهم هذه المسيرة التي عاشها بالطول والعرض. بعد الاستماع إلى التسجيلات، لم أجد مكانًا للإسهاب في تجربته الشعرية كما كنتُ خططتُ في البداية. التجربة موثقة في كتب نقديّة كثيرة وهي مُتاحة للدارسين والمهتمين.

الخندق الأخير

ينبسط القاسم حين أناديه "يا رفيق". يقول: "كلمة يا رفيق لم تعد في الموضة، ولكن جيد أنك تستعملها. برافو عليك.. هي كلمة إنسانية، حتى الله اسمه الرفيق الأعلى." وبين رفيق ورفيق، ينزعج القاسم حين يعرف أنّ المجلة التي بين أيديكم صار اسمها "الكرمل الجديد". فهو يؤثر أن تظلّ على اسمها القديم، "الكرمل"، وأن يُكتب عليها اسم محمود درويش كمؤسس ورئيس تحرير أوّل. لكنّ هذا ليس مأخذه الوحيد على "الكرمل"، فله بعض منها على "الكرمل" القديمة أيضًا: "مجلة "الكرمل" كانت تصدر منفصلة عن الحركة الثقافية الفلسطينية.. كانت كأنها في

كوكب آخر. ومحمود (درويش) لم يكن متفرغاً لها، ومن كان ينوب عنه (سليم بركات) لم يكن ابن الميدان، ابن الهمّ الثقافي والشّعبي والجماهيري، مع أنه كان موهوبًا وحبّوبًا."

عن الثورات العربية: توجد محاولات لسرقة الثورات العربية والالتفاف عليها، ولكن استمرار النظام السوري غير وارد بالحسبان. لم يعد أيّ مبرر لبقائه في الحكم بعد آلاف الضحايا، رجال ونساء وأطفال. هل تتخيل الدبابات الإسرائيلية تضرب كرميئيل؟ هل يمكن تخيّل هذا؟

– كانت "الكرمل" بعيدة عنا قليلا..

سميح القاسم: "نعم، لم تكن مجلة الثقافة الفلسطينية. لا. كنت أتحدث مع محمود ويقول لي "أنا مسلمها لسليم وسليم يعمل عليها"... أتأمل أن تتطوّر الآن."

حين قلتُ للقاسم إنّ المجلة ستنشر موادّها على الويب مجّانا انزعج مرة أخرى، وقال إنّ هذا لا يجوز: "غلط. نحن في عالم رأسماليّ وحتى العمل الثقافي يجب أن يأخذ هذا بعين الاعتبار. التمويل (الأجنبي) ليس دائمًا ولا يمكنك أن تضمنه. ممنوع أن تتكل على التمويل. يجب على المجلة الثقافية أن تموّل نفسها بنفسها. أن تصدر العدد على نفقتها بالحدّ الأدنى. فمثلما يقول اليهود "المُموّل هو صاحب الرأي" وسيفرض رأيه، سواءً أحكى أم لم يحكِ. يجب أن تأخذ وجهة نظره بعين الاعتبار. إذا كانت فرنسا تمول مجلة ما فلا يمكنك أن تحكي شيئًا ضدّ فرنسا. وإذا موّلتها بريطانيا يجب أن تجامل بريطانيا... والمهادنة هي خيانة. لا مجاملة في الثقافة. كلمة خائن بالمفهوم الثقافي أخطر من كلمة خائن بالمفهوم السياسي. في الثقافة يجب أن تكون واضحًا وجريئًا وصريحًا بكل معنى الكلمة."

– الفعل الثقافي في يومنا فعل انتحاريّ من الناحية المادية.

س.ق. "لا، توجد بعض المبالغات... لا ليس فعلا انتحاريًا."

– "من الناحية المادية أقصد.. أنت مثلا عشت على معاش الحزب سنوات طويلة...

س.ق. "مرة اندلع نقاش بيني وبينهم واتهموني بأنني قوميّ عربيّ وأرستقراطيّ ومش عارف شو.. قال لهم توفيق زياد: سميح القاسم أعطى الحزب أكثر مما أعطى الحزب لسميح القاسم. والحزب يحتاجه أكثر ممّا يحتاج هو الحزب. أمّا الثقافة فتظل برأيي الخندق الأخير للجنس البشري كله. الاقتصاد اليوم ملوّث، السياسة ملوثة، الحرب ملوثة، الإيديولوجيات تلوثت، ما بقي برأيي للإنسانية كلها –ليس لنا فقط كعرب ومسلمين وشرقيين– هي الثقافة، الخندق الأخير. وإذا انهار هذا الخندق سنفقد معنى إنسانيتنا."

– وكيف ترى خندقنا اليوم؟

س.ق. أنا متفائل. لم أكن بطبيعتي مع اليأس يومًا، وتعرف؟ من يومين زارني شباب وقالوا لي: أنت ومحمود (درويش) صنعتم سقفًا وأنشأتم ظلا لا تنبت النباتات فيه. قلت لهم هذا كلام سخيف وكلام فارغ. فقبلنا كانت سقوف أيضًا، إبدأ من الشنفرى وامرئ القيس والمتنبي والمعري وحتى أيام إبراهيم طوقان وأبو سلمى ومعين بسيسو وفدوى طوقان وعبد الكريم الكرمي، كلهم سقوف ما شاء الله. يستطيع كلّ جيل أن يضيف. لا يوجد جيل محكوم بسقف غير قابل للاختراق. لا يوجد سقف غير قابل للاختراق في الثقافة في الإبداع.. هذا وهم. والإعلام لا يصنع شاعرًا والأحزاب لا تصنع أديبًا– من غير الممكن! كلّ أحزاب العالم لا يمكنها فعل ذلك. إذا كان النصّ الذي لديك غير مؤهّل لفرض نفسه فليس بإمكان الدولة أو الحزب أو الإعلام فرضه. في فترة ما أعتقد أنّ بعض الناس تضايقوا مني ومن محمود لأننا قطعنا شوطًا في العالم، لكننا لم نُغطِّ على أحد ولم نمنع أحدًا. ونحن لم نأخذ شوطنا لا من ياسر عرفات ولا من محمود عباس ولا من الحزب الشيوعي ولا من "الاتحاد". من يأخذ الشوط هو النصّ؛ النصّ هو الذي يقرّر إذا كنت ستظهر أم لا، إذا كان ظهورك مستمرًا أم غير مستمر.

– وهذا ربما جعلك في مرحلة ما ضحية للتشويه.

س.ق. "أنا ضد نظرية صراع الأجيال. لا يوجد صراع أجيال، يوجد تكامل أجيال. الصراع هنا أكذوبة ووهم واختلاق. أنا أفرح عندما أسمع قصيدة أو أقرأ نصًا لكاتب جديد وكأنه وُلد لي ولد.

أيّ وضع آخر سيُنتج عداوة.. ماذا؟ هل سنعادي المتنبي مثلا؟ "

العروبة والأممية

يستغلّ القاسم وجودي في اللقاءات عنده فيفرط في التدخين وشرب القهوة. أفرط أنا معه أيضًا، رغم أنني أحاول التقليل من الاثنين. لكنّ التدخين في هذه الحالة نوع من التواطؤ والتحدي ضدّ السياق الذي نجلس فيه. يبتسم وهو يقول: "أنا متفاجئ من أمر ما. منذ سنة أو أكثر كتبت مقالة ضد برامج الطبخ التي يبثونها على الفضائيات العربية. وكتبت بغضب. ما قصة هذا الشِّف رمزي والشِّف لا أدري مَن، والمطبخ الفرنسي والمطبخ الإيطالي.. نحن أمّة جائعة! بالكاد نحصل رغيف العيش والطعمية؛ فما معنى هذه البرامج؟ كانت تُجنّني، أتضايق. فهذا تزوير لحياتنا. ليست مشكلة الأمّة العربية الآن الطبخ، ليست هذه مشكلتنا. مشكلتنا رغيف الخبز. ضعوا برامجَ عن العمال العاطلين عن العمل، عن المثقفين، عن الأكاديميين العاطلين عن العمل. لكنني في المدّة الأخيرة، ومنذ بدء المرض، صرتُ أضطرّ للبقاء في البيت فترات

طويلة. ولكن مع تكرار نشرات الأخبار اكتشفتُ أنني صرتُ أتابع برامج الطبخ. يضحك. هذا شرّ البلية الذي يضحك.. انقلبت على نفسي.. بعد أن كتبت مقالة عنيفة وتوبيخية عن هذه البرامج."

في تشرين الثاني من العام المنصرم 2011، أصدر القاسم كتاب سيرة أسماه "إنها مجرّد منفضة". تحت العنوان الرئيسي كتب بشكل غير عاديّ وغير مُتبع: "لأبي محمد سميح بن محمد بن القاسم بن محمد بن الحسين بن محمد بن علي بن الحسين بن سعيد بن خير بن محمد بن سلمان بن الحسين بن علي بن خير بن محمد بن الحسين". ما يشبه شجرة عائلة لأجيال تتعاقب بنفس الأسماء، حاملة معها نواة الاستمرار والتعاقب، وسميح القاسم يحبّ هذه الشجرة. على الحائط قبالته، في غرفة المكتب الصغيرة، تجد خمس أو ست صور للآباء والأجداد وأجداد الأجداد.

لا يمكنك أن تظلّ محايدًا إزاء هذا الحبّ والارتباط بالوجوه والفروع والتاريخ العائلي–القوميّ. أفكّر في هذا الفخر وفي المساحة الكبيرة التي خصصها في سيرته كي يحكي عن عائلته، آل حسين، وأول ما يتبادر إلى ذهني التناقض الذي تعيشه الطائفة العربية الدرزية. أسأله، فيرفض:

س.ق. "الطائفة العربية الدرزية ليس فيها أيّ تناقض. عندما تجلس مع المُسنين والختيارية والمشايخ، يقولون لك إننا عرب ومسلمون وروحنا فلسطينية.. ولكن يا عمّي عندما جاء أهل هذه البلدة أو تلك وفعلوا بنا كذا، وسرقوا الأرض وسبّوا ديننا والنبي شعيب؛ وفي الدالية يقولون: جاءوا وأخذوا زوجة المختار وأعادوها بعد شهر... توجد قصص قديمة تراكمت. ثم جاء اليهود الأوروبيون وقالوا: لن يقترب أحد من دينكم وأرضكم وعرضكم ومن هذا الكلام، وسنحميكم. عندها أحسّوا بالفرق في المعاملة. توجد رواسب قديمة، نعم. السّؤال هو: هل على جيلنا وجيلكم والجيل الذي بعدكم أن نستسلم لهذه الرواسب ونحكّمها بحياتنا أو نتحدّاها ونقاومها؟ أنا مع عدم الاستسلام للرّواسب. خذ ساجور مثلا، هنا، في فترة من الفترات تحوّلت القرية إلى معسكر جيش، جميعهم ذهبوا إلى الجيش. تسألهم لماذا؟ بماذا نفعكم الجيش؟ يقولون لك: جيراننا

يسبوننا ويسرقوننا ويبهدلوننا. جاء اليهود وشغّلونا وصرنا نملك النقود واشترينا السيارات... هذا طبيعي في مجتمع بسيط مثل المجتمع العربي بشكل عام."

عندما يتحدث عن الأمة العربية لا يستطيع القاسم أن يتوقف أو يهدأ. من ساجور قفزنا رأسًا إلى السودان، فعنده المكانان واحد: "اليوم لدينا 60% من الأمّية في مصر والسودان. "أمة إقرأ لا تقرأ"- هذا شعار أنا أول من رفعه بالمناسبة وصار الكل يردّده. هناك من استوعب هذا الشيء وتحدوا هذا الماضي المعتم وهناك ظلوا يتخبطون في هذا الجوّ. وأنا اعتقدت منذ بداية حياتي، وبفضل أجدادي وآبائي الذين ربوني، أنّ هذا خطأ. هذا تشويه للتاريخ ونحن كشعب كنا عرضة لمؤامرات، مرة من الأتراك ومرة من الإنجليز ومرة من الصهاينة، ومرة من الفرنسيين. نحن تعرضنا لمؤامرة تاريخية، يجب أن نواجهها ونقاومها ونسعى لخلق إنسان عربي جديد يعتزّ بكلّ انتماءاته ولا يُؤثر طائفته على طوائف أخرى لمجرد أنها طائفته.. أنا أفضل بوذيًا جيدًا على 500 درزيّ سيّئ. لذلك أقول إنه لا يوجد تناقض (لدى الطائفة العربية الدرزية). العدوّ الخارجي دائمًا يجرّب خلق التناقض. السؤال يظل حول مناعتنا نحن كشعب وكأفراد ودورنا كمثقفين."

- لديّ فرضية بأنّ أحد الأمور التي أبعدت أبناء الطائفة العربية الدرزية عن المجتمع العربي، وبقسط كبير، بذنب من المجتمع العربي نفسه. لأننا نحن هجرنا ولم نحتضن أبناء الطائفة. كان هناك تجنيد إجباري ومُلزم، وكان علينا رغم ذلك أن نحتضن العرب الدروز ونقول لهم لديكم حضن دافئ وانتماء، ولكننا قمنا برد فعل عكسي كبير وهجمة عاتية مما زاد من عملية الإبعاد والابتعاد.

س.ق. "هناك ما يُسمى عند الحشرات مجسّات خاصّة قد لا تراها، وأنا بمجسّاتي الخاصة أحزن عندما يبدأ حوار إعلاميّ بسؤال من هذا النوع. أشعر بالحزن، لأنّ الوضع عند الأمم الطبيعية يختلف: لا يبدأون من هنا بل يصلون إليها في النهاية. نحن عندنا نبدأ بهذا ولا لوم؛ فالواقع بما يحدث في العراق، عراق الجواهري وعراق الرصافي، من سنة وشيعة ومذابح

ومسيحيين وآشوريين، واهدم كنيسة وأحرق كنيسة.. وما يحدث في سوريا اليوم، سنّيّ وعلويّ، هذا لم يكن واردا في البال بالمرة. لذلك فإنّ هذه الحساسية للأسئلة هي نتاج واقع. لا أنتَ اخترعتَه ولا أنا اخترعته. وأنا عندي قناعة بأنّ الانتماءات غير المنظمة، غير المرتبة وغير المدركة عقليًا سلفًا تخلق المشاكل. يعني: يمكنك أن تطلب من شاب ما أن يعرّف نفسه فيقول لك: أنا درزيّ. وآخر يقول لك: أنا سني أولا، أنا مسيحي أولا، أنا كاثوليكي أولا، هذا النظام غير عقلاني وغير منضبط للانتماءات. الإنسان ينتمي إلى أكثر من حلقة، وأكثر من دائرة. والمفروض أن يكون شيء من الانسجام بين كل الانتماءات. من دون عنجهية وشوفينيات وعصبيات. يعجبني كثيرًا حديث الرسول: "ليس منا من دعا إلى عصبية". أنظر كم جميل هذا الحديث وكم بسيط ومباشر. فالانتماء حلقات، سلسلة، وبسبب ظروفنا وتربيتي، فإنّ الحلقة الأولى عندي هي العروبة. وبسبب تعرّض الأمة العربية لاضطهاد مستمرّ منذ أواخر القرن الرابع عشر، فقدت الأمة العربية هيمنتها على قدرها وعلى مكانها بين الشّعوب. هذه الأمة أضاءت العالم 800 سنة، لم يكن في العالم حينها سوى الثقافة العربية والإسلامية– العربية أولا."

عن الأدب والسقوف: *لا يوجد سقف غير قابل للاختراق في الثقافة في الإبداع.. هذا وهم. والإعلام لا يصنع شاعرًا والأحزاب لا تصنع أديبًا*

– وفي هذه الـ 800 سنة كان للأقليات دور مركزيّ.

س.ق. "طبعًا! لم تكن هذه الحساسيات قائمة. كان طبيب الخليفة يهوديًا ووزير ماليته مسيحيًا، كاتبه الأول بوذيّ.. ولكنّ هذا انتهى منذ نهايات القرن الرابع عشر، وسأسمّيها منذ مأساة ابن رشد؛ فمأساتنا بدأت بالتنكّر لابن رشد، ووقوعنا في أسر نظريات تبدو دينية لكنها قومية. فتجد من يدافع عن الإمبراطورية العثمانية التي حكمتنا بأنها خلافة إسلامية. لا. أدرسها في العمق وستجد أنها إمبراطورية تركية استغلت الدّين حتى تفرض هيمنتها على الأمة العربية. الأتراك أقلّ حضارة وتاريخًا من العرب، فكيف سيطروا علينا؟ باسم الدين. وهذا ما أخشى أنه يتكرّر

الآن. الفُرس لديهم مشروع قوميّ فارسيّ ويعتبرون العراق والخليج كله جزءًا من فارس. يوجد مشروع فارسيّ (قوميّ)، وأنا قد أكون الوحيد من بلادنا الذي ذهب إلى إيران بدعوة رسمية وبجواز سفر إسرائيليّ. أكيد الوحيد، لم يذهب أحد غيري. لا قبلي ولا بعدي."

- تقصد بعد الثورة الخمينيّة.

س.ق. "بعد الثورة. كان خاتمي وزير الثقافة وقتها ودعاني وذهبتُ. وكان أمرًا مدهشًا حقًا وجودي في إيران، وردود فعل الطلاب والجامعات، كان عرسًا. لكنني أحسست بلقاءاتي مع المثقفين الكبار أنّ المشروع هنا ليس دينيًا. إيران لا تريد أن تُشيّع العرب (تجعلهم شيعة). إيران لا تستطيع تشييع 340 مليونَ سنيّ، هذا جنون. فالمشروع هو تجديد الإمبراطورية الفارسية، مشروع قوميّ. وأنا أقولها دائمًا: بعد أن استعبدنا الأتراك قرابة 500 سنة باسم الخلافة، قد يأتي الفُرس لاستعبادنا 500 سنة أخرى باسم الخلافة... ولكنني قلتها مرة: أتريدون خلافة؟.. أنا موافق ولكن أنا سأكون الخليفة. حدث هذا في لقاء صحفيّ مع "الشرق الأوسط" على ما أذكر، فسألوني: وإذا لم تكن أنت الخليفة، فقلتُ: جورج حبش... كان الحكيم لا يزال على قيد الحياة.

"نحن نريد استرداد كياننا القوميّ. ما حدث معنا حرام، غير منطقيّ بالمرة. صرنا مَلطّة لكلِّ شعوب الأرض. لماذا؟ هذه السقوط في تاريخنا غير مبرّر."

- هناك من قال مرة إذا أردت أن تتعرف على حضارة شعب ما فانظر كيف يعامل الأقليات.

س.ق. "في التاريخ، جميع الإمبراطوريات زالت إلا إمبراطورية واحدة هي الإمبراطورية العربية. سأشرح لك. الإمبراطورية الفارسية عادت إلى إيران. الإغريق اجتاحوا العالم وعادوا إلى جزرهم، حتى إسكندر المقدوني، أنظر إلى ماسيدونيا، دويلة صغيرة.. الإمبراطورية الرومانية عادت إلى الجزمة الإيطالية. الإمبراطورية البريطانية عادت للتنافس على صيد السمك مع الإيرلنديين. كل الإمبراطوريات زالت إلا العربية، وأنا مُصر على تسميتها بالإمبراطورية. فنحن خرجنا من شبه جزيرة العرب قبائلَ، لا أعرف إذا كنا جميعنا نرتدي "الصّنادل" أم لا. صحيح أننا خرجنا حفاة

عراة كما يدّعي الفرس، لكننا خرجنا مع كتاب على الرمح. كتاب عظيم اسمه القرآن. لم نخرج بالسّيوف والسّهام. خرجنا بدين جديد. بفلسفة وفكر جديدين خلقا عالمًا جديدًا. دعك ممّا يقوله من يُسمَّوْن علماء وفقهاء وغيرهم، هؤلاء يسيئون للإسلام إساءة فادحة يومية. لا أتكلم عن هؤلاء. أنا أتحدث عن جوهر الرسالة المحمدية؛ هذه رسالة عظيمة.

"كل الإمبراطوريات تراجعت إلا العرب: خرجنا من شبه الجزيرة بدشداشة ومِثلّة (قطعة قماش يربط الإعرابي رأسه بها)، وانظر: العراق، بلاد الشام، مصر، المغرب، الصومال، السودان، حتى بلدان لا تتكلم العربية اليوم لكنها داخلة في الجامعة العربية. هذه ظاهرة وحيدة من نوعها في التاريخ. لماذا صمدنا؟ لماذا عرّبنا العراق وبلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا، مع أننا كنا قبائل قليلة عددًا؟ بماذا؟ بالحسّ الإنساني المناقض للتعصّب والشوفينية والعنصرية.

"والآن سأشرح لماذا: جئنا إلى بلاد ما بين النهرين وتزاوجنا معهم وعشنا معهم، علمناهم لغتنا وعلمونا لغتهم. وكذا إلى بلاد الشام، حتى السّودان. السّودان بلد أفارقة، لم نترفّع عليهم ولم نتكبّر. لم تكن عنصرية في ثقافتنا العربية والإسلامية. خذ هذه الآية من القرآن: "ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة" . إذًا التعددية مشيئة إلهية بالمفهوم الديني. "وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم" . لم يقل: أكرمكم عند الله العربي أو الإنجليزي أو الشيعي أو الدرزي. أتقاكم هو الأكرم. والأحاديث النبوية كذلك. حتى في مجال الإبداع والتفكير والاجتهاد: هؤلاء البهائم –عدم المؤاخذة– الذين يقولون إنّ باب الاجتهاد أُغلق، كيف تغلقون بابًا فتحه الرسول؟ بأيّ صلاحية؟ بأيّ حق؟ هذا اعتداء على الرّسول. أنظر ما أعظم حديث الرسول في مسألة الاجتهاد: "من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله أجر." له أجر حتى لو أخطأ لأنه فكر وشغّل دماغه."

القاسم ومحمود درويش. صداقة استثنائية

س.ق. "بالضبط! النبي محمد ليس صاحبَ رسالة دينية فقط. لقد بنى رسالته الدينية على رسالة قومية. هو مؤسّس القومية العربية. عُد إلى التاريخ: هو الذي جمع القبائل العربية وبلور لغة قريش. أنا لا أريد أن أغضب أحدًا، فلا جدل في الإيمان والعقيدة ومن يؤمن بتنزيل القرآن. ولكنني شخصيًا لا يرضيني تجريد محمد من دوره. محمد ليس بوسطجي! محمد قائد عبقري ومفكر ومثقف وأنه أمّيّ لا تعني أنه لا يقرأ ولا يكتب، بل كان يعرف عدة لغات. وإلا فكيف سيقود تجارة من أكبر التجارات في العالم؟ فالنسبة في العربية للمفرد، ولذلك فإنّ كلمة "أمي" تعود إلى الأمم وليس عدم القراءة والكتابة. أصلا، عند نزول القرآن لم يكن تعبير الأمية يعني عدم القراءة والكتابة. هذا تعبير حديث."

– الصادق النيهوم كتب عن هذا الأمر مقالة مفصلة حول أصول الكلمة وما عنته وقتها، كما تقول.. وفي كتاب السيرة الذي كتبته أيضًا إعجاب شديد بشخصية محمد. أنت لا تفصل في هذه النظرة بين السماويّ والترابيّ، أي الحاجة لإدارة حياة مادية على الأرض. والشقّ الثاني من السؤال أنتَ وشخصيتك: الترابية والروحانية. أنت شاعر، كان يمكنك أن تنعزل في صومعة ولا تترشح لعضوية المجلس البلدي مثلا كما فعلت في الرامة، وألا تنخرط في شؤون

الحياة. يعني أن تقول: أنا شاعر، أشرب النبيذ وأكتب القصيدة. هل هناك علاقة بين الأمرين؟

س.ق. "قطعًا توجد علاقة. في تكوينه الثقافي والسّيكولوجيّ، يتوصل الإنسان إلى رؤية وموقف. وحكاية الفصل بين الثقافة والحياة أنا أعتبرها هوسًا ومضيعة وقت. هذا هراء بصراحة. لا يوجد إبداع خارج الحياة. من الممكن أن يروي أحدٌ ما كوابيسه على كرسيّ الطبيب النفسانيّ ويمكن أن تكون جميلة، لكن هذا ليس فنا– هذه كوابيس. لا تحمل دورًا فيها للفنان. يعني أنه ليس هو الذي أبدعها."

– أي أنك ضد رومانسية "الفن من أجل الفن"؟

س.ق. "هذا كلام فارغ– لا يوجد فن من أجل الفن. وأصلا أنا ضدّ مقولة "الفن من أجل الحياة". أنا أرفض هاتين المقولتين. الفن هو نتاج فرديّ، نتاج مبدع في الشعر والموسيقى والأدب والرسم والرقص– كل شيء محوره الفرد، هو الأساس والمركز، لكن هذا الفرد يتفاوت من إنسان لآخر. هناك فرد انعزاليّ يفضّل الجلوس في نادٍ ليليّ ويشرب كأسًا من النبيذ ويكتب قصيدة غيبية ويشعر بالسّعادة. هو حرّ، لا شيء لي ضدّه ولم أقلْ في أيّ مرة إنّ هذا مسموح وهذا ممنوع. كل إنسان يكتب ما يشاء. لكن في النهاية أراحني بيكاسو وسلفادور دالي. لقد أراحاني جدًا. فمرة سألت نفسي: إذا قالوا لي أمامك لوحتان: لوحة "غيرنكا" لبيكاسو ولوحة "السّاعة" من رسم دالي، وعليك أن تختار واحدة فقط. الاثنتان تحويان عملا إبداعيًا عاليًا جدًا. بيكاسو ودالي فنانان عظيمان. والاثنان قدّما عملا فنيا استثنائيًا، ولكنني أختار في النهاية غيرنكا. لماذا؟ لأنّ فيها المتعة الفنية وفيها العمق الإنسانيّ: صرخة ضدّ الحرب. تجد لدى دالي متعة فنية وله لوحات جميلة جدًا وأحبّ أعماله كثيرًا، لكنّ بيكاسو هو خياري."

الحداثة والاستحداث

– سأعود إلى الفرد وسأسأل في سياقه عن حبك وهيامك بآل حسين، عائلتك، كما كتبت في سيرتك. كيف ينشأ فرد مستقل مفكر ومغاير في ضمن هذا الجوّ العاطفي الذي يحوي حبًا عائليًا كبيرًا ربما لدرجة الاختناق؟ كيف خرجتَ من المجموع؟

س.ق. "هذا الإطار يبلور الطفل. أنتم مثلا، عائلة حليحل عائلة كبيرة لكن كلّ فرد منهم له شخصيّته الخاصّة. لستم لَبنات أو مصنوعين بماكينة. خذ مثلا الشّنفرى، صديقي الذي أحترمه وأحبه جدًا جدًا، صار معاديًا لقبيلته لأنهم اضطهدوه. فالبيئة كانت معادية. أنا على عكسه؛ البيئة والعائلة احتضنتاني، لكنهما لم تفرضا عليّ شروطًا. مثلا، في الرامة مجلس محلي وتوجد انتخابات ودار حسين، عائلتي التي تتحدّث عنها، موجودون كممثلين في المجلس المحلي منذ تأسيسه. ولكن عند تأسيس قائمة الحزب الشيوعي وغير الحزبيين، وأنا كنت من أولئك غير الحزبيين، دخلتُ في هذه القائمة ضد القائمة العائلية لبيت حسين. لم أنجح في المرة الأولى لكنني نجحت في المرة الثانية. أي أنني لم أسلم أمري لهم. في البداية غضبوا مني، ولكن لاحقًا احترموا الموقف لدرجة أنهم قبلوا بحلّ القائمة العائلية والاندماج في قائمة الجبهة. يجب على الإنسان أن يعتزّ بانتمائه القوميّ والقبليّ والعائليّ والأسريّ، أن يحبّ حارته التي يسكن فيها ويدافع عنها ويحميها، ليس من منطلق التناقض، بل التكامل. خذ مثلا هؤلاء المشايخ في العائلة (يشير إلى حائط الغرفة في بيته المليء بصورهم)، تاريخهم محترم وأعتزّ بهم، منهم الإمام والمختار وغير ذلك، ولكنني لا أريد أن أكون إمامًا أو مختارًا. ولو أنّ لأحدهم تاريخًا سيئًا لما علقت صورته هنا، كنت رميتها، حتى لو كان جدي أو أبا جدي. وجدّ جدّي كان من فرسان صلاح الدين الأيوبي وقاتل في حطين وغيرها– لذلك أنا أحبّه. أعتزّ بدوره. لو كان مؤسّس العائلة مرابيًا لرفضته ورفضت الانتماء إليه قطعًا."

عن الطائفة الدرزية: *الطائفة العربية الدرزية ليس فيها أيّ تناقض. عندما تجلس مع المُسنين والختيارية والمشايخ، يقولون لك إننا عرب ومسلمون وروحنا فلسطينية..*

– في مقابل هذا يقولون إنّ أيّ مبدع في زمننا المعاصر عليه أن يقتل أباه بشكل رمزيّ، أن يكون متفرّدًا وخاصًا. هل مررتَ بهذا الشيء؟ هل كان هذا القتل شرطًا من شروط إبداعك؟

س.ق. "اِسمح لي، ولكنها نظرية خاطئة جدًا. خاطئة جدًا جدًا. ليس المطلوب أن تقتل أباك، وإنما المطلوب أن تتجاوز أباك. هو قدّم ما عنده وما استطاع إبداعه. في الشعر من آباؤنا؟ امرئ القيس، عروة بن الورد، الشنفرى، تأبط شرًا، المتنبي، المعري، ابن الرّومي، البحتري.. هؤلاء آباؤنا. أنا أفهم ما يعنونه بهذه المقولة، أن تقتل أباك يعني تدمير ما سبق، بحسب نظرية أخي وصديقي أدونيس. هذه نظرية تحوي قليلا من الوَلدنة والصّبيانية. فيها نَكْرَجة. يقولون لك: دمّر ما سبق وابدأ شيئًا جديدًا. ليس هناك شيء جديد (سينمو) على شيء مدمّر بالكامل. الجديد ينشأ على القديم. جديد بالنسبة لماذا؟ عندما تقول إنّ هذا أدب حديث فبالنسبة لماذا؟.."

– أنا سأقول لك أمرًا في هذا السّياق: أنت شاعر المقاومة بأل التعريف. لا توجد نماذج شعر مقاومة كلاسيكية في تاريخنا، أنت ومن معك اجترحتم شيئًا جديدًا. أي أنّ المتنبي والمعري لم يكونا عونًا لك في شعر المقاومة.

س.ق. "هذا بالضبط ما حاولت أن أقوله. الاستمرارية، التحديث والتجديد قياسًا لما سبق. إذا لم أضُفْ إلى المعري والمتنبي وشوقي ولم آتِ بشيء جديد– فما هو مبرّر وجودي؟ في هذا أنا دائمًا أناقش قضية الحداثة والاستحداث. أنا أزعم أنّ هناك خلطًا في الثقافة العربية بين مفهوم الحداثة وبين مفهوم الاستحداث. الحداثة أن تتجاوز من سبقك، أن تأتي بما لم يستطعه الأوائل: "وإني وإن كنت الأخير زمانه/ لآتِ بما لم يستطعه الأوائل" . من غير المفروض أن تأتي بما استطاعه الأوائل. دورك أن تأتي بما لم يقله الأوائل. أنت من عصر آخر، الحداثة هي أن تضيف للتراث، لا أن ترفض وتنسف وتهدم التراث. أضفْ إلى هذا التراث العظيم الجميل. أنا أحكي دائمًا أنّ امرئ القيس يملك صورًا شعرية قد تنجح الكاميرا بعد خمسين سنة من الآن أن تصلها. وعند المتنبي أيضًا: "مِكرّ مفرّ مُقبل مُدبر معًا". هذه الصورة التي قالها الرجل من ألفي عام تقريبًا، تخيّلها؛ السينما وحدها قادرة على ضبط مثل هذه الصورة. هو مكر ومفر

ومقبل ومدبر معًا في نفس الوقت وفي نفس اللحظة. الحداثة أن تضيف وتستفيد ممّا حولك ومن التراث وإبداع الشعوب الأخرى، لكن عليك أن تضيف. إذا نسختَ فلا فضل لك. الاستحداث يعني شراء أمير من السّعودية لطائرة هليكوبتر للسفر فيها. لقد استحدث وسيلة سفر. لكنه لو اخترع فيها برغيًا واحدًا فقط فستصبح عندها حداثة. عندها نكون حدّثنا، أضفنا. ولكن الاستحداث يعني أن تستهلك الإبداع والحداثة من دون أن تضيف إليه، مع أنه ضروريّ وأنا لست ضدّه."

– وهذا قد يفسر حبك لمباني وبحور الشعر الكلاسيكية حتى اليوم، فيما تركها تقريبًا جميع شعراء اليوم.

س.ق. "طبعاً، طبعاً. وهم تركوا الشعر الكلاسيكي ليس لأنهم يريدون تركه بل لأنهم لم يستوعبوه. أقولها بصراحة. لم يكتشفوا عبقرية الأوزان العربية. العرب فقط من يملكون هذه الثروة من الإيقاعات. هذه ثروة موسيقية هائلة. صاروا يقولون إنها قيود. كيف تقولون قيودًا؟ هي قيد لمن لا يعرفها. ولكنها أجنحة حرية إذا أنت استوعبت الأوزان وصارت جزءًا من تكوينك الداخليّ، من إيقاعك الداخليّ، من نفسك، فهذه أجنحة حرية ستأخذك إلى أماكن لا تتخيّلها. ولكن حتى في الأوزان الكلاسيكية خطر ببالي مرة أن أضيف شيئًا فأضفتُ. ففي الكلاسيكيات ثمة صدر وعجز في البيت الشعريّ. وأعتقد أنني ربما في رثاء حافظ الأسد طلع معي صَدران للبيت فأبقيتهما، ثم جاء عجزان فأبقيتهما. وتكرّرت معي أكثر من مرة. هذه أصبحت إضافة شخصية للكلاسيك. الأوزان الكلاسيكية بحدّ ذاتها تحوي ثروة، وخسارة خسارة وجود نوع من التغريب في تعليم اللغة العربية. ثمة غزو فكريّ وثقافي عند العرب، حتى أنهم لا يتعلمون العروض في المدارس. كيف سيستوعب الطالب المتنبي إذاً عندما يكبر؟ والمعريِّ؟

– دعني أعود بك إلى السّيرة. عندما قرأتُ الكتاب كنت طيلة الوقت أفكّر كم كنتَ أحيا ناً براغماتيًا وكم كنت متصلبًا بلا هوادة مرات أخرى. مثلا تجربتك مع السّجن الإسرائيلي وقضية الخدمة العسكرية الإلزامية. هناك أبديتَ براغماتية كبيرة جدًا. وبعدها تركت أماكن عمل لم تُبدِ

حينها أيّ براغماتية. كيف تستوي هذه التناقضات في مسيرة حياتك وكأنك مكر مفر مقبل مدبر معًا؟

س.ق. "لكلّ حادثة منطق. أنا تبيّن لي منذ البداية في قضية التجنيد الإجباري أنها قضية سياسية. وعندي مكاتبات بيني وبين الكلب بن غوريون. أحسستُ بأنها قضية سياسية وأنا شاب صغير عمري 18 سنة. فبن غوريون قال عام 1954 إننا سنجند كل العرب. وذهب آلاف الشبان العرب إلى مكاتب التجنيد. لكن الأشخاص الذين من حول بن غوريون خافوا أن يتحوّل العرب بأنفسهم إلى جيش. وعندها قرّروا عدم تجنيد كلّ العرب وضرب عصفوريْن بحجر واحد: تجنيد الطوائف الصغيرة، الدروز والشركس والكاثوليك والبدو. هذه قضية سياسية معروفة سلفًا والهدف منها تمزيق شعبي. وفي ظلّ هذه السّياسة الخطيرة جدًا أحسستُ بمسؤولية كبيرة جدًا أمام هؤلاء الشبان الدّروز الذين كانت غالبيتهم لا يعرفون القراءة ولا الكتابة. وتمسّك فيّ هؤلاء الشبان في المعتقل العسكري وكأنني جئت إليهم للخلاص. أحسست بمسؤولية. عندها بدأت قيادة المعتقل بالترويج ضدّي: هذا من عائلة معروفة وراقية ومتعلمة، عائلة أرستقراطيين يحتقرونكم، لا يريد أن يكون مثلكم أو معكم. ثم يأتي الشباب من يركا ودالية الكرمل وعسفيا وبيت جن، ولا يخاطبونني إلا بكلمة أستاذ، ويسألونني: أستاذ صحيح أنك من عائلة متعلمة وتتكبّر علينا؟ ماذا كان ردّي؟.. "فشروا كلاب"! أنا واحد منكم. غدًا يوجد تدريب وأنا قادم إليكم إلى التدريب.

"إذًا، نعم، سأكون براغماتيًا. هذه قضية سياسية ولم أبحث عن البطولة فيها أبدًا. البطولة لم تشغل ذهني في حياتي أبدًا لا في الحياة ولا الشعر ولا السياسة."

– ولكنك تعي أنّ هذا الموقف فتح عليك بابًا من التساؤلات بشأن الخدمة العسكرية، والمزايدات أيضًا.

س.ق. "طبعًا، طبًعا. لا يهمّني. هذه أشياء صغيرة لا وزن لها."

عن خروج درويش من البلد: *خلافي معه معروف، ليس سرًا. فنحن اختلفنا بشكل جديّ. وفي "الرسائل" كتب "أنا نادم على خروجي". نظرية أنك إذا خرجت إلى الخارج فإنك ستتطوّر هي "حكي فاضي"*

– في مجالس معينة وفي أوساط معينة يأتي ذكر سميح القاسم والخدمة العسكرية في سياق غير إيجابيّ بالمرة.

س.ق. "أوكي. لكنّ الردّ واضح. من هذه التجربة نشأت منظمة الشبان الدروز الأحرار. ونشأت لجنة المبادرة وصاروا اليوم يحاكمون شيوخًا (دروزًا) يسافرون إلى سوريا. هذا كله وكلّ التيار الوطني الذي نشأ لاحقًا، لم يكن ليكون، لولا الأسس التي وضعناها. فالمردود في النهاية يبرّر كلّ البراغماتية. والذين كانوا متضايقين أكثر هم القيادات الرّجعية الذين كانوا يطالبون بإخراجي من المعتقل العسكريّ. كانوا يأتون إلى فرقة الأقليات ويقولون إنه "يخرّب الأولاد"، أطردوه!.. كنت تقريبًا سنة كاملة في المعتقل." (في كتاب السّيرة تفاصيل ومعلومات وقصص حول هذه التجربة وما سبقها وما جاء بعدها، لمن يرغب بالاستزادة.)

القاسم يغضب عندما يتحدث عن محاولات إخراج الشعر العربي المعاصر من سياقه التاريخي والتراثي واللغوي: "لوي أراغون، أهم شعراء فرنسا، كان يُجنّ ويقول لي لا أريد من أحد أن يشبهني. أريد أن تشبهوا أنفسكم. كبار الشعراء الأوروبيين كانوا يتضايقون من الشاعر العربي الذي يأتي كي يشبههم. كان هؤلاء يترجمون شعرهم للعربية على أنه حداثة وإبداع. وكي لا يُساء فهمي فأنا مع الترجمة وأنا أعرف الشعر الفرنسي والأمريكي والبريطاني والصيني والياباني أكثر من جميع من يدّعون الحداثة. أنا درست هذا الشعر. لكنني لا أريد أن أكون ت.س. إليوت الثاني. لماذا؟ القصيدة العربية سيدة القصائد كلها عبر التاريخ كله. كيف أتنكر لأصلي وتراثي وتاريخي."

– هذا يفسر لي شيئًا ما. أنت أول شعراء المقاومة، وحتى الآن، وبعد تعاقب الأجيال، بقيت شاعر المقاومة الأخير. هناك من يقول إنّ شعر المقاومة انتهت موضته...

س.ق. "أولا شعر المقاومة ليس موضة كي تنتهي. من يعتبره موضة فهو لا يستوعب ما معنى وجوهر هذا الأدب والشعر. من لا يعرف يقول موضة. هذه قضية تنفس، عملية حياة، نبض... بعد أوسلو بدأوا يناقشونني قائلين: ها هو السلام الآن حلّ. كنت أجيب: لا تكونوا سطحيين. هل زال الاحتلال؟ هل القدس هي عاصمتنا؟ هل تحرّر لواء إسكندرون؟ هل مشكلتي تنحصر في فلسطين فقط؟ لواء إسكندرون هو أرضي الشخصية. والأحواز؟ 8 ملايين عربي تحت الحكم الفارسي– أليست هذه أرضي ووطني؟ هل تحرروا؟ سبتة ومليلية في شمال المغرب. في آخر زيارة للمغرب أخذوني هناك. انهرتُ. إنفجرت بالبكاء. قلت لهم لا أريد أن أذهب. كان الوضع هناك مثل حواجز غزة وحاجز قلنديا. وإقليم أوغادين، أرض عربية احتلتها أثيوبيا، هل تحرّر؟ هل انتهت "سايكس بيكو"؟ هل لدينا دولة عربية محترمة علمانية متنورة حضارية تعددية؟"

– أنت الآن تتحدث كأممي وليس كعروبيّ؟

س.ق. "أنا أرفض افتعال التناقض بين العروبة والأممية. أصلا العروبة في جوهرها أممية. سأحكي لك لماذا العربي بتكوينه الأصلي هو إنسان أممي. هذه وجهة نظري. أنظر: صحراء شاسعة وعلى كل كثيب عدد من بيوت الشعر. مساحات شاسعة. أنظر إلى الشعر العربي، هناك الكثير منه يخاطب أم عامر، وقضاعة والسّيد، والذئب، ويخاطب الحيوانات والأفاعي. لماذا يخاطب الشعر العربي الأفاعي والحيوانات؟ عندما يقول الشنفرى: "لا تدفنوا جثتي عند موتي دعوا أم عامر تأكلني" ، فإنه يريد إطعام الضبع! توجد أمور تبدو بسيطة لكنها غاية في العمق والعظمة. هذا البدويّ الذي يعيش في بيت الشعر يستأنس بالسِّيد، بأمّ عامر، بأيّ كائن حيّ. وعندما يأتيه ضيف يهلّل ويفرح وينبسط. ليس مهمًا إذا كان الضيف أبيضَ أو أسودَ أو أسمرَ، ما يهم أنّ إنسانًا قدم إليه ليؤنسه. يُعطيه شكلا من أشكال الحياة الاجتماعية. إذًا العربي البدويّ في الصحراء، كان من بداياته وفي تكوينه الفطريّ يحبّ الضيف. والكرم العربي له تفسيره، فهو ليس قضية جينات وراثية؛ الكرم العربي يأتي من حاجة العربيّ لمن يؤنسه. من

يفكر مثلا بأنّ العربي لم يسأل ضيفه عن هويته قبل مرور ثلاثة أيام؟ كي يكسب صحبته ورفقته لثلاثة أيام."

– وهذا برأيك جعل العربي نهمًا للحياة الاجتماعية؟

س.ق. "طبعًا! ذهبوا إلى السّودان فتزاوجوا مع السّود الأفارقة؛ ذهبوا إلى الأمازيغ فتزاوجوا معهم. لم تكن هناك مشكلة. بريطانيا ذهبت إلى الهند سنينا طويلة وظلوا يرفضون مجالسة الهنديّ إلا لمصلحة الإمبراطورية. لم يحصل بينهم تزاوج، كما لم يحصل تزاوج بين الفرنسيين والسّوريين ولا بين الألمان والإيطاليين وشمال أفريقيا. الأوروبيون اقترفوا المذابح في الأماكن التي وصلوها ونحن صنعنا الأعراس، وتزاوجنا مع الشعوب والتقينا معها وعرّبناها بطبيعة البدويّ الذي يحتاج إلى الصّحبة الاجتماعية والكيان الاجتماعيّ الإنسانيّ. لذلك لم تكن عنصرية في ثقافتنا."

محمود وأنا، أنا ومحمود

قد تكون فترة سنوات الستين وحتى نهاية سنوات السبعين من القرن الماضي من أكثر الفترات إثارة في تاريخ شعر المقاومة والأدب الفلسطيني، حيث اجتمع في حيفا أبرز رموزه: سميح القاسم، محمود درويش، إميل حبيبي، سالم جبران، حنا أبو حنا، عصام العباسي وكلهم كتبوا ونشطوا في دائرة "الاتحاد" و"الجديد". وما تزال هذه الفترة تثير الرومانسيات لدى جيلنا اليوم، من استذكار للقصص والنهفات واللحظات المصيرية التي مرّ بها روّادنا في الشعر والنثر الفلسطيني في داخل إسرائيل. لذلك، من يقرأ سيرة القاسم يتفاجأ من علاقته المتسمة بالجفاء نوعًا ما مع هذه الفترة ومع حيفا، عروس الأدب الفلسطينيّ.

عن هيمنة القاسم ودرويش: *نحن كنا دائمًا نشجع الكتاب الشباب، ولكن السؤال "لماذا أنتما؟" هو سؤال لا علاقة لنا به. ما ذنبنا أنّ تجاوبًا حصل مع قصيدتنا؟ لم يحدث مرة أن اتصل بنا كاتب أو شاعر شابّ ولم نساعده*

– لنتحدث عن فترة الستينات والسبعينات في حيفا. عندما قرأت السيرة توقعتُ أن تتغزل بحيفا أكثر. نحن جيل عشنا وكبرنا في حيفا ولم أشعر فيما كتبت بهذا الوَله بالمكان.

س.ق. "لأنه لم يكن وَلَهًا، صدّقني. عن أيّ وَله تتحدّث؟ حيفا لها دور كبير في حياتنا من دون شكّ، في تكويننا الشعريّ. لكن مثلا عندما تحلّ ليلة "عيد الاستقلال" الإسرائيليّ، كنا أنا ومحمود نذهب إلى مقهى كان اسمه "روما"، ونجلس ونطلب كأسًا ونشرب وهم يحملون الألعاب ويلعبون مع بعضهم البعض ويغنون فرحين بعيد الاستقلال. كيف يمكن أن ينشأ وَلهٌ بيننا وبين حالة من هذا النوع؟ كنا نذهب لاستئجار بيت، وعندما يعرفون أننا عرب فجأة يصبح السّعر ثلاثة أضعاف أو يقولون إنهم أجّروا البيت أمس الأول. نحن نحبّ حيفا والكرمل طبعًا، ولكنّ القضية ليست قضية وَلهٍ. العلاقة والموقف من المكان هما محصّلة الموقف من الإنسان."

– سأسأل بشكل آخر: أنا عملت في "الاتحاد" مثلك. في أحد الأيام دخل إلى غرفتي المحرر المرحوم إدوار الياس وسألني: أنت تعرف على طاولة مَن تجلس؟ هذه طاولة سميح؛ دير بالك عليها. نحن جيلنا استهلكنا حيفا بقصصك وقصص محمود. بعشق المدينة التي فيها الصّحيفة والسياسة وإميل حبيبي وصليبا خميس. قد يكون هذا انطباعي الخاصّ، ولكنني مثلا لم أرَ محمود في السّيرة، أو صليبا. أحسستُ بأنك كنت وحيدًا في حيفا. فرق هائل بين كتابتك عن الرّامة وعن حيفا في السيرة.

س.ق. "صحيح. طبعًا. في حيفا قضية تناقض غير معقولة. حيفا التي كانت وكان رئيس البلدية عربيًا (حسن شكري)، اليوم– هذه ليست حيفا! ليست حيفا التي في مخيّلتي. لم أشعر بأنها مدينة عربية فلسطينية. كنت ملزمًا في حيفا بالتوقيع في الشرطة مرتيْن في اليوم كإثبات وجود؛ حيفا التي كانت الشرطة تقتحم بيتي فيها بأيّ لحظة وتفتش وتعتقل. لا يمكن أن تكون حيفا جانبًا رومانسيًا فقط. غير ممكن. يوجد الجانب التاريخي الرّومانسي، ولكن هناك الجانب الواقعيّ. وإذا قرأت "ملعقة سمّ" ستفهم عمّا أتحدث. حيفا لم يكن فيها أمان، لا يمكنك أن تكون

مطمئنًا فيها. أنت غير مستقرّ فيها. تعيش 24 ساعة في اليوم في مدينة ليست لك، هناك سيد يذكرك بأنك مؤقت وعابر. أنا ضدّ الرومانسية المفرطة بأيّ شيء لأنها تشوّه الحقيقة وتخبّئها."

– فعلا، لا أذكر أنني قرأت نصًا عن مدينة فلسطينية لا يحوي الاحتضان الزائد.

س.ق. "نعم. ولليوم أقول إنه لا يجوز الفصل بين الذاتيّ والموضوعيّ، بين الحلم والواقع. ممنوع الفصل، ثمة تشابك وتداخل، تصادم وتضادّ، بين الحلم وبين الواقع. حتى عندما كنت أخرج مع صديقة إلى غابة أو حديقة ويسمعني شرطيّ أتحدث العربية، يوقفني: "لحظة، بطاقة الهوية". لماذا؟.. لا يمكنك أن تسلخ رومانسية الرحلة في الغابة أو الحديقة عن تطفل هذا الشرطي عليك. وإذا فصلتَ فأنت تخون الحقيقة. الحقيقة كما هي، سواءً أكانت جميلة أم قبيحة، لا يهمّ، المهم أنه لا تجوز خيانتها."

– رغم ثراء مسيرتك الشخصية، أنا أرى أنّ محاولة هروبك إلى لبنان وأنت شاب، أهمّ حادثة في حياتك. لأنّ سميح القاسم لو ذهب إلى لبنان وخرج إلى الفضاء الواسع في العالم، فإنه بتقديري الشخصي سيكتب شعرًا أسوأ. فهناك فرق بين أن تكتب شعر مقاومة من باريس أو موسكو وهنا. ما رأيك؟

س.ق. "وأنا رأيي كذلك. وهذا خلافي مع أخي رحمه الله محمود درويش. خلافي معه معروف، ليس سرًا. فنحن اختلفنا بشكل جديّ. وفي "الرسائل" كتب "أنا نادم على خروجي". نظرية أنك إذا خرجت إلى الخارج فإنك ستتطوّر هي "حكي فاضي". ومحمود في السّنوات الأخيرة رجع إلى جذوره، إلى العفوية، إلى الصّدق الفني. وكان يأتي إليّ هنا وعند أهله. محمود أعاد اكتشاف ذاته... وفي فترة من الفترات كان على وشك أن يضيع بسببهم. كنت أقول عليه: "على وين رايح؟" ما تكتبه ليس أنت. ليس شعرك. وفي فترة معينة كنت أصرخ عليه وأقول له: "والله أتبرأ منك! هذا ليس أنتَ!".

ثم يختلط الشخصي الذاتي بجدال الحداثة: "الصورة التي كانت شائعة عن محمود أنه شرس وعنيف صورة ظالمة وغير حقيقية. كان طفلاً طيبًا وبريئًا ووديعًا جدًا. لكنه اكتشف أنّ هناك فرقًا بين الحداثة التي أرسيناها وبين الاستحداث."

- هل شعرت بخيانة عند مغادرة محمود البلد؟

س.ق. "طبعًا. غضبتُ جدًا وصُدمت. وكتبت وردّ عليّ وتدخل أبو عمار... طبعًا. فنحن سائران في طريق مع بعضنا البعض، نجوع سوية، نعيش سوية، نقرأ سوية، نعمل سوية، نتظاهر سوية ونُسجن سوية، ولا يوجد مبرّر. لم يقنعني حتى اليوم. في المدّة الأخيرة زعلوا مني في لبنان حيث أجرى معي صحافيان لبنانيان مقابلة في القاهرة وقال أحدهما: لو أتيتَ إلى بيروت مثل محمود، ألم تكن قصيدتك ستتطوّر أكثر؟ أجبته: أنتم لديكم وهم بأنّ بيروت والقاهرة ودمشق وعمان هي الحداثة في أوجها. أنتم تحتاجون مئة سنة كي تصلوا حيفا (بسياق الحداثة- ع.ح.). في حيفا توجد حداثة أكثر من كلّ العواصم العربية. هل عليّ أن أذهب إلى بيروت كي أكتشف الحداثة؟ لديهم وهم كهذا."

عن محمود: *محمود في دنيا الحق وأنا أحييك بكلّ صدق وصراحة: لم يكن بيننا في يوم من الأيام شيء اسمه غيرة أو حسد أو منافسة. على الإطلاق. كان يأتي في الليل ويسألني: ماذا كتبتَ؟ ما الجديد لديك؟ أقرأ له. أسأله عن جديده، يقرأ لي. ونتناقش*

- أعتقد أن الفلسطيني المقاوم فقط من يستطيع أن يقول لمراسلين من بيروت جملا كهذه.

س.ق. "طبعًا. وأنا على حق. كلامي صحيح. وقلت حيفا ولم أقل تل أبيب كي لا يزاودي عليّ. كما أنني لا أعيش في تل أبيب، أنا أعيش في حيفا. وأنا أعني ما أقول. الحداثة الاجتماعية والفنية والثقافية في حيفا اليوم تسبق بيروت بمئتي سنة. يعتقدون أنّ من يقلد الفرنسيّ أو الإنجليزيّ أو الأمريكيّ أصبح مودِرن. لا أنتم لستم الحداثة، أنا الحداثة. أنتم الاستحداث. والدليل أنّ جمهور الشّعر العربي من المحيط للخليج استقبلني واستقبل محمود

درويش وتوفيق زياد وقصائدنا ولم يستقبلكم أنتم. أحبّ قصيدتنا واحتضنها. كما أنّ قصيدتنا ليست قصيدة الشنفرى، قصيدتنا حديثة، ابنة اليوم، ابنة عصرها وزمانها... أنا بدأت أكتب وأدندن قصيدة "تقدّموا" في مظاهرة في القدس وقصّتها معروفة. قلتُ لهم: أقسم بالله أنني لا أستطيع أن أكتب قصيدة أخرى مثل "تقدّموا". إنها تبدو سهلا ممتنعًا ولكنني أتحداكم وأتحداني أن أكتب مثلها. وشئنا أم لم نشأ أصبحت القصيدة نشيد الانتفاضة في كلّ العالم. فالسّهل الممتنع ليس أمرًا هيّنًا. السهل الممتنع أصعب الفنون. أن تقرأ القصيدة وتقول إنك فهمتها وتستطيع أن تكتب مثلها، ولكنك لا يمكن أن تكتب مثلها."

– لعلاقات الحب والزمالة جانب من الغيرة والتنافس أيضًا. هناك من كتب وتحدّث عن كونك أنت ومحمود "صديقيْن لدوديْن".

س.ق. "لا، هذا تزوير وتشويه. محمود في دنيا الحق وأنا أجيبك بكلّ صدق وصراحة: لم يكن بيننا في يوم من الأيام شيء اسمه غيرة أو حسد أو منافسة. على الإطلاق. كان يأتي في الليل ويسألني: ماذا كتبتَ؟ ما الجديد لديك؟ أقرأ له. أسأله عن جديده، يقرأ لي. ونتناقش. أنا مثلا عُرفت على مستوى الشعر قبله. ومجموعتي صدرت قبله. وكانوا عندما يدعوني طلاب جامعة القدس أو تصل دعوة من الناصرة أقول لهم أُدعوا محمود درويش أيضًا. كان بيننا تكامل. في آخر رسالة له نُشرت في عيد ميلادي السّتين على ما أعتقد، قال فيها إنّ صداقتنا أقوى من الحبّ. ويحكي فيها ويشير إلى أنه في مرحلة معينة كانت القصيدة تلتفت إلى أختها. تعبير ذكيّ وجميل وحقيقيّ."

– وتحته نص دفين.

س.ق. "طبعًا، طبعًا. القصيدة تلتفت إلى أختها يعني أنها تتأثر بأختها. أنا اعتبرتها اعترافًا طيبًا وإنسانيًا منه، وعندما رأيته قبّلته وقلت له: مش بيناتنا. أنا أخوك الأكبر منك وتجربتي قبلك وليس عيبًا أن تتأثر بي، بالعكس؛ أنا أخرجتُ محمود من نزار قباني. في مجموعته الأولى "عصافير بلا أجنحة" كان مفتونًا بنزار قباني. كنت أقول له: يا محمود نزار فنان عظيم

ولكنه ليس نحن. ليس لنا. شعرنا لا يمكن أن يكون مثل شعر نزار. نحن حياتنا شيء آخر، عالمنا شيء آخر. يجب على شعرنا أن يمثلنا نحن لا أن يمثل نزار أو المتنبي أو أحمد شوقي. نحن نكتب قصيدتنا. وعندما بدأ العالم العربي يقول "شعراء المقاومة" فوجئت وصرنا نضحك. قلت له: خذ خذ أنظر ماذا كتبوا... لم نفكر بالموضوع ولو لمرة واحدة بأننا شعراء مقاومة وشعراء وطن وخلافه. كانت معركتنا أن نعيش يومًا آخر، وأن نعطي للناس شيئًا من الأمل والفرح عندما نذهب لقراءة الشّعر في عرّابة مثلا. هذا كان همّنا الأكبر. لم تكن منافسة، ومحمود ليس صديقًا لدودًا بل صديق حميم.

"في عزّ خلافاتنا وقعت هذه الحادثة: كان هناك كاتب سوريّ اسمه سعيد حورانية، كاتب قصة مهمّ جدًا، يعيش في موسكو، يحرّر مجلة اسمها "الأوقات الجديدة". عندما سافرتُ إلى موسكو عام 1971 أو 1972 أعدّ عشاءً كبيرًا على شرفي ودعا الكتاب العرب الذين كانوا موجودين في موسكو، منهم د. حسين مروة رحمه الله وغائب طعمة فرمان وتاج السرّ حسن وفنانون منهم يوسف وأمل حنا وشعراء وكتاب سوفييت. وكان معين بسيسو رحمه الله حاضرًا أيضًا. كنا نشرب حين قال أحد الشعراء لا أريد أن أذكر اسمه: أريد أن أشرب نخبًا خاصًا، نخب سميح القاسم المنزرع في الوطن وليس مثل صديقه الذي هرب. وقفت وقلت له: إسحب كلامك فورًا وإلا سأضربك بالكأس على رأسك! لا أسمح لك بذكر محمود درويش بكلمة. لديه ظروفه ولا تتدخل بيني وبينه. عندها بدأ سعيد حورانية بالبكاء. سألته: مالك، سكرتَ؟ قال: لا، في الشهر الماضي كنتُ في بغداد وجرّب شاعر عراقيّ أن يسيء لك وأجابه محمود درويش بنفس الجواب.

"الناقد سمير فريد كتب مرّة أنّ أمسية هذيْن الشاعريْن في القاهرة ليست أمسية شعرية، بل أمسية سيمفونية. كنا نذهب إلى أيّ بلد، نجلس ونختار القصائد التي سنقرأها، كي يكون عملا سيمفونيًا فعلاً. كل هذا الكلام عني وعن محمود ليس صحيحًا وهو ليس إلا من باب التمني (Wishful thinking) ونوع من النظرة الصغيرة وغير المحترمة لعلاقتنا وتاريخنا."

– هذا من جهة، ومن جهة أخرى النظر إليكما كمسيطرين على الساحة الشعرية؟

"نحن كنا دائمًا نشجع الكتاب الشباب، ولكن السؤال "لماذا أنتما؟" هو سؤال لا علاقة لنا به. ما ذنبنا أنّ تجاوبًا حصل مع قصيدتنا؟ لم يحدث مرة أن اتصل بنا كاتب أو شاعر شابّ ولم نساعده. وأنا لا أنسى أمسية في لندن كان فيها نزار قباني وأدونيس وأنسي الحاج ومحمود درويش وأنا لذكرى يوسف الخال. جاء شاب لبنانيّ وطلب مني أن أقرأ قصيدة من قصائده وأن أعطيه رأيي. القاعة كانت مليئة بالناس والشعراء جالسون في الصفّ الأول كي يدعونا إلى المنصة. أمسكتُ الدفتر وقرأت قطعة من قصيدة نثرية. أدهشني. قرأت الثانية والثالثة، فقلت له: حضّر حالك سأدعوك لتصعد وتقرأ معنا. ذُهل، ولكنني أصرّيتُ. كان رياض الريّس عريف الأمسية. قلت له وللشعراء: يوجد شاب هنا قرأت له عدة قصائد وأنا أدهشني وإذا أدهشني فسيدهشكم. وأريد أن يكون ضيفنا لقراءة قصيدتين أو ثلاث لخمس دقائق. فقال نزار: "خيي هاي شهامتك رح تخرّبلنا الأمسية". ولكننا أعطيناه الفرصة. وهكذا كان. وكان اسم هذا الشاعر الشاب يحيى جابر.

"حتى المهرجانات التي كنت أُدعى إليها في الخارج لم أكن أذهب من دون أن يدعوا معي شعراء من شعرائنا، مثل شكيب جهشان وطه محمد علي رحمهما الله وحنا أبو حنا وجمال قعوار وفاروق مواسي. موضوع المنافسة عندي لم يكن مطروحًا أبدًا، وأنا متأكد من أنه لم يكن مطروحًا أيضًا لدى محمود بالنسبة لي."

الكاتب توفيق فياض يقرأ لسميح القاسم ومحمود درويش من روايته الأولى "المشوهون"، حيفا 1963

القصيدة أولا

من يقرأ السّيرة يشعر بحبّك ومتعتك في السفر. شعرت بأنّ السفر هو وقودك.

س.ق. "صحيح... السفر هو ما ينجم عنه من تجربة وعلاقة إنسانيتين. باريس، لندن، نيويورك، القاهرة، دمشق– المكان يستمدّ قيمته من العلاقة الإنسانية. إذا نشأت علاقة إنسانية مميزة ولها خصوصية فستقع في حبّ المكان. أنا أشتاق لباريس مثلا ولا أشتاق لبرلين. أشتاق للندن وفيينا وبودابست ووارسو وأثينا وإسطنبول، المدن التي لي فيها تجربة إنسانية، سلبًا أو إيجابًا. هذه التجربة تمنح المكان معنًى آخر ومختلفًا."

– هل تحبّ الفنادق والمقاهي؟

س.ق. "نعم، طبعًا. أنا كتبتُ الحكاية الأولى "إلى الجحيم أيها الليلك" كلها في مقهى في حيفا، "أوريون" أعتقد. كان الغارسون يعرفني، ولي طاولة في الزاوية مع كرسيّ واحد وآتي من الصّبح، أفطر وأشرب القهوة وأدخن وأكتب. الناس يدخلون ويخرجون وكأنهم غير موجودين."

– هذا أمر نادر، خاصة عند الشعراء، ألا تعتقد ذلك؟

س.ق. "لا أعرف. ولكن الناس لم يكونوا موجودين بالنسبة لي البتة. ينشأ نوع من الانقطاع الكامل، والضجة المحيطة تصبح نوعًا من استفزاز القلم، استطرادات هنا واستطرادات هناك، وحادثة طرق، صوت توقف سيارة مسرعة، يدخل في العمل الذي تكتبه. السّفر مصدر ثانٍ للشاعر والكاتب بعد التثقيف الذاتي. لا بدّ من التثقيف الذاتيّ ومن يعتقد أنه صار يعرف كلّ شيء غلطان وموهوم، ومن يقول "أنا وصلت إلى القمة" هو غلطان وموهوم. لا أحد يصل القمة. ومن يقول إنه وصل القمة إعلم أنه سقط. القمة أشبه بربنا، الله، غير مدرك وغير محسوس، غير قابل للانكشاف المباشر. حتى الصوفيين كلهم لم يستطيعوا ذلك."

– هناك مكان واحد في السيرة أحسست حقيقة أنك كنت مرعوبًا فيه. كتبتَ أنك بقيت طوال الليل ترتعد من الخوف، عندما استقلت من "الاتحاد"، وتساءلتَ: كيف سأطعم الأولاد؟

س.ق. "لا، الصحيح أنني لم أستقل. كانت تلك حادثة سيئة وتصرف سيئ من بعض القياديين في الحزب (الشيوعي الإسرائيلي)، ليس جميعهم طبعًا. كتبت أنه عندما عرض عليّ توفيق وجورج طوبي أن أشتغل في صحافة الحزب، قلت لهم إنني لست حزبيًا. قالا أنت ستكون أول لا حزبي يشتغل في صحافتنا وليس شرطًا أن تكون حزبيًا. وعندما وقعت الخلافات بعد مؤتمر غورباتشوف في موسكو، دعا قرابة 800 شخص من العالم، وبالصدفة وصلتني دعوة شخصية باسمي الشخصي موقعة من غورباتشوف. وكان محمود في المؤتمر أيضًا. دعا فنانين وكتابًا وسياسيين ورجال دين لمؤتمر من أسبوع للتشاور في مصير الاتحاد السوفييتي. وعندها تساءلوا في الحزب: لماذا هو؟ قلت لهم هذه دعوة شخصية لي كشاعر. ناقشوا غورباتشوف أنا لا علاقة لي بالموضوع. بعدما عدت رفضوا أن أكتب عن مشاركتي وأن أكتب عن قضية البروسترويكا. قلت لهم العالم يتغير، يوجد زلزال، يجب أن نعطي إجابات للناس والشارع وجمهورنا. قسم أيّدني وقسم عارضني. عندها تذكرت جملة فؤاد نصار الشهيرة: "لا تُحرجونا

فتخرجونا". سألتهم ماذا تريدون مني؟ قالوا: نريدك أن تمشي كما نريد نحن، فقلت لهم: لا، أنا أمشي كما أريد أنا. واستقلتُ.

"بعد الاستقالة أوقفوا عملي في "الجديد". قلت لهم يا رفاق ما الذي تفعلونه؟ أنا لا أملك مصدر دخل غير عملي. لديّ أطفال في البيت. كيف تفعلون ذلك. قالوا: هكذا القرار. وفعلا، كنت أحيانًا أستيقظ في الليل عرقانًا، كيف سأطعم الأولاد؟ كانت لديّ سيارة فبعتها، واشتريت سيارة أخرى بنصف سعرها، كي أصرف على الأولاد. وبدأت العمل في الترجمات، فترجمت كتب جغرافيا وغيرها، وعملت في مجلات بسيطة، ثم توجّهوا لي للكتابة في "الاتحاد" أربع مرات في الشهر لقاء مبلغ بسيط، فقلت فليكن... صحيح، مررت بمرحلة صعبة لكن لم أتحول إلى عدوّ للحزب وأنت تعرف أنّ كل الذين خرجوا من الحزب هاجموه في النهاية. أنا لم أفعل ذلك، وللحزب فضل على شعبنا كله وعلى تاريخنا كله وبقيت صداقتي واحترامي له وأنا مؤسّس في "الجبهة" ولست عضوًا عاديًا.

"أنا أقول دائمًا إنّ المبادئ والأفكار ليست ربطات عنق وقمصانًا نبدّلها على راحتنا. إما أن يكون مبدأ وإما أن لا يكون. حتى لو أساء لي فلان وعلان من المكتب السياسي، فإنّ هذا لا يغير موقفي من تاريخ الحزب، بخيره وبشرّه، بسلبه وإيجابه، لا أتبرأ من هذا التاريخ ولا أخون ذاكرتي ولا أخون العشرة، بالتعبير البسيط."

عن القصيدة: *أنا قلتها وأكرّرها، رغم أنّ زوجتي وأولادي لم يعجبهم هذا الحديث من قبل. ولكن أهمّ شيء في الدنيا لديّ قصيدتي. أهم من صحتي ومن أسرتي ومن الوطن– قصيدتي عندي أهمّ من الوطن*

– سألتك هذا السؤال كشاعر وكمبدع، رُزقت بأولاد، ألم يغيّر هذا حياتك؟ ألم يغيّر من أولوياتك في الحياة؟

س.ق. "أنا قلتها وأكرّرها، رغم أنّ زوجتي وأولادي لم يعجبهم هذا الحديث من قبل. ولكن أهمّ شيء في الدنيا لديّ قصيدتي. أهم من صحتي ومن أسرتي ومن الوطن– قصيدتي عندي أهمّ من الوطن."

– هذا تصريح خطير يا رفيق...

س.ق. "لا لا لا، ليس خطيرًا أبدًا. قصيدتي بالنسبة لي أهم شيء في الدنيا. إذا قلتُ غير هذا الكلام فسأكون دجالاً ومهرجًا على شاكلة "أنا أكتب من أجل الشعب ومن أجل الوطن!"– هذا كلام فارغ! أنا أكتب بالدرجة الأولى من أجلي، من أجل سيكولوجيتي، من أجل أن أحافظ على عقلي وعلى توازني. أكتب كي لا أُجنّ وكي لا أنتحر، ولكنني لا أحبّ جملا مثل "أفنى عمره في خدمة الشعب والوطن".. أنا أفنيتُ عمري في خدمة القصيدة ويبدو أنّ هذه القصيدة هامة للشعب وللوطن. لكن: القصيدة أولا. ومن دون هذا، أشكّ في أن ينجح أديب أو شاعر أو فنان إذا لم يكن يملك ما أسميه أنا "شيئًا من الرهبنة". الراهب أو الراهبة يسلمان نفسيهما لله؛ الشاعر يجب أن يسلم نفسه للقصيدة."

– هل تعرف مدى عمق الاختلاف بين حديثك هذا كشاعر وبين الصورة التي تحفّ شاعر المقاومة بالشعارات والكلام الكبير. أن تقول إنّ قصيدتك أهم من وطنك فهذه مقولة بالغة الأهمية.

س.ق. "لا تؤاخذوني.. ولكن الشاعر الذي لا يتعامل مع قصيدته على أنها أهمّ شيء في الكون أشكّ في صدقه، بصراحة. من يقول لي إنّ الوطن أهم من قصيدتي أقول له بارك الله بك. لكنني لا أصدّق ذلك. وهذا قد يُساء فهمه، ولكنه قد يُفهم أيضًا. قد يُساء فهمه باعتباره نوعًا من الأنانية أو الغرور، ولكن أبدًا، أقولها بمنتهى التواضع والصدق والعفوية. ولديّ إضافة: لو لم أكن هكذا لم يكن الجمهور ليحتضن قصيدتي، ولن يحبّها. أعتقد أنّ سرّ العلاقة الاستثنائية يكمن في هذا الإحساس: القصيدة أولا، القصيدة أولا. الوطن هناك من يقاتل من

أجله ويحرّره، والأسرة تعمل وتعيش، لكن القصيدة كائن خاص جدًا جدًا وإذا لم تتعامل معه بهذا التكرّس وهذه الرهبنة الكاملة والمطلقة فإنك تخونها وتخون نفسك في نفس الوقت."

ملعقة سمّ

في كتابه السرديّ الثالث، "ملعقة سم صغيرة ثلاث مرات يوميًا" يسرد القاسم تجربته المعيشية والعاطفية والسياسية في حيفا. الكتاب مليء بالتفاصيل اليومية والقصص، لكنّ ما يثير فيه حقًا السؤال الذي لا ينفكّ يتبادر إلى الذهن: هل هذا صحيح كله؟ هل مررت بكلّ هذا؟ وبشكل عينيّ: هل حقًا فجرت حبيبتك اليهودية نفسها بدبابة إسرائيلية بعد سجنك؟

س.ق. "صحيح مئة بالمئة. الأمر الوحيد الذي غيّرته هو أنهم عرفوا قبل أن تضرب الدبابة بسيارتها وأوقفوها. هي كانت ترغب بتفجير الدبابة فأنا أكملت القصة وفقا لما كان في مخيّلتها وما ترغب به. صارت تحكي لصديقاتها في جامعة حيفا، فهدّدوها وحذّروها."

– حبيبتك الروسية تنيوشكا: هل هي حلم الشيوعية والأممية؟ أنت تكتب عنها برومانسية كبيرة جدًا، كإنسانة وفكرة.

س.ق. "نعم. تتيانا كانت إنسانة جميلة جدًا وصافية ونقية وروسية أصيلة. ثقافتها عالية، وأسرتها فعلا كما وصفت: أبوها جنرال كبير وكان قائد الجيش السوفييتي داخل براغ. وأخوها رائد فضاء... وفعلا جرّب السوفييت إبعادي عنها باعتبار العلاقة خطرًا أمنيًا، وتحدّث معي أشخاص من قيادة الحزب من عندنا. قلت لهم: أترُك غدًا (يترك موسكو التي كان يعيش فيها وقتها– ع.ح.)! أنا لن أنتقل من عنصرية إلى عنصرية، ولست قادمًا من قيود إلى قيود. أنا قادم إلى الاتحاد السوفييتي وإذا كان أبوها جنرالا وابنته أحبتني، فلا أسمح لأحد بالتدخل. أنا لا أريد أباها ولا أمها ولا جيشها..."

عن الكتابة الإيروسية: *في ثقافتنا خجل غير مبرّر من الجنس، والتعامل معه في الأدب غوغائيّ جدًا. حتى الذين كتبوا كانت كتاباتهم بهدف إظهار فحولتهم... لقد كان العرب من*

أكثر شعوب العالم الذين قدموا من خلال الكتب الموضوعة والترجمات، أرقى ما يكون في هذا المجال

– حب مع أزمة حزبية؟

س.ح. "فعلا. وصل الموضوع إلى المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفييتي. وتدخل فؤاد نصار، رحمه الله، زعيم الحزب الشيوعي في الأردن. ولكنه تدخل لصالحي، قال لي: لا تستمع لأحد. وابقَ هنا في معهد الفلسفة والاقتصاد السياسي. ثم اعتذر السوفييت وقالوا إنّ هناك قانونًا بما يخصّ الجنرالات، وحتى لو كنتُ روسيًا أو سوفييتيًا فسنحذر منك. وبعدها تزوجت تتيانا في إيطاليا فعلا كما كتبتُ، وسكرتُ أنا ليلتها..."

– في هذا الكتاب تكتب: "قلت لكم ولأكرر لكم ولكل البشر أنّ العروبة ليست في نظري عرقًا بل هي مجموعة قيم إنسانية راقية.." إلى آخر الاقتباس. أليست هذه نظرة رومانسية للعروبة والقومية؟ هل هذا النص محاولة للتجسير بين القومية والأممية؟ في حالة وجود 22 دولة والصّراعات والثورات الجارية اليوم.. ماذا يظلّ من مفهوم العروبة؟

س.ق. "مفهوم العروبة واحد وثابت ولا يتغير. ما تغير هو ظروف العرب الذين أبتعد قسم كبير منهم عن مفاهيم العروبة برأيي. إذا كنت تتبع كتاباتي فإنّ أكبر ضربة تلقاها العرب كانت اتفاقية "سايكس بيكو". منذ 1916 يفكر الاستعمار الغربي في كيفية نشوء الدولة العربية. لأنّ الدولة العربية هي على جوار أوروبا. أطول حدود لأوروبا معنا. ومن التجارب التاريخية ظلت أوروبا مشبعة بأفكار الحروب الصليبية حتى اليوم. أخشى أن يكون الهولوكوست القادم ضدّ العرب والمسلمين في أوروبا. هذا إحساسي. سايكس بيكو هي وضع غير طبيعي وهو إفراز استعماري ضد العرب بالأساس. مخاوف أوروبا ليست من المسلمين بل من العرب، لأنّهم أقرب إليهم ثقافيا؛ 800 سنة من التلاقح الثقافي وشعور الندية قائم مقابل العرب. و"سايكس بيكو" جزّأت العالم العربي إلى 22 دولة غير شرعية بنظري. هذه الكيانات باطلة شرعًا ولا تستحق الوجود وهي ضد إرادة الشعب العربي."

– هل يمكنك أن توحد الدول العربية اليوم خارج منظومة الخلافة مثلا؟

س.ق. "توجد إمكانيتان: منظومة الخلافة، لكن مشكلة الخلافة أنها أصبحت متخلفة عن التطوّر التاريخي، فهي مرتبطة بالدين، والقول إنّ الدين هو الحلّ ثبت فشله– في أوروبا وعندنا. الحلّ هو العلم والثقافة والتقدّم التكنولوجي وقوانين الديمقراطية وحقوق الإنسان، هذا هو دين العالم الجديد. لكن يظل الدين عزيزًا علينا كتراث نتمسك به ونقرأه ونتأثر به ونستفيد منه، لكن لا يمكننا أن نبني مصنعًا بالأدعية: "اللهم زدْ من إنتاج هذا المصنع!" هذا غير ممكن. أنت بحاجة إلى خطط من علماء وخبراء. إذا كان لديك شارع وحركة سير، ضع عشرين داعية يردّدون "اللهم لا تُحدث اصطدامًا بين هاتين السيارتين... اللهم جنبنا أخطار الطرق". لا يصحّ. يجب أن تضع إشارات ضوئية. هذا هو مفهوم العلمانية عندي، وليس كما يدّعون أنّ العلمانية كفر. يوجد علمانيون كفرة ويوجد متدينون كفرة أيضًا برأيي. مثل ذلك المفتي الذي أفتى بأنّ الرجل يستطيع مضاجعة زوجته ساعة وفاتها. هذا ليس عربيًا ولا مسلمًا ولا إنسانًا!

"سألوا آينشتاين مرة: هل أنت ملحد؟ قال لهم: أنا ملحد في المختبر ومؤمن خارجه. فالمختبر يقوم على الأسئلة والشكوك والعلم والبحث، ليس فيه إيمان مطلق. وقد صرحت مرة بالنسبة للخلافة إنني لا أمانع الخلافة شريطة أن أكون أنا الخليفة. لا أعطي الأمان لأيّ شخص آخر. الأتراك أخذوا الخلافة 400 سنة فدمّرونا، وإذا أخذها الفرس سيدمروننا أكثر. أنت بحاجة إلى منظومة عربية تقدمية أممية."

القاسم يشدد مرة بعد أخرى على التلاحم بين العروبة وبين الأممية. ومع أنّ هذا الكلام يبعث على "الخربطة" إلا أنه يتمسك به: "أنا لا أصدق أيًا كان إذا قال إنه يحبّ قوميته ويكره القوميات الأخرى. هذا كذب وقوميته زائفة. لأنني أحبّ قوميتي فإنني أحبّ القوميات الأخرى. والشيء الصحيح والفطري لنا كعرب أنّ العروبة من سماتها الأساسية ولا تكتمل إلا بالأممية."

– كيف كان تأثير جمال عبد الناصر عليك؟

س.ق. "عبد الناصر خلق من دون شك حالة في الأمة العربية لم تسبقها إلا حالة النبي محمد. بأيّ معنى؟.. النبي محمد جمع القبائل وأنشأ قومية في مسرى الدعوة الإسلامية. كنا قبله قبائل ومحمد هو الذي أسّس القومية العربية. "وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا". أنا أعتقد أنّ المقصود بالشعوب هم الفرس والأتراك والإنجليز وغيرهم، والمقصود بالقبائل هم نحن العرب. كنا قبائل متخاصمة وكلنا يعرف "أيام العرب". طُز على هكذا أيام. أشرف أيام العرب هو "يوم الأرض" الذي صنعناه هنا.

"الحالة المحمدية خلقت الشعور القوميّ عند العرب. يحضرني قول المتنبي: "ولكنّ الفتى العربي فيها/ غريب الوجه واليد واللسان". فشعوره القومي العربي تبلور في ظلّ الدولة الإسلامية. بعد النبي محمد لم يتكرّر هذا الإجماع العربيّ إلا على جمال عبد الناصر، فقط. وللأسف الشديد، وهنا يتكلم الشاعر لأنّ التاريخ لا يعرف كلمة "لو"، ولكن لو كان عبد الناصر أعمق ثقافة وأوسع إدراكًا وأسس حزبًا قويًا وخلق حالة من الديمقراطية والتعدّدية لكان عبد الناصر قادرًا على تحقيق الوحدة العربية. لكنّ هذه الوحدة لا تتحقق بقرارات فوقية. يجب أن تتم الوحدة بإرادة شعبية وبرضا وتراضٍ شعبيين وبالتفاهم. وبحكم التطور التاريخي نشأت أقاليم لها خصوصيات، فلتستمر هذه الخصوصيات لا مشكلة، لكن لدي مشكلة مع الشرذمة غير المبررة وغير المبررة والخيانية. أنا أعتبر كلّ من يؤيد الإقليمية خائنًا. وهناك من يسألني: وماذا مع الدولة الفلسطينية؟ أقول لهم: مطلوبة كمرحلة فقط. قلتُ مرة لياسر عرفات رحمه الله: إذا قامت الدولة الفلسطينية فسأصدر في اليوم الثاني بيانًا مني يدعو للوحدة إما مع الأردن أو مصر أو سوريا أو موريتانيا. أنا ضدّ الدويلات وحظائر "سايكس بيكو". الجامعة العربية هي جامعة حظائر سايكس بيكو."

– عندما حدثت ثورة يوليو في مصر كنت شابا صغيرًا. وعند العدوان الثلاثي كنتَ ربما في مرحلة كتابة ديوانك الأول. هل كان ما يحدث في مصر جزءًا من تشكيل وعيك؟ هل كنت تستمتع لخطابات عبد الناصر؟

س.ق. "طبعًا، طبعًا كنت أسمعها. أكثر من ذلك: عندما بادرت عام 1958 لإقامة حركة ضد قانون التجنيد الإجباري أسميتها "الشبان الدروز الأحرار"، تيمّنا بالضباط الأحرار في مصر. طبعًا أحببناهم واعتززنا بهم، ولكن للأسف الشديد لم تستمرّ الثورة– سرقها اللصوص والحرامية والدجالون وحرفوها عن مسارها."

عن "الجديد": *أعتقد أنّ حركتنا الثقافية وصلت أوجها في الستينيات والسبعينيات. "الجديد" تحولت إلى نادٍ ثقافيّ، وكان معنا كتاب غير حزبيين أيضًا يكتبون، وفتحنا الأبواب حتى مع المختلف. عمّمنا مفهوم التعددية والحوار، وأصبحت مجلة "الجديد" ناديًا يأتي إليه الجميع*

– تكتب في "ملعقة سمّ" عن النقاش مع اليسار الإسرائيليّ. أنت تبحث بإصرار عن الإنسانية في الوجود الصهيوني هنا. هل وجدتها؟

س.ق. "أبدًا! أنا على قناعة بأنّ الإنسانية والوجود الصهيوني نقيضان. لكن هذا لا يسري على الوجود اليهودي. هؤلاء الفنانون، عوديد كوتلر وعوديد تيئومي وغيرهما من أصدقائنا، هم إنسانيون. كنت أشعر بهم كأصدقاء بأنهم متعاطفون مع قضيتنا وشعبنا. يجب التمييز بين الصهيونية وبين اليهود. في الحكايات الثلاث التي كتبتها "إلى الجحيم أيها الليلك" و"الصورة الأخيرة في الألبوم" و"ملعقة سم صغيرة ثلاث مرات يوميًا"، هذا التمييز والفصل هو موتيف أساسي؛ نحن لسنا عنصريين، نحن ضد العنصرية."

– هذا ما شعرته، بأنّ لديك هاجسًا دائمًا بالعثور على الإنسانية في الصراع.

س.ق. "طبعًا، طبعًا."

– وهل نظرت يومًا للخلف وقلت: نجحت في ذلك؟

س.ق. "نجحت في الحالات الفردية. غيّرت أشخاصًا، بلى. أتعرف؟ كانت هناك كاتبة من المهاجرين الجدد من الولايات المتحدة، وتعرفنا على بعضنا البعض وتصادقنا. بعد شهرين أو

ثلاثة قالت لي إنها تريد توديعي. تريد العودة إلى أمريكا.. قالت لي: هذه بلادك وليست بلادي. وعادت إلى أمريكا. كما نجحنا في تغيير مفاهيم وضممنا أناسًا إلى الحزب (الشيوعي) والجبهة (الديمقراطية للسلام والمساواة) وكنا نذهب ونتحدث في نوادٍ ومدارس يهودية أنا ومحمود وتوفيق زياد وسالم جبران وجورج طوبي وزاهي كركبي وإميل توما وإميل حبيبي. ولو كسبت من مئة شخص شخصًا واحدًا فقط فإنّ جهدك لم يذهب سدًى. وحتى لو لم ننجح في تغيير المجتمع الإسرائيلي فإنّ هذا لا يجب أن يكون سببًا لإحساسنا بأننا دون كيشوت. نحن أصحاب رسالة وموقف والخلل في الطرف الآخر ليس فينا. توجد قوى ظلامية أقوى منا سيطرت علينا. هذا ليس ذنبنا. نحن كمن جاء لإقامة الدين في مالطة. وإذا لم ترغب مالطة فهي حرة (يضحك). هذا ليس ذنبنا. "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون" ، ونحن عملنا ما علينا."

– أنت عاشرت اليسار الإسرائيلي، وكانت لك علاقات حب وصداقة؛ ما عقدتهم؟ لماذا لا يستطيع اليسار أن يخطو الخطوة الأخيرة نحو اليسارية الحقيقية؟

س.ق. "اليسار الإسرائيلي في ورطة تشبه ورطة حماس إلى حدّ ما. التشبيه غريب ولكن إسرائيل دولة أقامتها الصهيونية واليسار الماركسي ضد الصهيونية، ولكنه أتى أو تبلور هنا. يوجد تناقض بين فكره وبين الدولة التي أصبح جزءًا منها وأحد عناصرها ومكوّناتها. وهذا التناقض يمزقهم. الأمر شبيه بحماس، حين شاركت في الانتخابات بعد أوسلو وهم ضد أوسلو. وكانوا يتمزقون وأعرف ذلك من بعض الأصدقاء القياديين في الحركة. هذه حالة غريبة سريالية واليسار الإسرائيلي الذي جاء من الاتحاد السوفييتي وأوروبا أصطدم هنا بواقع صهيوني ورأسمالي متناقض بالكامل مع مثالياته. فلكي تقيم كيبوتس شيوعيًا مثل كيبوتس "يد حانه" عليك أن تقيمه على أرض عربية. الصراع غير سهل على الإطلاق. و"عين هود" كمثال آخر، حالة سريالية أيضًا."

– لدي انطباع شخصي بأنك أغرب شاعر مقاومة. بالإضافة إلى سيرتك والكشف الصريح عن حياتك، وقولك إن قصيدتك أهم حتى من الوطن، وتكتب في "ملعقة سم": "نحن نكافح

لنعيش لا نعيش لنكافح".. لأول وهلة يبدو هذا وكأنه النقيض للصورة التي يجب أن يبدو فيها شاعر المقاومة. أن يحمس وأن يضع القضية فوق كل شيء..

س.ق. "أنت على صواب كامل. أنا ضد شيطنة العدوّ بالكامل وتأليه الشاعر بالكامل، وضدّ رومانسية الطرح. الشاعر إنسان والعدو إنسان. هناك عدو يمكن أن تبرم الصلح معه وهناك عدو لا بد من أن تقتله أو يقتلك. بالنسبة لمفهوم المقاومة، فأنا أعتزّ بأنّ الكثيرين من النقاد يقولون إنّ سميح القاسم هو مؤسس شعر المقاومة. فكلمة "سأقاوم" تظهر لأول مرة في شعرنا عندي. فأنا وضعي يختلف عن باقي العالم العربي، ليس لديّ جيش ولا دبابات لأقاتل؛ أنا أقاوم. أقاوم الهجوم عليّ. وقصيدة "سنقاوم" خرجت من خطاب عبد الناصر "سنقاتل". كما أنّ اتهام شعر المقاومة بأنه ليس إلا شعرًا تحميسيًا وتحريضيًا هو تهمة باطلة. شعر المقاومة رسالته الأساسية من وجهة نظري إشعار المظلوم أو الخاضع للاحتلال بإنسانيته الكاملة وبعدم التنازل عن حقوقه وعن إنسانيته. وأنا أقول دائمًا إنّ الصهيونية تنتصر علينا في اللحظة التي نتخلى فيها عن إنسانيتنا، ومُصرّ عليها. مفهوم المقاومة أرقى بكثير من أن تحمل البندقية وتهجم."

الشاعر وعائلته في مناسبة اجتماعية؛ من اليمين: الأبناء عمر وياسر ووطن وسميح نونال ووضاح

س.ق. "طبعًا، طبعًا. أنا من أجل ذلك لأنّ النمطية الرومانسية تخلّ بالواقع، فهي ليست واقعية ولا حقيقية. كل شيء غير حقيقي يجب أن يصدمك في النهاية. على الإنسان أن يكون على سجيته وطبيعته، كُن صادقًا بالصواب وبالخطأ. وأكررها: مفهوم المقاومة عندي هو احتفاظ الإنسان الفلسطيني بكرامته ووعيه وثقافته وبقناعته وإيمانه بأنه على حقّ، وبإنسانيته. إذا جردتنا الصهيونية من إنسانيتنا نصبح مثلهم ونحن لا نريد أن نكون مثلهم. نحن الأرقى والأحقّ والأجدر ونحن أصحاب الوطن الأصليون، ولا نريد أن نكون مثلهم."

– سأربط هذا السّؤال بما كتبته في "ملعقة سم" عن ليلة الحب والجنس (ص 100). إنه من أجمل النصوص الإيروسية التي كتبت بالعربية.. هناك شيء مفاجئ بأن يكتب شاعر المقاومة مشهدًا إيروسيًا جنسيًا وعاطفيًا بهذا الشكل.

س.ق. "مرة أخرى: أي صورة نمطية خطرة. قبل حرب 67 أجرت إذاعة "صوت العرب" في القاهرة مسلسلا إذاعيا من 7 حلقات عن قصّتي. وأرسلوا لي عبر أوروبا عددًا من مجلة "روز اليوسف" المصرية حول الموضوع. كيف رسموني فيها؟.. رسموا رجلا عملاقا مع شاربين كبيرين وحطة (كوفية) وبندقية أكبر من الرشاش تحت إبطه. ولكن هذا ليس سميح القاسم؛ هذه صورة نمطية."

– هكذا يريدون أن يرونا..

س.ق. "هكذا يريدون أن يرونا. محمد دكروب مثلا صُدم عندما تعرّف بي. قال: أنت سميح القاسم؟... غير معقول. أنا أتخيلك ماردًا عملاقًا بأربعة أمتار. قلت له: وأنا كنت أتخيلك كابن رشد، فلا أنت ابن رشد ولا أنا بمارد. الحياة أكبر من الصّورة النمطية. وتصوير شاعر المقاومة بأنه مقطب الجبين دائمًا وخلف المتراس أمر غير صحيح. هذه ليست شغلته. هناك مقاتل وهو مكمّل للشاعر. والشاعر يكمل المقاتل.

"وفي ثقافتنا خجل غير مبرّر من الجنس، والتعامل معه في الأدب غوغائيّ جدًا. حتى الذين كتبوا كانت كتاباتهم غوغائية تهدف لإظهار فحولتهم. هذا جنس متخلف، وللأسف الشديد، كان العرب من أكثر شعوب العالم الذين قدموا من خلال الكتب الموضوعة والترجمات، أرقى ما يكون في هذا المجال. تعاملنا مع الجنس في الماضي أرقى من اليوم. ما المانع أن يضع كاتب أو شاعر مشهدًا جنسيًا برقيّ؟"

– ومع يهودية؟

س.ق. "طبعًا، لمَ لا؟ مع يهودية أو عربية أو سوداء.. لماذا نقع في التناقض؟ إما أننا عنصريون وإما أننا عرب أمميون. العنصرية والعروبة لا تستويان. من يقول لي: سأذبح اليهود وأذبح الإنجليز والأمريكان باسم العروبة أقول له: حلّ عن ظهر العروبة! هذه ليست العروبة. هل تعتقد أنّ الرسول عاشر يهودية وقبطية وغيرهما من أجل المتعة فقط؟.. هذا درس للناس وللمجتمع، للعرب وللمسلمين. في الماضي جرّبوا أيضًا مهاجمة محمود على قصائده عن ريتا وحبيبته إيريت."

– تكتب في "ملعقة سم" أيضًا: "الحب، في المحصلة، هو الطاقة العظمى، هو القيمة العليا في المعنى والفعل والتحوّل... وبمقدور القوة الطاهرة، قوة الحب اللانهائية، كالله، أن تكفل انتصار السنابل والأزهار والعصافير". هل نسينا نحن الفلسطينيين في صراعنا الطويل أن نحبّ على مستوى الأدب والمسرح والفنون؟ الحبّ ليس حاضرًا لدينا بكثافة.

س.ق. "أنا معك في ذلك. والسبب هو تعرضنا لإرهاب فكريّ وسياسيّ واجتماعيّ. المبدع الذي ينحني للمفاهيم السياسية السّطحية والاجتماعية المتخلفة والدينية المتحجّرة، يهرب من الحقيقة. أنا لا أهرب من الحقيقة. لا يهمّني أن أدخل في معركة مع مجتمع أو بيئة، لأنني على حقّ. أنا أمارس حريّتي مع عواطفي ومع جسدي فهذا حقي أنا، وليس من حق إنسان آخر أن يتدخل."

عن جيل اليوم من الأدباء: *أنا أتابع الجميع، شعرًا ونثرًا. لدينا طاقات جيدة وقوية وجميلة. وقرأت الشاعرين سامر خير ونمر سعدي، وهما شاعران جيدان، لكل منهما صوت خاص ومتفرّد*

– وربما نكون قد شاركنا أيضًا في هذا..

س.ق. "نحن شاركنا في هذا! وتواطأنا مع هذه الصورة المشوّهة التي أساءت لنا. كنت مسافرًا مرة من أوريغون إلى تكساس. إلى جانبي في الطائرة جلس شاب أمريكي ببدلة وقبعة تكساسية. بادر إلى الحديث معي، وسألني من أين أكون. قلت: فلسطين. قال متعجبًا: فلسطين؟.. ليس إلى كوبا!! لقد اعتقد أنني هناك كي أختطف الطائرة. قلت له: أنا لست هنا لاختطاف الطائرة، أنا شاعر آتٍ لأقرأ الشعر في تكساس للجالية العربية. لم يصدق أنّه بوسع الفلسطيني أن يكون شاعرًا. ثم جاء وحضر الأمسية الشعرية هو وأصدقاؤه. نحن شاركنا في خلق صورة غير دقيقة عنا. ترى رساما فلسطينيا يرسم فنا تجريديًا فيتساءلون: هذا فلسطيني؟.. نعم، فلسطيني ويرسم فنا تجريديا. ماذا تريد منه؟.. يقولون: عليه أن يرسم البندقية والخندق... لا هذا غير صحيح أبدًا. أنا دائمًا أعطي مثال لويس أراغون الذي كتب عن صاحبته إلسا وهي تمشط شعرها أمام المرآة أجمل قصائد شعر المقاومة الفرنسية. بقصائد الحب هذه جُند الكثير من الفرنسيين للدفاع عن فرنسا. مفهومنا لشعر المقاومة غير دقيق.

"كنت مرة في أبو ظبي في أمسية شعرية. جاء الحضور وطلبوا أن يسمعوا قصائد يريدونها، فرفضت وقلت سأقرأ لكم ما أريد أنا. قالوا: نريد "ليلى العدنية" و"أتحدى" و"سأقاوم" و"منتصب القامة أمشي"... قلت لهم إنسوا كل هذا الموضوع. أنا أصدرت كتابًا جديدًا اسمه "كولاج" وسأقرأ منه. إذا أعجبكم أهلا بكم وإذا لم يعجبكم يمكنكم أن تذهبوا. قرأتُ لهم؛ وفي اليوم التالي كتب أحدهم: هذا ليس شعر سميح القاسم!

"كنا أنا ومحمود رحمه الله نقيم أمسيات شعرية كثيرة مشتركة. ونجلس محتارين قبل الأمسية، ماذا سنقرأ. فيقول محمود: تعسًا! لا بد أن يطلبوا منك "سأقاوم" ولا بد أن يطلبوا مني "سجّل أنا

عربي". فنختار سوية القصائد على شكل حوارية في الشعر. في بعض الأقطار لم يتحمّسوا كثيرًا، وبعد أن ننهي يطلبون "سأقاوم". هناك نمطية ولكن علينا أن نكسرها وأنا أعتقد أنني نجحت في كسر هذه النمطية. في أمسياتي في مصر والمغرب وتونس وسوريا كنت أقرأ قصائد حبّ قصيرة. فشعرت بوجود تفكيك لهذه الصورة النمطية."

– قد تكون أنت ومحمود من أكثر الشعراء اللذين طوّرا ذائقتيهما وذائقة الجمهور أيضًا.

س.ق. "قد تجد 2000 شاعر عربي كتبوا لفلسطين على الأقل. لا تغضبوا منا. لا تلومونا إذا أحبّ الجمهور شاعريْن وانسجم معهما. نحن لم نخطئ. لقد تعاملنا مع الجمهور بصدق. في ذكرى شوقي في الإسكندرية قرأت قصيدة حبّ عن الموبايل:

هاي

لموبايلك الحلو

نقالك الحلو

جوّالك الحلو

أشرح أسباب موتي عليك

وبالفاكس أرسل قلبي إليكِ

باي.

قرأتها فدوّى التصفيق ووقف الجمهور على قدميه. وبعدها قرأت لهم ملحمة شوقي. فأنت تفرض حالة إنسانية تضع الشاعر في مكانه الطبيعي بأنه إنسان وليس جنديًا أو إلهيًا."

– أن تنتقل من قصيدة الموبايل إلى ملحمة شوقي يحتاج إلى ثقة كبيرة بما يكتب.

س.ق. "أنا أجري اختبارًا على الجمهور. أقرأ قصيدة المتنبي وبعدها قصيدة "ميكرو ويف" مثلا وأرى ردود الفعل. واكتشفت بمرور الوقت أنّ الجمهور يحبّك ويتعاطف معك ويكتشفك أكثر. ثم يقترب منك أكثر فتصير بالنسبة له إنسانًا وليس رجلا آتيًا من الفضاء الخارجي ومنقطعًا عن الجمهور، يقرأ القصيدة ويذهب. عليك أن تُشعرهم بأنك واحد منهم، وهذا ليس سهلا."

عن مرض السرطان: *الإنسان معرّض لكل شيء. كان نوع من المفاجأة حين يقول لك الطبيب إنّ عندك ورمًا خبيثًا، لكن السّؤال يظل في رد الفعل. وردّ فعلي العفوي كان: سرطان؟.. أنا لا أحب ثمار البحر، أريد سمكًا*

– إذا كان شعر المقاومة هدفه إعادة الإنسانية إلى الناس فهو لن ينتهي أبدًا. هل ترى أنّ هناك من يكمل هذه المسيرة؟

س.ق. "لن ينتهي أبدًا. طبعًا. وأنا مستمرّ في هذا. ولكنها حالة يجب أن تستمرّ. أنظر إلى كمّ الضحالة.. بعد أوسلو بدأوا بكتابة المقالات عن نهاية شعر المقاومة وما جدوى ومبرّر شعر المقاومة؟.. يأتي صحفيون لسؤالي، فأقول لهم: معلش خيا، هل تحرّرت فلسطين في أوسلو؟ هل تحرر لواء الإسكندرون والأحواز وأوغادين؟.. كلها ما زالت تحت الاحتلال. هل أنهى أوسلو جموح الإنسان لكرامته وإنسانيته وحقوقه وحضارته؟ ما هذا الهبل؟ ما هو أوسلو؟ وأنا أقول دائمًا: حرّروا جميع الأراضي المحتلة واشطبوا اسمي وشعري من الوجود بالكامل. في هذه الحالة يكون ما أريده قد تحقق."

– بعد بيروت 82 والخروج نشرت عدة دواوين بحالة حزن عميق. هل اهتزت عروبتك وقتها؟

س.ق. "لا. لكن ما أحزنني أنّ فهمي للعروبة لم يتحقّق على مستوى الأمة. وحتى الآن لديّ فهم ورؤيا للعروبة... أنا أشعر بالإهانة عندما تحضر هيلاري كلينتون اجتماعًا لوزراء الخارجية العرب. في لقاء لي لبرنامج "زيارة خاصة" على قناة "الجزيرة" قلتُ لمقدّم البرنامج الذي

أستفزّني قليلا: اسمع، إسرائيل لم تُقم لسرقة أرض فلسطين ولا لطرد الشعب الفلسطيني ولا لإجلاء الأمة العربية؛ إسرائيل أقيمت لهدف واحد فقط: إغاظة سميح القاسم!"

– في قراءتي لك واستماعي إليك، أشعر بتسامح زائد في تعاملك مع الواقع. أنت تفهم كل الناس وتتفهم المعظم.

س.ق. "تسامح، هو تسامح. في السنوات الأخيرة دخلت في عدة حالات من الصلح العشائري في قضايا قتل وجاء يومًا ما د. غنطوس غنطوس من سخنين يريد أن يكتب كتابا عن الصّلح العشائري. وكان يتشاور معي ومع آخرين غيري. وفي إحدى الجلسات قال: قواعد الصلح هي المصافحة والممالحة (الطعام المشترك). قلت له إن هذا ناقص لأنّ الصلح يبدأ بالمسامحة ثم المصافحة والممالحة. للتسامح سببان: إذا أساء لك إنسان ما فلا تحكم عليه من هذا المنطلق فقط، فالإساءة يمكن أن تكون غير مقصودة أو عن سوء فهم أو على حق. ولكن على المستوى الأكبر لا يوجد صلح عشائري بين العرب والصهاينة."

أكتب لي قصيدة!

النساء. القصص كثيرة حول القاسم ودرويش في هذا السياق. رُويت الكثير منها وضُخّمت بعضها وبولغ في بعضها حتى غدت هذه القصص جزءًا لا يتجزّأ من هالة الشاعرين وحضورهما.

– هل يمكن أن تكون شاعرًا حقيقيًا من دون أن تكون دون جوان؟

س.ق. "لا أعرف ما الوضع بالنسبة للآخرين، ولكن بالنسبة لي لا يمكن. هناك ارتباط واضح قطعًا. العلاقة بالنساء والطبيعة والأنهار والبحيرات والجبال مثل السّفر، وإلا فإنّ الحالة تكون غير إنسانية. الدون جوانية ليست خروجًا على الإنسانية. الخروج على الإنسانية هو قمع الجّسد. لي قصيدة قديمة أقول فيها "أعينوا الجّسد". لا تقمعوه. ولا أريد أن أستعمل مصطلح "دون جوان" لأنه لم يكن شخصية طبيعية بل كان مريضًا."

– هل هناك تأثير لهالة الشاعر على المرأة؟

س.ق. "أكيد... هناك تأثير للشاعر والفنان..."

– أي أنك تأتي المرأة على جناح القصيدة؟

س.ق. "لا، هي قد تأتي إليّ على جناح القصيدة. وأنا رأسًا أنزلها إلى الواقع. ضعي الشاعر على جنب، نحن رجل وامرأة. وهناك الرومانسيات والرومانسيون طبعًا. فدوى طوقان رحمها الله كانت تحكي عن شباب يأتون إليها متيّمين بها، وكانت تضحك بخجل: قرأ لي قصيدة فصار يريد أن يحبّني. من الطبيعي أنّ كل إنسان يُنجز مشروعًا ما متميزًا يمكن أن يكون موقع جذب للنساء، حتى لو لم يكن جميلاً."

عن مواجهة المرض: *أنا لا أعرف حتى أسماء الأدوية. لولا زوجتي لا أعرف شيئًا ولا آخذ الأدوية. لا أذهب إلى مواعيد الفحص لولاها. المرض صعب، يُربك حياتك بلا شك. إلى أيّ مدى؟.. هذا يتوقف عليك وعلى معنوياتك وإيمانك*

– ولكن الطمع في حالة الشاعر أكبر.. فهي تريد أن تخلدها بقصيدة أو بيتي شعر.

س.ق. "طبعًا، طبعًا، وهذا يدخل الشاعر في ورطات وورطات. "أكتب لي قصيدة"، تقول. أسألها: لماذا؟ ما المناسبة؟ هذا طلب فيه شيء من الوقاحة. هل القصيدة جاهزة تنتظرك؟ وكأنني نجار أصنع لها كرسيًا."

– هل أثرت بك علاقاتك مع النساء تأثيرًا تراه ملموسًا وحاضرًا في حياتك اليوم؟

س.ق. "لم تكن لديّ أزمة علاقة مع النساء منذ طفولتي. أنا نشأت في مجتمع منفتح وغير ذكوري والاختلاط فيه عاديّ ومألوف. ولم يكن حضور المرأة يومًا في حياتي استثنائيًا أو مثيرًا مثلما كان المرحوم صديقي الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي يقول: "كنا عندما نسمع حفيف عباءة امرأة نُجنّ!" ومن جهتي، من الطبيعيّ أن يكون لهذه العلاقات تأثير في حياتي

وقصيدتي وسلوكي. ولكنني لم أتعامل يومًا مع المرأة باعتبارها ملاكًا أو باعتبارها شيطانًا. بعض الشعراء صنعوا منها ملاكا والبعض الآخر شيطانًا. هي إنسانة مثلي تمامًا: فيها الملاك وفيها الشيطان.

"أعتقد أنّ العلاقة مع المرأة عند كلّ رجل مرتبطة بالبيئة التي وُلد ونشأ فيها. وبيئة الفصل الحادّ بين النساء والرجال هي بيئة مريضة برأيي وتؤدّي إلى انحرافات جنسية عند الرجال وعند النساء. البيئة المغلقة هي بيئة الانحرافات– هذه قاعدة، وأقولها وأمري لله. البيئة المنفتحة إنسانية أكثر وطبيعية وجميلة أكثر."

– بتقييمك، هل صحيح أنّ كتاب غسان كنفاني هو التذكرة للدخول للعالم العربي بالنسبة لشعراء الداخل؟

س.ق. "لا. لا تؤاخذني. غسان رحمه الله أسهم بلا شك في ترويج شعر المقاومة. لكن كان هناك كاتب اسمه إبراهيم أبو ناب كتب دراسة قبل غسان (عام 1966، مجلة الآداب). ولا ننسى يوسف الخطيب وكتابه "ديوان الوطن المحتل" (1968) الذي كانت له أصداء ضخمة. وغنوا قصيدتي "ما دامت لي من أرضي أشبار" وكانوا يقدمونها يوميًا في "صوت العرب" عام 1966 قبل الحرب. مسلسل إذاعي عني في صوت العرب بُث أيضًا قبل الحرب. واكتشفتُ أنّ مجلة الجيش السّوري بدأت تنشر لي منذ 1965. ومع ذلك لا أنسى دور غسان. وأذكر عندما سافرنا محمود وأنا إلى صوفيا عام 1968 وجاء صحفي من الكويت وادّعى كذبًا أن شاعري المقاومة يحملان العلم الإسرائيلي، تصدّى لهم غسان وقال لهم: لا تتمادوا على جناحي شعر المقاومة. ودافع عنا ببسالة."

– تحضرني مقولة "يوما ما سأجد الكلمات الصحيحة وستكون كلمات بسيطة"... هذا الموتيف موجود في شعرك ونثرك، هناك سهل ممتنع وليس هناك بحث عن إعجام وتفخيم. بساطة ذكية... ولكن في "سبحة للسجلاّت" وما بعدها طرأ نوع من التركيب مقابل البساطة السابقة...

س.ق. "أنا لا أسميه لا تقدّمًا ولا تأخرًا، أسمّيه تغيّرًا وتجدّدًا. وهذا شيء طبيعيّ. لا يجوز أن نطالب شاعرًا أن يكتب في السّبعين ما كتبه وهو في الثامنة عشرة. الثقافة والتجارب تختلف. هناك الخبرة والتثقيف والخيبات.. كما أننا مبعثرون كبشر، نفكر في أكثر من أمر واحد في ذات اللحظة. ممنوع أن نتمرّد على تكويننا الإنسانيّ، هذه البساطة الصعبة. لا يوجد أصعب من السّهل الممتنع. هذا أصعب أنواع الكتابة."

– وماذا مع الجيل الذي نشأت معه غير محمود درويش. هل كانت حالة ثقافية ومداولات في سنوات الستين والسبعين؟

س.ق. "دائمًا. أعتقد أنّ حركتنا الثقافية وصلت أوجها وقتها. "الجديد" تحولت إلى نادٍ ثقافيّ، وكان معنا كتاب غير حزبيين أيضًا يكتبون، وفتحنا الأبواب حتى مع المختلف. عمّمنا مفهوم التعددية والحوار، وأصبحت مجلة "الجديد" ناديًا يأتي إليه الجميع، وصارت منتدى للشعراء والأدباء والمفكرين للنقاش والحوار."

– وعملية التأثر هل كانت مع شعراء آخرين غير درويش؟

س.ق. "هذا كان بيني وبين محمود فقط، لأننا كنا نسكن في نفس الدار أو كنا جيرانًا ونلتقي يوميًا ونسهر ونقرأ لبعضنا البعض. كنا نعمل في نفس المكان ونقابل نفس النساء ونأكل في نفس المطعم ونقبع في نفس السّجن. حياة مشتركة أدّت إلى هذه التأثرات."

– ما يشبه الكومونة.

س.ق. "صحيح. بالضبط. أحيانًا يجوع واحد منا فيقوم أصدقاؤه بتوفير العشاء له، حتى لو لم يكن معهم الكثير."

– وضعكم أفضل من وضعنا اليوم بكثير.

س.ق. "من الناحية الاجتماعية والإنسانية- أكيد. لكن وضعكم الاقتصادي أفضل من وضعنا وقتها بمئة مرة. نحن كنا فقراء بكل معنى الكلمة ونجوع حقًا. وكان لدينا نوع من المكابرة؛ فأهلنا وضعهم جيد وعندما آتي إلى الرامة يعرض أبي وأمي النقود علي فأنتفض: أعوذ بالله! الحزب يعطيني معاشًا ممتازًا، بينما أكون قد صرفت ثلاثة معاشات سلفًا. ومحمود نفس الشيء. قبلنا الحياة كما هي وتمرّدنا عليها كما هي، بلا مبالغات."

- كيف ترى جيل الكتاب الفلسطينيين الشباب اليوم؟ هل تتابع أحدًا ما؟ قرأتُ مؤخرا للشاعريْن سامر خير ونمر سعدي، هل تقرأ لهما مثلا؟

س.ق. "أنا أتابع الجميع، شعرًا ونثرًا. لدينا طاقات جيدة وقوية وجميلة. وقرأت طبعًا الشاعرين سامر خير ونمر سعدي، وهما شاعران جيدان، لكل منهما صوت خاص ومتفرّد. لكن في المجمل، أنتم لم تبلورا تحدياتٍ مشتركة. كل واحد يغنّي على موّاله وخلق لنفسه تحدّياته الشخصية. لا يوجد بينكم هذا اللقاء والترابط حتى لو انعدمت المحبة. لا يوجد عمل جماعيّ. وبما أنّ كتابة القصيدة عمل فردي جدًا، يجب من أجل التوازن أن يكون احتكاك جماعيّ. حتى اتحادات الكتاب التي كانت تنشأ، كانت تنشأ بألفة ومحبة ويأتي الكتاب متحمسين، وأحيانا بالتزكية. وعملنا وأصدرنا مجلات قدر الإمكان."

القاسم يرى وجوب عودة مجلة مثل "الجديد" لتكون مركز الحركة الثقافية في بلادنا، "ويجب ألا تكون حزبية". لكنه يعي مطبّ العامل الاقتصادي المنهك وعلاقته الشائكة مع المضامين في مثل هكذا إصدارات: "رجاء النقاش كان يحرّر فيما مضى مجلة الدوحة على ما أعتقد. كانت مجلة ضخمة. قلت له: عيب عليك أن تصدر مجلة ثقافية بهذه الفخامة. قال لي: يموّلونها أناس لا يعرفون العيب!.. ومرة اتصلوا بي لكتابة صفحة على أن أحدّد السعر الذي أريد. قلت لهم: لا أريد أن أكتب لكم صفحة وحدّدوا السّعر الذي تريدون."

عن المُتع الصغيرة: *أحبّ أن ألعب "المحبوسة" مع أصدقاء ومعارف. كنت ألعبها مع محمود رحمه الله ومع أدونيس أطال الله بعمره، ومع صليبا خميس وحنا أبو حنا.. مع الأصدقاء المقرّبين. ألعب "الترنيب" (الوِست) من ألعاب الشدّة*

– مشكلتنا اليوم أن الثقافة تنعدم حيث النقود، والنقود تنعدم حيث الثقافة.

س.ق. "صحيح، صحيح. والمشكلة الجماعية. أنشأوا مؤخرًا اتحاد كتاب، لكنه تبيّن كأمر هزيل وفيه شخصنة للأمور. واُستغل اسمي وأسماء آخرين بقلة أدب. فيأتيك شاب ويقول نريد أن ننشئ اتحاد كتاب ونريدك أن تكون على رأسه، أقول له شكرًا لا أستطيع، ولكن احذروا التعصّب الحزبيّ والطائفيّ والقبليّ وتذكّروا أنكم أبناء شعب واحد. فيقول: على راسي. ولكن يتضح في النهاية أنّ الأمر ليس كذلك، بل ألعاب شخصية... شغلة صغيرة جدًا. وأنا وحنا أبو حنا ومحمد علي طه باركنا لهم على أساس أن يكون وفق تصوّرنا. هذه حرب صبيانية!

"هذا الفرق. لديكم طاقات ممتازة، وتوجد أسماء موهوبة ولغة جميلة وأفكار حرة وجريئة ولكن لا توجد هذه الحالة الجمعية. ينقصكم أن تُطيّبوا لبعضكم البعض. واليوم مثلا انعدمت المهرجانات الشعرية المشتركة على خلاف ما كنا... وأمر آخر: إذا رأى أحدهم اليوم اسمه في الجريدة يعتقد أنه شاعر عظيم. يعتقد أنه وصل الأوج والقمة رغم أنّ كلمة شاعر بالنسبة له ليست مبررة حتى الآن."

– قد يكون الانفتاح الإعلامي وسهولة النشر اليوم ولدا تنافسًا غير صحّيّ.

س.ق. "ولكن تظل هناك ولدنة وصبيانية. الأمر لا يصبح مسألة شاعر أكبر من شاعر، بل تظلّ المسألة "ولد أكبر من ولد". هذا يحكي أكثر وينشر أكثر وصورته أكبر، ولكن في النهاية: لا هذا شاعر ولا ذاك شاعر. ما هي قيمة نصّك وقيمة نصّه؟ هكذا يجب أن يُسأل في البداية قبل المعركة على النشر."

– ناهيك عن غياب الدور التاريخيّ للمحرّر.

س.ق. "كنت أستلم في "الجديد" مئة قصيدة فأنشر اثنتين. وقصتي مع توفيق طوبي معروفة: أحد الشعراء من المثلث بعث بقصيدة إلى "الاتحاد" وكنا في موسم انتخابات، وكنت أنا المحرّر الأدبي في الصحيفة. قصيدة من قرابة 20 بيتًا، ضعيفة وهشة، فعدّلت 6–7 أبيات ونشرتها. في اليوم الثاني أو الثالث دخل عليّ توفيق طوبي: يا رفيق ماذا فعلت بنا؟.. قصيدة فلان لماذا لم تنشرها؟ قلت له: أنت تكتب في "الدّرب" (مجلة نظرية وقتها– ع.ح.)، هل سألتك مرة لماذا نشرت هذا المقال وذاك لم تنشره؟.. الأدب من اختصاصي وليس من اختصاصك ولن أنشر قصيدة مكسّرة. فقال: ولكنك ستضيع علينا ألف صوت. أجبته: في ستين داهية!

في هذا السياق يروي القاسم وهو يضحك عن تلك الصبية المبتدئة التي اتصلت إلى بيته قبل فترة، وقالت لزوجته إنها ترغب بالحديث مع سميح القاسم. فلما سألتها من تكون، أجابت: زميلته. أنا شاعرة أيضًا".

ياسر عرفات والقاسم. تحفظات على أوسلو

عرفات وعباس: من أكثر دهاءً؟

– كيف كانت علاقتك بياسر عرفات كشاعر مقاومة، عبر تأسيس المنظمة وولادة قيادة فلسطينية وأنت هنا في الجليل؟ من هو هذا الرجل برأيك؟

س.ق. "ياسر عرفات كان إفرازًا طبيعيًا لحالة شعب تحوّل إلى شعب لاجئين ومضطهدين. طبيعة التاريخ تفضي إلى إفراز شخص يقول لا نحنا لسنا لاجئين، نحن شعب. ونحن لدينا وطن وقضية. صحيح أنّ هناك من تكلم في هذا قبل عرفات مثل أحمد الشقيري، لكنّ القضية الفلسطينية كانت قبل عرفات جزءًا من اللعبة السياسية العربية والدولية. فإذا كان نظام معين راضيًا عن الشقيري يستقبله وإذا لم يكن راضيًا عنه يطرده. في عهد ياسر عرفات تحوّل الوضع إلى قيادة خاصّة فلسطينية من دون الانقطاع عن عُمقها العربيّ. وأنا لا يمكن أن أقبل أبدًا بالتنازل عن عمقنا العربيّ. القضية الفلسطينية هي قضية عربية في النهاية، وياسر عرفات أخرج القضية الفلسطينية من الحيّز العربي إلى الحيّز الدوليّ. أصبحت قضية وطنية بشكل بارز وقضية قومية للعرب وقضية دولية. وبغضّ النظر عن تفاصيل الموقف العرفاتي والثغرات التي يمكن أن نجدها في موقفه، إلا أنّ الخلاصة تبقى أنّ عرفات هو القائد الفلسطينيّ الأول الذي بلور القضية على المستوى الوطني الفلسطيني والقومي العربي وعلى مستوى العالم الإسلامي. فهو نجح في تحويل القضية الفلسطينية إلى جزء من الهمّ الإسلامي عبر منظمة المؤتمر الإسلامي."

– لكن البعض يقول إنّ انتهاء كل هذا باتفاق أوسلو هو أمر سيئ.

س.ق. "بعد أوسلو طلبت مني مجلة "المصوّر" المصرية أن أكتب مقالا، فكتبت مقالا فيه حزن وقرأه أبو عمار. بعدها كنت في المغرب، وقرابة الواحدة صباحًا جاء شباب إلى الفندق وقالوا إنّ الأخ أبو عمار يرغب برؤيتك. فتفاجأت أصلا أنه يعرف بوجودي في المغرب. قال لي: قرأت مقالك، لماذا أنتم زعلانون؟ قلت له: من تقصد بأنتم؟ أنا كتبت مقالا باسمي أنا. قال: المثقفون الفلسطينيون. قلت له: أنا لا أحبّ المزايدة ولن أزايد عليك، أعرف أنّ ظروفك غير ظروفي، أنا شاعر وحرّ وأنت تعمل في السّياسة ولك حدودك وقيودك. لكن مساحة ما أُعطِي لشعبنا في

أوسلو أقلّ من مساحة الدم الفلسطيني الذي سُكب. دمنا أوسع من أوسلو. وأنا لديّ على الأقل 10 نقاط حول أسباب اعتراضي على أوسلو. فقال: وأنا سأعطيك عشرة أسباب أخرى! قلت له: أبو عمار أنت ذكيّ وليس من السّهل الحوار معك. ولكن إذا كنت ستعطيني عشرة فوق العشرة فماذا تبقى؟ فقال: لماذا تسألني أنا؟.. إسأل عربك واسأل الوضع الدولي. لقد تُهنا. ماذا تبقى لنا بأيدينا؟ أيّ أوراق نحمل نحن؟.. وفعلا كان وقتها انهيار الاتحاد السوفييتي والوضع في العراق وغيره. لم يكن بأيدي القيادة الفلسطينية أيّ شيء.

"ما كان ممكنا وقتها تحسين شروط النقاش مع الاحتلال الإسرائيلي. لكنّ الشعب الفلسطيني شعب مقاتل وليس شعب مفاوضات، صراحة. في حينه كان نقاش أيضًا بيني وبين إدوارد سعيد ولم يعجبني موقفه لأنه شارك في المفاوضات بداية، هو وإبراهيم أبو لغد، وبعدها لاحظ أبو عمار أنهما رومانسيان أكثر من اللازم من وجهة نظره. فلم يتفقوا. لم تكن لدينا أطقم مفاوضات مع خبرة ووثائق. حتى خرائط لم تكن متوفرة بما يكفي عند المفاوض الفلسطيني. حتى في "غزة أريحا أولاً" لم يجرِ التمييز بين أريحا المدينة وبين أريحا المحافظة؛ لم يدخلوا في هذه التفاصيل فتورّطوا وورّطونا. ولكن بين هذا وبين نعته بالخيانة والتفريط لا يجوز، حرام. التخوين سهل جدا، ويمكنني أن أخونك ويمكنك أن تخونني، ولكننا في المحصلة لم نكن قد فعلنا شيئًا بهذا.

"الإسرائيليون ليسوا سهلين، لا في سياق الكلام القديم عن قتل الأنبياء وغيره، ولكنهم ليسوا سهلين في الحوار السياسيّ. لديهم مشروع ويعملون في إطاره ويلفون ويدورون ويرجعون إليه. في المقابل، لم نكن نحن نملك مشروعًا واضحًا. كنا نقول "التحرير والعودة". لكنّ هذا شعار، وليس مشروعًا بتفاصيل: كيف نحرّر وكيف نعود؟ لم يكن خطة عمل، كان حلمًا فقط."

- أي أنّ أوسلو أنهت مرحلة الشعار هذا.

س.ق. "طبعًا، طبعًا. يوجد واقع وممارسة على الأرض واحتلال ومئات الحواجز والمستوطنات. يقولون "القدس عربية إلى الأبد". يمكننا أن نقول ذلك ونكتبها شعرًا –أنا أصدرت كتابا عن القدس– ولكن ماذا بعد ذلك؟ يوجد تهويد يوميّ للقدس. ماذا سنفعل في وجه التهويد؟ العربي

الذي يريد بيع بيته بمئة ألف دولار، كيف سنجمع مئة وعشرة آلاف دولار كيف لا يبيعه للأمريكان والمشروع الصهيوني؟ هذا يستوجب عملا. هذا كان حديثنا الدائم أنا وفيصل الحسيني، رحمه الله، أنّ الفلسطينيين والعرب يطلقون الشّعارات، ولكن في الواقع عندما كانت عائلة عربية ترغب ببيع بيت في القدس كان فيصل يذهب ويأتي مثل المجنون: تحدّث مع أبو عمار وتحدث مع فلان، نريد ونريد ونريد. مليونير يهودي واحد (ميسكوفيتش) يدفع لتهويد القدس أكثر ممّا تدفع في المقابل الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي وهيئة الأمم المتحدة. يدفع ملايين الدولارات سنويًا لتهويد القدس، ونحن ماذا لدينا؟.. خذ مثلا عندما رفعوا شعار الأقصى في خطر، قلتها أكثر من مرة: ليس الأقصى الذي في خطر– هناك ثلاثمئة ألف فلسطينيّ في القدس هم الذين في خطر! الخطر عليهم أشدّ من الخطر على الأقصى. الرسول قال إنّ قطرة دم أهمّ من الكعبة. حتى لو هُدم الأقصى فيمكن بناؤه من جديد. ولكن هناك 300,000 إنسان يعيشون في القدس ولا أحد يلتفت إليهم أو يدعمهم. وما زلت أكرّر حتى اليوم هذا الكلام. للأقصى رب يحميه ولكنيسة القيامة رب يحميها– نحن الذين في خطر، شعبنا.

"أنا أعي أنّ هناك خطة لبناء الهيكل وهم يحفرون الأنفاق، هذا صحيح. توجد في إسرائيل حكومة ظلّ من المستوطنين واليمين الفاشيّ. هم من يحكمون إسرائيل فعليًا. قتلوا رابين ويمكنهم أن يقتلوا من يريدون. ولذلك أقول إنه لا ينبغي الذهاب إلى التكفير والتخوين.

"كمال ناصر قال عن الدول العربية: الخيانة أصبحت وجهة نظر. عندما يصبح الأمر كذلك فماذا تبقى لنا سوى إرادتنا وحلمنا وحقنا؟"

– لنتحدث عن الوضع اليوم مع محمود عباس، والانشقاق مقابل حماس ووضعية المفاوضات اللانهائية ومستوى القيادة التي لا ترقى لمستوى عرفات... يجوز أنه رغم حصار بيروت وأيلول الأسود فإننا نمرّ اليوم أصعبَ فترة في تاريخ الشعب الفلسطيني: لا قيادة، لا طريق، لا وحدة، شعب ضائع...

س.ق. "أنا لا أحكم على محمود عباس من خلال كلامنا، بل بحسب ما يرى فيه الإسرائيليون وأمريكا والعالم. بهذا المعنى، يتضح أنّ عباس أكثر دهاءً من أبي عمار. فأبو عمار كان عندما لا يعجبه أمر ما يضرب على الطاولة ويقول: "خلاص! مفيش!" أما عباس فلا يضرب على الطاولة، بل يقول: أنا أريد مصالحة "حماس" ولكنني لن ألغي المفاوضات. المفاوضات والحلّ السلميّ إستراتيجية لدينا. مصالحتي مع حماس من أجل هذه الإستراتيجية. من يُجنّ من هذا؟ نتنياهو. لدرجة أنّ نتنياهو في لقاء مع قادة اليهود في الولايات المتحدة قال لهم: أخطر عربي على إسرائيل اليوم هو محمود عباس. لماذا؟ لأنه يمسك بهم في عنقهم ولا يتركهم. يتحدّث عن المفاوضات والحلّ السلمي. عباس أكاديميّ وباحث، وهو يعرف ما العقل الصّهيوني، ويتعامل معهم ببرود وهذا يبعثهم على الجنون. يريدونه أن يقول: أريد حماس ولا أريد السّلام معكم، لكنه لا يقول هذا. ثم يقول خالد مشعل بذكاء كبير: نحن أوقفنا الكفاح المسلح ونحن الآن سننتهج المقاومة الشعبية. هذا ذكاء خارق أيضًا."

- هذا الكلام محرج لنتنياهو؟

س.ق. "طبعًا محرج. فهو يريد من حماس أن تقول إنها تريد القضاء على إسرائيل، بينما هم يقولون اليوم: دولة في حدود 67. هذا إنجاز كبير لعباس ومشعل وهذه ورطة كبيرة لنتنياهو وحكام إسرائيل. كما أنّ الغرب يحترمه إلى أقصى الحدود."

- كما أنّ صورة عباس الجماهيرية المعروفة ليست مقاتلا ببندقية.

س.ق. "نعم. فهو يقول لهم: أنا أذهب إلى الأمم المتحدة من دون مسدس وغصن زيتون (كما قال عرفات وقتها- ع.ح.). أنا ذاهب بغصن زيتون فقط. خطابه الأخير في الأمم المتحدة كان ضربة معلم."

- لكن هناك قطاعات وحركات سياسية غير قليلة ترى أنّ هذا النهج غير صحيح. نحن بحاجة إلى المقاومة الشعبية وحلّ السلطة الفلسطينية ووقف المفاوضات العبثية.

س.ق. "أمر طبيعي، فنحن الشعب الفلسطيني، نحن لسنا قطيعًا. نحن لسنا شعبا شموليا، يطيع الزعيم بشكل أعمى. نحن شعب حيّ وحرّ مثل كل شعوب العالم ولدينا تعدّدية. عندنا فتح وحماس والشعبية والديمقراطية وحزب الشعب وحركات أخرى كثيرة، وهذا دليل عافية وليس دليل مرض. التعدّدية الفكرية والسّياسية والإيديولوجية لدى الشعب الفلسطيني هي دليل عافية. أعرف أنّ هناك من يقولون إنكم شعب ممزّق. لا، لسنا شعبًا ممزقًا، هذا هو الأمر الطبيعيّ. أنظر إلى شعوب العالم، أنظر إلى اليهود هنا. في داخل حزب الليكود تجد فيغلين ومريدور وتيارات أخرى. وأنا ضدّ أن يُكثف الحوار الفلسطيني–الفلسطيني بين فتح وحماس. أنا أصرّ دائمًا على أن تكون الشعبية والديمقراطية وحزب الشعب في صلب الحوار. لا نريد حزبًا جمهوريًا وحزبًا ديمقراطيًا (على غرار المنظومة الأمريكية– ع.ح.)."

– إذًا فأنت لا ترى الوضع قاتمًا.

س.ق. "لا، لا ليس قاتمًا. لكنني أرى أنّ الوضع معقد جدًا. ولكن مهما يتعقد الوضع ففي المحصلة نحن موجودون بين البحر المتوسط ونهر الأردن. وموجودون بكثافة ونزداد ولا مفرّ أمام الصهيونية: إما دولة ثنائية القومية وأهلا وسهلا، وإما دولتين لشعبين. لسنا نحن المحرَجين. نحن في صراع منذ مئة سنة ولا ضير لو استمرّ الصراع مئة سنة. ماذا سيجري لنا؟"

– أنت تكتب في مطلع سربية "عجائب قانا الجديدة.."[9]: "أنا كفٌّ يدْ/ فقدت يديّ، فقدتُ الجّسدْ/ أنادي. أنادي. وما مِن أحدْ/ أنا كفّ يدْ/ وعمري ثلاثُ سنينْ/ تكسّرَ عظمي القليلْ/ وضاعَ فمي في الرّكامِ الثقيلْ..". هذا الحزن في هذه السّربية، كيف يستوي مع البراغماتية التي تحلل بها الوضع؟ تكتب بحزن عميق وتحلّل ببرودة كبيرة.

س.ق. "أنا تابعت العدوان على لبنان يومًا بيوم وساعة بساعة ودقيقة بدقيقة. ورأيت دمى الأطفال وأيدي الأطفال والبيوت المدمرة ورأيت الختيار الذي نُسي في البيت وجاءت ابنته تبحث عنه في البيت. رأيتها وعشتها. كانت هذه السربية التعبير العفوي عن الذي رأيته. لكن هذا

مردوده كما أرى تعميق الوعي العربي بضرورة المقاومة. كفّ الولد المقطوعة والدمية المرمية بين الأنقاض، هذه ليست دعوة يأس بل دعوة مقاومة مثل كلّ السربية، من خلال إظهار بشاعة العدوان وحقارة المعتدي. لا أريد أن أصور المقاتل البطل والشجاع فقط، بل أريد أيضًا تصوير الجثة والطفل. وأحيانا تختلط المقاومة مع البشاعة والفظاعة: "رأيت رأي العين/ مقاتلا في العاشرة/ يمشي بلا ساقين/ ووجهه للناصرة". رجلاه مقطوعتان لكنني لست كاميرا أصوّر فقط، بل أنا شاعر أصوّر وأعبئ وأشحن. هذا الولد سيمشي بلا ساقين ووجهه لبلده ووطنه.

"وبالنسبة لقضية الحوار السياسي، قلتها من قبل: قصيدتي لا تفاوض، قصيدتي لا تعرف الخرائط.. أين 67 و73. قصيدتي لها وطن، الوطن كله. لذلك قصيدتي لا تقف عند الحاجز، "المحسوم". أنا أقف عند "المحسوم" لكن قصيدتي لا تقف. تتجاوزه غصبا عن الجيش الإسرائيلي والاحتلال والأمم المتحدة والعالم كله. هي حرة، تتنقل كما تشاء. يستطيعون منعي من دخول بلد، لكن لا يستطيعون منعها. يافا وطني ورام الله وطني، القدس وطني والرامة وطني، الجش وطني وبئر السبع وطني. الاتفاقيات لا تعني لي شيئا في الشعر. لكنني لست شاعرًا فقط، أنا رجل سياسة أيضًا. والرجل السياسي يدخل في مواجهة مع الشاعر."

- إنفصام أو ازدواجية؟

س.ق. "لا لا أبدًا. الازدواجية والفصام هما أمران سيكولوجيان إكراهيان. أنت تُصاب بالفصام كمرض، لكن في حالة الشّاعر والسياسيّ الأمر يكون بوعي كامل. هذه ليست حالة مرضية. أعرف ما تريده القصيدة، ولكن السّياسي يعرف أيضًا أنّ ما تريده القصيدة يواجه حواجزَ ودباباتٍ وسلاحَ جوّ وجيشًا وصراعَ مصالح ودولاً. إذا تجاهلت الواقع السياسي في العالم والمنطقة أصير شاعرًا رومانسيًا أهبلَ. أنا منخرط في الحياة السياسية لشعبي، ولذلك إلى جانب القصيدة أعطي أيضًا فرصة للحلّ السّياسيّ المرحليّ. فكلّ الحلول السياسية بالنسبة لي مرحلية. أصلا إذا قامت الدولة الفلسطينية فهل يعني هذا النهاية؟ لا، هذه مرحلة. الحلّ النهائيّ لدي هو دولة عربية ديمقراطية كاملة من المحيط إلى الخليج. هذه رؤيتي السّياسية والشعرية، وبحق

وهذا ليس مستحيلا وثورات الربيع العربي أكدت لي أنّ كل الأمة العربية تعيش على هذا الحلم."

بلاد العُرب ثوري

– الثورات العربية بحاجة إلى وقت، هناك أنظمة بعد رحيل الزعيم وحالة سياسية واجتماعية.

"طبعا. المجلس العسكري الأعلى في مصر الآن هم ضباط مبارك، هو من علمهم. هم يحاولون سرقة الثورة. طبعا هناك أمريكا وروسيا، وإسرائيل تلعب في هذا الملعب. نحن لا نعيش على كوكب آخر. لذلك توجد محاولات لسرقة الثورات العربية والالتفاف عليها. أنا مطمئن إلى حدّ بعيد من أنّ الحركات الإسلامية التي صعدت إلى السلطة أعقل من أن تضيع الثورة. في تونس الإسلاميون يتحدثون كلامًا عقلانيًا وفي مصر الإخوان المسلمون أثبتوا أنّ لهم عقلاً وتفكيرًا سياسيًا، وأنا لا أتحدث عن السلفيين الذين أسميهم "السّفليين". كنت أفضل أن يمسك الحكم الليبراليون والتقدميون والعلمانيون، ولكن فلنعد إلى العقلانية السياسية: هذا ما أفرزته الانتخابات. هذا أمر مرحليّ. لا يجوز أن ألطم. عليّ التعامل معه بواقعية."

– لكن العقدة الأكبر اليوم هي سوريا، بحكم موقعها في تيار الممانعة.

س.ق. "أتركني من تيار الممانعة. قضية المقاومة والممانعة وأنّ ما يحدث مؤامرة عليهما، هذا كلام لا يسري لديّ. من قال إنّ المقاومة والممانعة ضدّ الديمقراطية؟ بالعكس تمامًا: الديمقراطية تجعل المقاومة والممانعة أقوى وأشدّ وأعمق. لا يجوز باسم الممانعة أن يكون حزبٌ واحد يحكم سوريا. لا يجوز. هذه لم تعد مقاومة، هذا استعمال شعار المقاومة والممانعة لإسكات الشعب. "لا صوت يعلو على صوت المعركة". ولكن لا توجد معركة؛ أين المعركة؟ أنا أعرف محاذير القيادة السورية في مواجهة إسرائيل، ولكن نحن نتكلم منذ 40 سنة عن المقاومة والممانعة ولا توجد مقاومة. ماذا تعني الممانعة؟ مفاوضات؟ لقد حدثت بالفعل بين المرحوم حافظ الأسد

وإسرائيل. من قال إنّ المقاومة والممانعة تعنيان قهر الشعب ومنع الديمقراطية؟ بالعكس. التعدّدية تجعلهما أقوى وأصدق وأكثر تجذرا في الشعب."

– هذا ناهيك عن وطنية الشعب السوري وأنه لن يصبح عميلا للغرب.

س.ق. "لا، أبدًا. نتيجة لتربية تاريخية، ومن أيام الثورة على العثمانيين، سوريا تصدرت وقدمت شهداء علقوا على المشانق في دمشق وبيروت وعكا. بلاد الشام تاريخيًا فيها الزخم القومي وهذا الزخم تُرجم للممارسة. سوريا المسلمة السنية كان لها رئيس حكومة مسيحيّ، وفيها وزير أوقاف مسيحيّ! سوريا المسلمة السنية منحت قيادة ثورتها الكبرى لسلطان باشا الأطرش الدرزيّ. سوريا المسلمة السنية أعطت قيادة الثورة في مرحلة معينة للعلوي صالح العلي. ليست هناك مشكلة دين ومذهب لدى الشعب السوري. الإنسان يُحاسَب على موقفه وآرائه وتصرّفاته. أنا لست خائفًا. يُخوّفون المسيحيين والدروز والعلويين بأنّ الأصوليين سيستلمون الحكم ويقومون بالمذابح ضدّهم. ولكن هذا الكلام افتراء وتزوير على الشعب السوري. أديب الشيشكلي صنع انقلابًا وأرسل طيارات ودبابات تضرب جبل الدروز. اختلفوا معه. قالوا له أنت عميل أمريكي، لا تهمك فلسطين ولا سوريا. من تمرّد ضدّه؟ حلب السنية ودمشق السنية. حلب هبت هبة رجل واحد وهدّدوه بالهجوم على دمشق. ثم أسقطوه وطردوه من البلاد. أنا لست خائفًا على الشعب السوري رغم وجود أصوات "سفلية" تحرض: الكفار الشيعة، الكفار العلويين، النصارى، الإسماعيليين... لكن هؤلاء ليسوا الشعب السوري. وإذا نجح الإخوان المسلمون باستلام الحكم فليكن."

– ماذا سيحدث برأيك في الثورة السورية في ظلّ تصادم القوى العالمية؟

س.ق. "إستمرار النظام غير وارد بالحسبان. لم يعد أيّ مبرر لبقائه في الحكم بعد آلاف الضحايا، رجال ونساء وأطفال. هل تتخيل الدبابات الإسرائيلية تضرب كرميئيل؟ هل يمكن تخيّل هذا؟ ما يحدث أمر لا يقبله العقل. كيف يمكن لجيش عربيّ سوريّ له تاريخه يحاصر حمص وحماة ويحرق ويضرب ويقتل– كيف؟ أين العروبة؟"

– لدينا هنا أيضًا تيارات وحركات سياسية فلسطينية وشرائح غير مُأطّرة حزبيًا تقول إنه يجب بقاء النظام وهذه ثورة مأجورة. كيف يعجز بعض الفلسطينيين عن فهم ما يمرّ به السوريون الثوار، فنحن شعب ثائر؟.. أين الخطأ؟

س.ق. "أولا هناك حقيقة أنّ سوريا قالت لا للأمريكان وهي تدعم المقاومة في لبنان وفلسطين. هذه حقائق تاريخية. ولكن هل يكفي هذا لاتخاذ موقف كهذا من سوريا؟ لا. عيب وحرام. بالمناسبة، أنا أول من ذهب إلى سوريا من فلسطين الداخل، في أيام حافظ الأسد. ورأيت تماثيله في كل مدينة.. فسألت أحد الوزراء هناك لماذا هذا التقديس غير المبرّر لشخصية الزّعيم؟ فهو لم يصنع من البلد دولة صناعية كبرى مثلا ولم يحرّر الجولان... لماذا تصدّر البعث كل شيء في الحياة السورية؟ أنت لا تستطيع أن تكون مدرسًا إذا لم تكن المخابرات راضية عنك. يجب أن نتحلى بالحساسية تجاه هذا الشعب. لا يكفي أن يكون النظام ممانعًا ومقاومًا، أنا يهمّني كيف يعيش ويحسّ 23 مليون سوريّ. الشعب السوري مقموع وخائف وعليه أجهزة مخابرات لا تعدّ ولا تحصى، وهو ليس حرًا. الأحزاب التي كانت في الجبهة الوطنية مثل الحزب الشيوعي والناصري والقومي... كانت في السلطة ولها وزارات، والآن ممنوع إصدار الصحف وممنوع أن ينشطوا بين الجيش وبين الطلاب وبين العمال، فأين سينشطون إذًا؟

"لذلك، فإنّ الموقف السّياسي وحده لا يكفي لتبرير مكابدة الشعب السوري. أنا قلبيا مع بقاء بشار الأسد بشرط أن يحقق الديمقراطية في البلد وتعددية الأحزاب وانتخابات تعددية، ولو قام بذلك لما تنازل عنه الشعب السوري مدى الحياة. لكن اليوم انتهى هذا. اليوم يوجد آلاف الضحايا ودماء. ولكن للأسف الشديد أن النظام لم يحافظ على علاقة إنسانية منفتحة مع شعبه. القذافي كان يسب إسرائيل وعلي عبدالله صالح يسب إسرائيل وصدام حسين كان يسب إسرائيل وأمريكا. هذا الموقف هو أنانية كبيرة منا كفلسطينيين."

– في نظرة إلى الوراء، هل أنت نادم على علاقتك مع النظام في سوريا؟

س.ق. "أبدًا. أصلا، في بداية العلاقة أنا كتبت أقسى نص يمكن أن يُكتب ضد زعيم عربي. كتبته ضد حافظ الأسد بعد مذابح تل الزعتر والنهر البارد في لبنان. ووصفته بمقولة "حافظ كوهن" (على غرار إيلي كوهن، الجاسوس الإسرائيلي في دمشق– ع.ح.)، ولا أتصور أنّ عربيًا آخر كتب مثل هذا الكلام على رئيس عربيّ. والعراقيون نشروا المادة وعمموها إلى أن أتاني اتصال من باريس. شخص يقول: أنا مدير التلفزيون السوري، السيد الرئيس يريد أن يراك. أهلي قالوا لي إنّ مصيري سيصبح مثل مصير الصدر (الذي اختفى بإيعاز من القذافي– ع.ح.) إذا ذهبت، قلت لهم: أنا لست الصدر وحافظ الأسد ليس معمر القذافي. وذهبت للقائه. قال لي: لا يوجد ضابط سوري لا يحفظ شعرك، وأنا أحفظ شعرك أيضًا. نحن نعتبرك شاعرنا القومي ولديك معلومات خاطئة عما حدث في لبنان. وشرح لي وجهة نظره وقال لي اسأل أبا عمار. سألته واتضح أنّ الكثير مما قاله حافظ الأسد صحيح."

– مثل ماذا؟

س.ق. "أنه وفر معسكرات تدريب للمقاتلين الفلسطينيين في سوريا التي تحملت كل النفقات. بعد فترة ضُبطت مجموعة من الذين تدرّبوا في هذه المعسكرات، كانت قادمة لاغتيال الأسد. سألت أبا عمار فقال هذا صحيح ولكنني لست من أرسلهم. مع كل ذلك فإنّ هذا لا يبرئ النظام السوري بالمرة. وبعد لقائي به نشأت علاقة شخصية معه. يداي نظيفتان وقسما بالله أنا لم آخذ منهم حتى نفقات سفري. لم آخذ شيئًا من سوريا رغم أنه يمكنني أن أطلب وأن آخذ الملايين. هذا كلام للنشر: أتحدّى أيّ نظام عربي أو مسؤول عربي يقول إننا دفعنا له. ولكن إذا جاءتني جائزة من الكويت، مع أنني لم أكن فيها، فهذا حقي وإذا جاءتني جائزة أدبية من مصر فشكرا جزيلا. طبعًا يستضيفونني ويدفعون نفقات الفندق. ويمكن أن تؤدي العلاقات الشخصية إلى تنمية علاقات أفضل بالنسبة لشعبنا. يوجد عدد هائل من الفلسطينيين في سوريا وما الخطأ إذا كانت علاقاتي الشخصية هناك كعلاقة ندّ وليس كبائع ومشترٍ، تحمل المصلحة لشعبي؟ لم لا؟ أكرّرها: أنا لا أعيش في كوكب آخر، أنا أعيش على الأرض.

”لا، لست نادمًا على علاقتي وصداقتي. أنا آسف أنّ هذا النظام يسقط، لأنه قوميّ وعلمانيّ وتقدميّ ومقاوم، ولكن هذا لا يكفي. الشعب السوري له حق عليّ، برقبتي، ألا أخونه. الشعب السوري ثار من أجل حقوق مشروعة. وأنا نبّهت النظام أكثر من مرة في لقاءات شخصية وكتابات ورسائل، ولكن ماذا أستطيع أن أفعل؟

”أنا حصلت على ثلاث دعوات شخصية للعراق، للمربد، أيام صدام، وكان الجواهري والبياتي يقولان لي: هل ستذهب من دوننا؟ لم أذهب. أنا متضامن مع الشعب. في السنة الأخيرة وصلتني أكثر من دعوة من السودان عبر وزارة الثقافة. رفضت أن أذهب لمباركة تقسيم وتضييع جنوب السودان. أنا أتهمكم بتضييع جنوب السودان. لم أذهب. علاقتي بأيّ نظام محكومة بعلاقتي بالشعب أولا.“

– لا زلت أذكر لليوم صورك أثناء زيارتك لمخيم اليرموك في سورية...

”نعم. الشعب هناك، بلا مؤاخذة، حملني على الأكتاف سبعة كيلومترات. شعبنا الفلسطيني. كان عرسًا. وحضر جورج حبش وأبو علي مصطفى وأحمد جبريل ونايف حواتمة، كل القيادات الفلسطينية التي كانت في سوريا شعرت بانتعاش من جولتي في سوريا.“

تفاصيل الشّاعر

– من بين 60–70 إصدارًا لك حتى اليوم، هل هناك كتاب أو ديوان هو الأحبّ لديك؟

س.ق. ”لا. كلّ مجموعة وكتاب صدر في مرحلته وكان له دوره في تلك المرحلة. وتجد شعراء مثلا يصدرون الأعمال الكاملة ويتجاهلون المجموعة الأولى. أنا لم أتجاهل مجموعتي الأولى ”مواكب الشمس“، مع أنها كانت ساذجة من ناحية فنية. قصائد كتبها ابن 12 و13 و15 عامًا، من الطبيعي أن تكون فيها سذاجة لكن فيها صدقًا وعفوية لم أتنازل عنهما. واكتشفت أيضًا أمورًا مثل قصيدة ”ليست جميلة“، ساذجة ولكن فيها شيء خاصّ.. كان أبناء جيلي جميعهم يتغزلون ويبحثون عن المرأة الجميلة، ولكن شابًا في السابعة عشرة من عمره يقول لهم:

وما لها غير الجميلة؟ هي إنسانة أيضًا ومن حقها أن تُحِب وتُحَب. هذه القصيدة لفتت نظري لاحقًا ربما بعد خمسين عامًا، رغم أنني كتبتها وعمري 17 عامًا ولم يكن ينقصني نساء جميلات من حولي.. هذا نوع من التمرّد على الذائقة والمفاهيم، ثورة إنسانية."

القاسم ونزار قباني

– لا يمكن إذًا فصل قراءة النص الشعري عن القراءة التاريخية؟ هل هناك شعر مطلق؟

س.ق. "لا، لا يمكن. لا يوجد شعر مطلق. الحديث عن هذا فيه سذاجة وربما نوع من الجهل والغباء. عن أيّ مطلق يتحدثون؟ هل سيكون ما كتبته وعمري 17 عامًا مشابهًا لما كتبته في السبعين من العمر؟ خذ أدونيس مثلا الذي يتكلم عن المطلق، هل قصائده في "مهيار" مثل قصائده الأخرى؟.. هذا حكي فاضي. لا يوجد شيء مطلق. الإنسان جزء عضوي من كون، حالة الطقس تؤثر عليه، وهذه العقلية الأبيقورية من الانقطاع عن العالم والذاتية والفردانية غير منطقية وغير واقعية وغير إنسانية حتى. الحياة مراحل والشاعر يمرّ بهذه المراحل ويكتب عنها. فرامبو مثلا، لو لم يذهب إلى اليمن ويعمل في تجارة الأسلحة ويعش مع البحارة لم يكن ليكتب ما كتب. شعره نتاج حياته وليس نتاج ثقافته. لا يوجد شعر ناتج عن الثقافة فقط؛ هناك الثقافة والحياة. تقرأ الصوفيين والديانات وكل ما تريد، لكن يظلّ الانخراط والتورط في الحياة يفرضان نفسيهما. أعجبتني كاتبة أمريكية، أعتقد أنها توني موريسون حائزة نوبل، حين قالت: لا أتخيل مبدعًا غير مُسيّس. كيف يمكن ذلك؟ أن يدير ظهره للعالم؟ ألم يقل ماركس: ليس لي قفا ثور لأديره للعالم. السؤال ليس في وجود السياسة، بل كيف يتم التعبير عن الموقف السياسي.

"خذ القطعة التي قرأتها (عن مجزرة قانا)، كان يمكن أن أكون أنا ضد الاحتلال وضد الغزو الإسرائيلي، ولكن هذا كلام عاديّ. على الشاعر أن يعبر عن الموقف السياسي بالأدوات الشعرية الخاصة."

عن الكتابة: *يقولون لك لا أعرف الكتابة إلا إذا سمعت موسيقى كلاسيكية. ما هذا الكلام؟.. يمكنني أن أسمع موسيقى كلاسيكية وأكتب ويمكنني أن أسمع أحمد عدوية وأكتب*

– حين ينتصر السياسي يخسر الشعر.

س.ق. "يخسر الشاعر بلا شك. لا أريد أن أعطي أمثلة لأنّ جميعهم أصدقائي ولكن يوجد شعراء جيدون وكانت بداياتهم جميلة جدًا ولكن عندما ابتلعتهم السياسة فقدوا البوصلة وتقلصت شاعريتهم. الشاعر يحس باختلال التوازن بين همّه الشعري وبين السياسة."

– أنت تلحن وترسم...

س.ق. "(يتعجب بخجل) الصحيح أنّ المرحوم أخي سامي كان عازف عود ومُغنّيًا وكنت أمسك العود وأعزف "سماعي" بلا دراسة، وقصة التلحين نكتة. كان طلاب جامعة حيفا يحضرون لاحتفالية وأنا كتبت لهم كلمات لمسرحية اسمها "دولا".. دولا حيروني، دولا جننوني.. بدهن نبدل كل النفط بقنينة كوكا كولا... قصيدة ساخرة فيها تلاعب على كلمتي "دولا" و"دولة". ورغبوا بتلحين الأغنية. كان لي صديق اسمه رجب الصلح، قلت له خذ ولحّن، فقال أنا أعزف ولكنني لا ألحن. فقلت له: تعرف؟ أنا سألحّنها وأنت أكمل. وهكذا حدث. ثم صاروا يغنون الأغنية في الأعراس والمناسبات وسمير الحافظ يغنيها وغيره كثر. ولكنها كانت تجربة عابرة.

"وأنا أحبّ الرسم طبعًا. ولكن هذه الموهبة فطرية ولم أدرسها. ولكنني نادم لأنني لم أدرس الموسيقى والرسم. ولكن ماذا يمكن للمرء أن يفعل؟ الحياة محدودة."

– لكنك عوضت عن ذلك في الأيقاع والصورة الشعريين.

س.ق. "بلا شك، الشعر ساعدني على تقديم الموسيقى واللوحة."

– أحيانا يخالك المرء وهو يقرأ شعرك أنك تكتب وبيدك الأخرى تضرب إيقاعًا.

س.ق. "ممكن، ممكن. نعم. كنت مرة مع الجواهري رحمه الله في القاهرة وذهبنا لنتغدّى. ثم بدأ يدندن بصوت عال وبإيقاع حثيث، فقلت له: ما بك؟ شو صابك؟ فقال: "أدندن قصيدة.. أنا أغني القصيدة قبل كتابتها". يلحنها ثم يكتبها. هذه صفة مشتركة عند الكثير من الشعراء، الهمهمة. نعم، الإيقاع، مع أنّ هذه ليست مسألة سهلة بالمرة."

– لديك طقوس للكتابة؟

س.ق. "لا. كنت أسخر من الشعراء الذين يتحدثون عن طقوس خاصة. مرة قال شاعر أوروبي: لا أستطيع الكتابة إلا إذا شممت رائحة السّفرجل الفاسد. من أين سآتي له بسفرجل

فاسد وأشممه إياه؟.. "عُمرو لا يكتب"! (يضحك) رحمه الله أبو توفيق (نزار قباني) كان يحبّ الكتابة على ورق ملون. أنا في فترة معينة لم أكن أعرف الكتابة إلا بحبر سائل. كنت أخجل من الكتابة بحبر جافّ. ومع مرور الزمن تغيّرتُ، فأحيانا تكون في الطائرة مثلا وتأتيك شطرة وليس معك قلم سائل فتكتبها. لا أحبّ الحديث عن طقوس، ولكن هناك بيئة للكتابة. مثلا بعد منتصف الليل يكون الجميع نيامًا، أدخل المطبخ أو مكتبي هنا أو في الطابق السفلي. في المطبخ أكون بين رائحة القهوة وأصوات أنفاس النيام وقطة تموء في الكرم. يعني أصوات الليل. هذا جوّ جميل جدًا للكتابة. أنا أكتب من منتصف الليل إلى الصباح. وتكلمت في مرات سابقة أنني أودّ الذهاب إلى الشهر العقاري لتطويب لحظات الفجر الأزرق في الصباح الباكر على اسمي. أنا أدّعي أنّ أحدًا في العالم لم يرَ هذه اللحظات مثلي. إنها لحظات قصيرة لا تدوم طويلا، ولكنها من أجمل لحظات الحياة. الانتقال من العتمة إلى الضوء، لحظات ساحرة. كنت في كل يوم تقريبًا، وبشكل لا شعوري أقوم عن الطاولة لأرى زرقة الفجر... لا أسميها طقوسًا، ربما هي العادة أو الظروف."

– تذكّرني بجملة قلتها "دع القصيدة تأتي إليك". أنت جاهز دائمًا لاستقبالها، لا تستحم وتتعطر من أجلها.

س.ق. "لا لا أبدًا. رحمه الله أخي محمود كان يصحى في الصباح ويتدوّش ويلبس ويجلس للكتابة. أسأله فيقول لي: لا أعرف إلا هذا. لكلّ إنسان وعاداته. لا أحبّ تسمية الطقوس... يقولون لك لا أعرف الكتابة إلا إذا سمعت موسيقى كلاسيكية. ما هذا الكلام؟.. يمكنني أن أسمع موسيقى كلاسيكية وأكتب ويمكنني أن أسمع أحمد عدوية وأكتب. أحيانًا تجد شعراء أو فنانين يحبون خلق هالة حول أنفسهم بواسطة أمريْن: الحديث عن الطفولة البائسة والحديث عن طقوس العملية الإبداعية. وأنا أصلا لا أحب تعبير "العملية الإبداعية". فليست كل كتابة عملا إبداعيًا. كلمة إبداع كلمة ليست سهلة، مع أنّ الجميع يستعملها."

– ماذا يتغير على الإنسان حين يمرض بالسرطان؟ ماذا تعني العلاجات الكيماوية للجسد والروح؟ وماذا يعني أن يصيبك مرض مع احتمال كبير وواقعي بأنك ستموت بعده؟

س.ق. "إذا قلت لك إنّ هذا لم يؤثر عليّ مطلقًا فهذا سيكون كلاما وادعاء غير مبررين. أنا لا أدعي البطولة، ولكن أنا لي قناعات وإيمان. قناعاتي أنّه لا يوجد إنسان يحق له أن يقول "لا، يحدث مع غيري ولا يحدث معي". الإنسان معرّض لكل شيء. كان نوع من المفاجأة حين يقول لك الطبيب إنّ عندك ورمًا خبيثًا، لكن السّؤال يظل في رد الفعل. وردّ فعلي العفوي كان: سرطان؟.. أنا لا أحب ثمار البحر، أريد سمكًا. وهو تفاجأ أيضًا. هل تعلم أنّ كل شخص ثالث في البلاد إما مريض بالسّرطان أو معرض له؟ وأنا أعيش هنا وجزء من هذا. يجب أن آخذ الأمور بروح رياضية وبواقعية ومن دون جبن. ليس عيبًا أن أقول إنني لست جبانًا. لم أكن جبانا في حياتي ولا أريد أن أصير في نهاية عمري جبانًا. وخاطبت الموت:

"أنا لا أحبك يا موت/ لكنني لا أخافك..

"لست خائفًا... أنا لا أعرف حتى أسماء الأدوية. لولا زوجتي لا أعرف شيئًا ولا آخذ الأدوية. لا أذهب إلى مواعيد الفحص لولاها. المرض صعب، يُربك حياتك بلا شك. إلى أيّ مدى؟.. هذا يتوقف عليك وعلى معنوياتك وإيمانك."

– هناك من يرى أنّ المرض نوع من أنواع الإهانة للجسم.

س.ق. "أنظر. لا أريد أن أسميها إهانة. هي إرباك... لكن لم ينكسر فيّ شيء. وحين أذهب للعلاج يستقبلني المرضى والممرضات والأطباء بشكل استثنائيّ جدًا وبروح طيبة ومداعبة ومزاح. لم أنكسر. ولكن التوى فيّ شيء ما، بلا شك. أنا مَن كنت دائم السّفر أعتذر الآن عن الدعوات. هناك التواء، ولكن هناك قناعة أيضًا بأنّ هذه طبيعة الحياة. فمن غير المعقول ألا أكون عرضة للمرض أو لحادث طرق أو طائرة وأنا في الثانية والسبعين من عمري... لكنّ داخلي لم ينكسر."

– هل تنظر إلى الوراء وتستعرض شريط حياتك؟.. نوستالجيا ربما؟

س.ق. "ربما أكون اهتممتُ بطباعة السيرة في ضمن هذا الإطار. نوع من ترتيب الطاولة وأوراقي. طبعًا الإنسان يعود أحيانًا إلى أمور في حياته. ففي كل ليلة رأس سنة كان محمود يسهر معي، إما في البيت عند أهلي أو في نادٍ ليليّ. وحتى بعد خروجه وبعد أن اختلفنا ثم اصطلحنا، ظللنا نلتقي ونسهر في عيد ميلاده وعيد ميلادي. وفي ليلة رأس السنة بعد وفاته فتحت التليفون وطلبت رقمه. كان لديّ إحساس بأنه سيردّ. حتى زوجتي تفاجأت، سألتني بمن تتصل، قلت: بمحمود. لكنه لم يردّ.

"حياة طويلة وعريضة وعميقة وفيها عواصف وزوابع... لا أذكر أنني قمت بشيء يسيء لربنا أو الناس أو المجتمع. حتى من كانوا يسيئون لي يتفاجأون بردّ فعلي. بلا حقد. أحيانًا أتذكر ثلاثة أو أربعة أشخاص أساؤوا لي كثيرًا.. قسمًا بالله ماتوا ميتة شنيعة وفي سنّ مبكرة! عندما أسمع أنّ فلانًا مات أُصاب بقشعريرة. يدهمني توبيخ ضمير وكأنّ هذا بسببي."

عن الذائقة: *كنا أنا ومحمود رحمه الله نقيم أمسيات شعرية كثيرة مشتركة. ونجلس محتارين قبل الأمسية، ماذا سنقرأ. فيقول محمود: تعسًا! لا بد أن يطلبوا منك "سأقاوم" ولا بد أن يطلبوا مني "سجّل أنا عربي"*

– وماذا مع الله؟

"الله بالنسبة لي ليس من يتحدّثون عنه في الكتب الدينية. يوجد قانون علميّ: لا شيء يأتي من لا شيء. وهذا الكون الهائل جاء من شيء، هناك شيء أبدعه. هذا الشيء بعض الناس يسمونه "الله" وآخرون يسمونه "إلوهيم" وناس يسمونه God وغيرها.. يسألونني: من صنع الله؟ أجيب: هذا "الله" اللا نهائي أكبر من أن أستطيع إدراكه كإنسان. أنا أسمّيه الله "ما أتأمله الآن أن لا أصير مُقعدًا. أفضّل الموت على ذلك... ولا أريد أن أفقد وعيي. أعوذ بالله."

– من هم أصدقاؤك؟ من تستشير؟ من يقرأ مخطوطاتك قبل النشر؟

س.ق. "بطبيعتي لديّ أمران يبدو أنهما متناقضان جدًا. أنا أحبّ الناس والمجتمع، وفي الوقت نفسه أنا ذاتيّ جدًا. يمكني أن أكون حاضرًا بين ألف إنسان وأكون وحدي. وتطوّرت عندي قدرة بمرور الزمن حيث يمكنني أن أنظر إلى إنسان وألا أراه. ويمكن أن أصغي إلى إنسان ولا أسمعه. وبشكل عام أنا أحبّ الناس وأحبّ تبادل الزيارات معهم، وبالنسبة للشعر فربما يوجد الكثير من الأنانية أو الفردية، فلم أحبّ يومًا أن أقرأ قصيدة جديدة لأصدقاء. الوحيد الذي كان كذلك، بحكم حياتنا المشتركة، هو محمود. أقرأ له ويقرأ لي. لكنني لا أشعر بحاجة لأن يسمع شخص ما ويقول رأيه. أنا أعيد القراءة مرة واثنتين، ولا أغيّر كثيرًا. قد أغيّر من مئة صفحة أربع أو خمس كلمات. يمكنني أن أشطب صورة بدلا من أخرى. هذا عمل فرديّ وشخصي جدًا، بيني وبين نفسي."

- هل صحيح أنّ الكتابة تصبح أصعب كلما تقدّم المرء بالعمر؟

س.ق. "الكتابة دائمًا سهلة وجميلة. الصعوبة تكمن في ما قبل الكتابة. اللحظة التي تكتمل لديك صورة فتكتبها، من أجمل لحظات الحياة. عملية خلق بكل معنى الكلمة. هكذا كتبت لمرض السرطان:

"إشرب فنجان القهوة يا مرض السرطان،

إشرب كي أقرأ بختك في الفنجان،

إشرب..

"وأنا أكتبها أكون مبسوطًا ومنسجمًا، ولكن قبل الكتابة يكون الواحد في نقاش بينه وبين نفسه: ماذا سأفعل به هذا مرض السرطان؟ هل سيكسرني أم أكسره؟ كيف سأتعامل معه؟ هناك أسئلة صعبة، ولكن عندما تصل إلى لحظة الكتابة مع فكرة وموقف في لا وعيك ووعيك، وتضع ذلك على الورقة، تكون لحظة ممتعة وسهلة جدًا. إرهاصات القصيدة أصعب من القصيدة، فحين تنضج تصبح متعة جميلة جدًا. لا يمكن أصلا أن أباشر الكتابة قبل أن تكون القصيدة جاهزة."

– أنت عمليًا تقوم بعملية تحرير النص قبل كتابته.

س.ق. "طبعًا. أعيد الصورة والفكرة والبيت أكثر من مرة في مخيلتي، ومن الممكن تغيير بعض الكلمات، ولكنني أفضل تحرير النصّ قبل الكتابة. بعد الكتابة يمكنك أن تكتشف بعض الأمور الصغيرة، مش مشكلة."

عن شعر المقاومة: *شعر المقاومة ليس موضة كي تنتهي. من يعتبره موضة فهو لا يستوعب ما معنى وجوهر هذا الأدب والشعر. هذه قضية تنفس، عملية حياة، نبض...*

– ما هي متع الحياة الصغيرة؟ أنا أعرف أنك تحبّ لعبة "المحبوسة"...

س.ق. "(يضحك) لا أعرف من ألعاب الطاولة إلا لعبة المحبوسة. أحبّ أن ألعبها مع أصدقاء ومعارف. كنت ألعبها مع محمود رحمه الله ومع أدونيس أطال الله بعمره، ومع صليبا خميس وحنا أبو حنا.. مع الأصدقاء المقرّبين. ألعب "الترنيب" (الوِست) من ألعاب الشدّة. يجتمع الأصدقاء ونلعب ونتسلى. في شبابي كنت أحبّ السّينما كثيرًا. كنت أقول لمحمود: يوجد فيلم جديد. يقول لي: أنا أريد الذهاب إلى البحر. هو يذهب للبحر وأنا لمشاهدة الفيلم الجديد. كتبت زاوية في "الاتحاد" وقتها كان اسمها "سينَماذا"... كنت أكتب تعليقات عن آخر الأفلام التي كنت أشاهدها."

– ما هي أفلامك المحببة؟

س.ق. "لا أريد أن أتحدّث عن الأفلام الكبيرة والمعروفة، ولكن أذكر بشكل خاص فيلم "إنهم يطلقون النار على الخيول، أليس كذلك؟" (They Shoot Horses, Don't They?). فيلم مدهش في إنسانيته وعمقه. ولذلك بعد مشاهدة هذا الفيلم بفترة دعوني إلى مهرجان دوليّ ضدّ الرّقابة على الأدب في بريطانيا وطلبوا أن اقترح عليهم شعارًا للمهرجان كما طلبوا من كلّ الضيوف. قلت لهم اقترح شعارًا بسيطًا: They Shoot Writers, Don't They. تبنوه رأسًا كشعار للمهرجان."

رغم العلاجات الأسبوعية والإرهاق الذي ينتاب الجسد بعدها، إلا أنّ القاسم يستعيد نشاطه بين وجبة علاج وأخرى، ويتابع الأخبار وتفاصيل الحياة. حتى في هذه اللحظات الحرجة من حياة أيّ إنسان يختار الحيّز العام على الصّومعة. قد يكون توق الشّاعر للعلن، للاختلاط وجسّ النبض والتيقظ الدائم لاستقبال القصيدة. وقد يكون سميح القاسم معجونًا بهذه الرغبة للبقاء في صورة الحدث، بعد حياة طويلة وعريضة كالتي عاشها ويعيشها وسيعيشها. لا أعرف. تراه يحيط نفسه بالكتب من كلّ جانب. يقرأ بنهم ويتابع ويتشبث بالنصّ كما لو أنه بدأ للتوّ.

في لحظة صافية لا أعرف إذا كانت مستسلمة أم مقاوِمة، يقول بهدوء: "الآن، تبقّتْ لي القراءة".

(شباط– آذار 2012)

القاسم وعائلته، من اليسار عمر وياسر ووطن ووضاح

سميح القاسم مع الأديبة أحلام مستغانمي بالدوحة

صور متنوعة للمرحوم الشاعر / سميح القاسم

في قمة العطاء

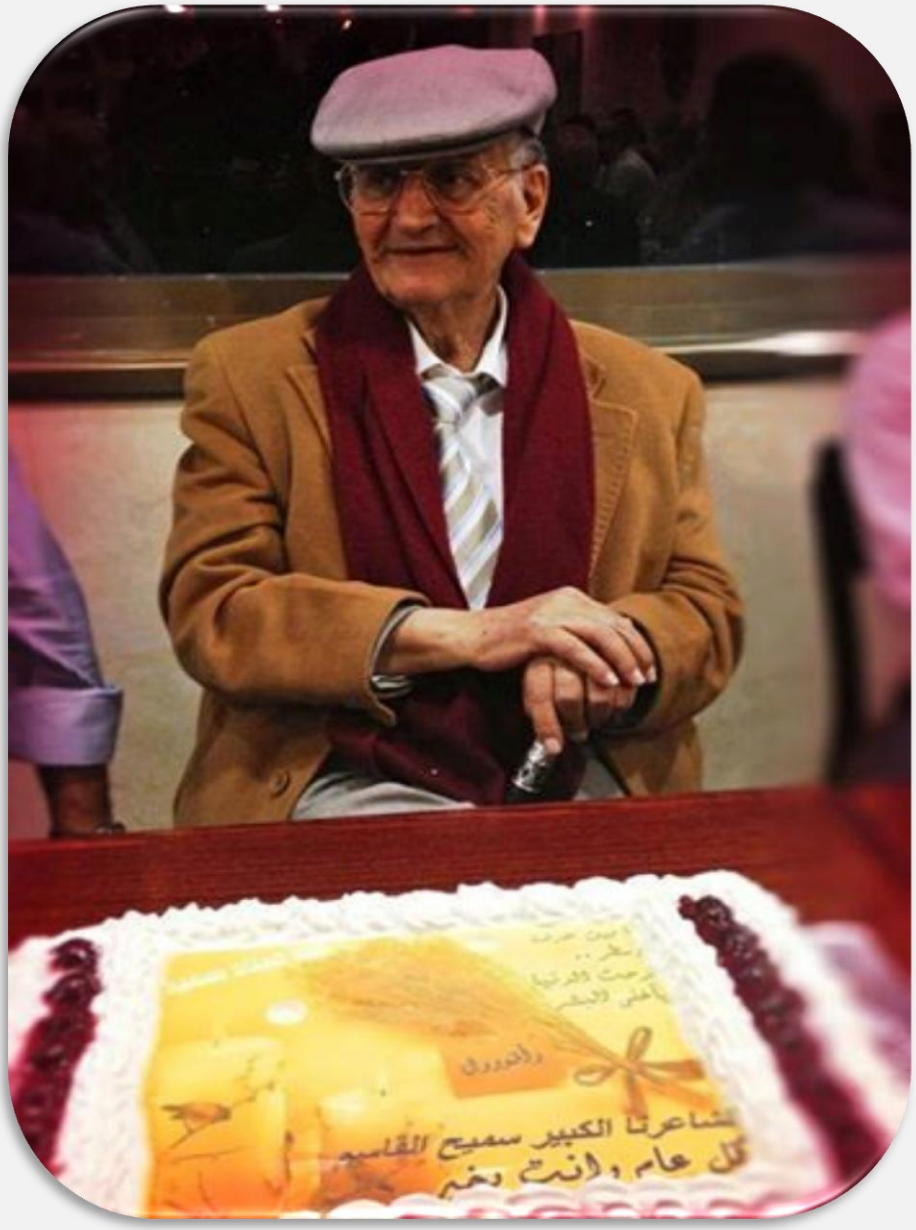

وتقدم العمر

وودّع الحياة

خاتمة

في ظل الغياب

وتبقى كلمة في ختام هذا التكوين الذي تم إعداده وفاءً لشاعر فلسطين، ليصدّر بمناسبة معرض الدوحة الدولي الخامس والعشرين للكتاب لنقول: سميح القاسم هو علامة فارقة في مسيرة الشعر الفلسطيني المعاصر، من خلاله تطورت بنية الشعر اللغوية، واستندت إلى لغة شاعرية جديدة، إنها للشاعر الذي منحه الناس ألقاباً مختلفة تتوازى وإبداعاته الشعرية، فأصبح منذ عام 1960 عندما أصدر مجموعته الشعرية الأولى يمثّل أحد أبراز شعراء عصره.

رحلتَ يا سميح، ولم ترحل أشعارُك، وستبقى مجموعاتك الشعرية مورداً للأدباء والمثقفين، ونبعاً صافياً للدارسين في الميادين الأدبية المختلفة.

مازال محبوك في الدوحة التي استقبلتك عام 1994 ترنو إلى تلك الأيام الثقافية التي كنت فيها مشعلاً وضّاءً، وعبدت الطريق لغيرك من الشعراء والأدباء للدوحة وغيرها من المدن العربية.

استقبلناك في أرجاء الوطن العربي، بحفاوة بالغة، وضجت بك القاعات وهي تصغي لكلماتك، وتستمع لأناشيدك، وتردد معك:

منتصب القامة أمشي

مرفوع الهامة أمشي

وسنبقى من بعدك مرفوعي الهامة مهما حاول العدو طمسها، إلى أن نحقق أحلام الصغار، وآمال الكبار بالعودة إلى فلسطين، إلى حيفا ويافا، واللد والرملة، والناصرة، ونبني دولتنا التي حلمت بها، وعاصمتها القدس الشريف.

سميح القاسم في ظل الغياب

الفهرس

1 سميح القاسم في الدوحة.

2 -إهداء

3 -مقدمة بقلم الدكتور : حمد عبد العزيز الكواري

4 -تمهيد بقلم الدكتور : يحيى زكريا الأغا

5 -بلدة الراما

6 -القرى الدرزية في فلسطين

7 -مرض سميح

8 وفاة سميح

9 -جنازة سميح

10 - سميح القاسم في سطور

أولاً: كلمتان في رثاء القاسم

أ -كلمة سعادة الدكتور : حمد بن عبد العزيز الكواري وزير الثقافة القطري

ب - كلمة معالي السيد : يحيى يخلف وزير الثقافة الفلسطيني الأسبق

ثانياً: مقالات في رثاء سميح القاسم .

ثالثاً: الصحف ومواقع التواصل الاجتماعي.

رابعاً مقابلة صحفية عام 2012

خامساً : صور من مسيرة حياته

سادساً : الخاتمة

الكاتب: يحيى زكريا الأغا

حاصل على الدكتوارة في الأدب والنقد عام 2000

له عدد من المؤلفات الأدبية، والمقالات، والمشاركات، والحوارات ، والمسابقات الفكرية، والمعارض التراثية، والمهرجانات الثقافية، والندوات السياسية..... .

من مؤلفاته:

1- الصورة الفنية في شعر فدوى طوقان وأثر الوجدان الإسلامي فيها
2- جماليات القصيدة في الشعر الفلسطيني المعاصر
3- إضاءات في الشعر الفلسطيني المعاصر.(الجزء الأول) 1997
4- إضاءات في الشعر الفلسطيني المعاصر.(الجزء الثاني)
5- البنية اللغوية والموسيقية في الشعر الفلسطيني المعاصر

- العديد من المقالات الأدبية في الصحف القطرية " الشرق – الراية – الوطن – العرب"
- مشارك في نادي الجسرة الثقافي الاجتماعي – قطر.
- مشارك في الصالون الثقافي - وزارة الثقافة.
- مشارك في مركز التصوير الضوئي.
- مشارك في كاتارا، القرية التراثية- مسرح قطر الوطني – المدرسة الفلسطينية.
- له العديد من الإسهامات الثقافية:
- القدس عاصمة الثقافة العربية
- الدوحة عاصمة الثقافة العربية.
- مسرح الريان– قاعة الدفنة – الشيراتون.
- يعمل حالياً بسفارة دولة فلسطين.